الصحيح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

الصحيح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الحادي والثلاثون

مركز نشر وترجمة مؤلفات العلامة المحقق
آية الله السيد جعفر مرتضى العاملي

عاملي، جعفر مرتضى ١٩٤٤م.

الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام (المرتضى من سيرة المرتضى) /السيد جعفر مرتضى العاملي. قم: أيام، ١٤٣٢ ق.= ٢٠١٢م. = ١٣٨٩.

٥١٢ ص.

ISBN: ٩٧٨ـ ٩٦٤ـ ٩١٠٦٣ـ ٩ـ ٧ — ٦٠٠،٠٠٠ ريال

فهرست نويسى بر اساس اطلاعات فيپا.

كتابنامه:

١. علي بن أبي طالب (ع)، إمام اول، ٢٣ قبل الهجرت ـ ٤٠ ق سر گذشت نامه. ٢ . إسلام ـ تاريخ از آغاز تا ٤١ ق. ألف. عنوان ب. عنوان: المرتضى من سيرة المرتضى.

٣ ص ٤٢ع BP ٣٧/٣٥ — ٢٩٧/٩٥١

١٣٨٩

اسم الكتاب:	**الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام**
اسم المؤلف:	**السيد جعفر مرتضى العاملي**
الناشر:	**نشر أيام**
الطبعة:	**الأولى ١٤٣٢ هـ.ق = ١٣٨٩ هـش =٢٠١٢ م**
عدد المطبوع:	**٢٠٠٠ نسخة**
سعر الدورة: ٣١ ـ ٤٥	**٦٠٠٠٠ توماناً**
ردمك ج٣١:	**٩٧٨ ـ ٩٦٤ ـ ٩١٠٦٣ ـ ٣ ـ ٥**

العنوان: ايران ـ قم ـ ٤٥ متري صدوق ـ صدوقي ٦ پلاك ٢٠ تلفن: ٠٩١٢٦٥١٨٨١٤ ـ ٠٩١٢١٥١٧٦٧٧

اين اثر با حمايت معاونت محترم فرهنگي وزارت فرهنگ وارشاد اسلامى طبع شده است

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثالث:

رسائل، وعهود
تعني الأشتر، وأهل مصر..

رسالة علي × في رحل الأشتر:

قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج، عن مولى للأشتر، قال: لما هلك الأشتر، وجدنا في ثقله رسالة على «عليه السلام» إلى أهل مصر.

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علي «عليه السلام» أمير المؤمنين إلى أمة المسلمين، الذين غضبوا لله حين عصي في الأرض، وضرب الجور بأرواقه على البر والفاجر، فلا حق يستراح إليه، ولا منكر يتناهى عنه.

سلام عليكم، فإني أحمد الله إليكم، الذي لا إله إلا هو [واسأله الصلاة على نبيه محمد وآله].

أما بعد..

فقد بعثت إليكم عبداً من عبيد الله، لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعادي حذار الدوائر، [ولا واه في عزم، من أشد عباد الله بأساً،

وأكرمهم حسباً، أضر]، أشد على الكفار من حريق النار، [وأبعد الناس من دنس أو عار]، وهو مالك بن الحارث، أخو مذحج، فاسمعوا له وأطيعوا، فإنه سيف من سيوف الله، لا نابى الضريبة، ولا كليل الحد، [حليم في الجد، رزين في الحرب، ذو رأي أصيل، وصبر جميل، فاسمعوا له وأطيعوا أمره]. فإن أمركم أن تقدموا، فأقدموا، وإن أمركم أن تنفروا، فانفروا. فإنه لا يقدم، ولا يحجم، إلا بأمري.

وقد آثرتكم به على نفسي، لنصحه لكم، وشدة شكيمته على عدوكم، عصمكم الله بالهدى، وثبتكم على اليقين، والسلام(1).

موجدة محمد من تولية الأشتر:

يذكر الطبري:

أنه لما بلغ محمد بن أبي بكر: أن علياً «عليه السلام» قد بعث

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص96 و (ط الأعلمي) ج4 ص72 وراجع: الغارات للثقفي ج1 ص260 و 261 و 266 و 267 ونهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص63 الكتاب رقم 38 وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج5 ص82 و شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص77 وج16 ص156 والإختصاص ص80 وبحار الأنوار ج33 ص595 و 590 وتاريخ مدينة دمشق ج56 ص390 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص194 والأمالي للمفيد ص81 و 82 ونهج السعادة ج5 ص48 و 49 ومختصر أخبار شعراء الشيعة ص54 واختيار مصباح السالكين لابن ميثم ص524.

الأشتر شق عليه ذلك، فكتب علي «عليه السلام» إلى محمد بن أبي بكر عند مهلك الأشتر:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر، سلامٌ عليك.

أما بعد؛ فقد بلغني موجدتك من تسريحي الأشتر إلى عملك، وإني لم أفعل ذلك استبطاءً لك في الجهاد، ولا ازدياداً مني لك في الجد، ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك لوليتك ما هو أيسر عليك في المئونة، وأعجب إليك ولايةً منه.

إن الرجل الذي كنت وليته مصر كان لنا نصيحاً، وعلى عدونا شديداً، وقد استكمل أيامه، ولاقى حمامه، ونحن عنه راضون، فرضي الله عنه، وضاعف له الثواب، وأحسن له المآب.

اصبر [فاصحر] لعدوك، وشمر للحرب، وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وأكثر ذكر الله، والاستعانة به، والخوف منه، يكفك ما أهمك، ويعنك على ما ولاك، أعاننا الله وإياك على ما لا ينال إلا برحمته. والسلام عليك.

فكتب إليه محمد بن أبي بكر جواب كتابه:

بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد الله علي أمير المؤمنين من محمد بن أبي بكر..

سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله غيره..

أما بعد.. فإني قد انتهى إلي كتاب أمير المؤمنين، ففهمته وعرفت ما فيه. وليس أحد من الناس بأرضى مني برأي أمير المؤمنين، ولا أجهد على عدوه، ولا أرأف بوليه مني.

وقد خرجت فعسكرت، وأمنت الناس إلا من نصب لنا حرباً، وأظهر لنا خلافاً.

وأنا متبع أمر أمير المؤمنين وحافظه، وملتجئ إليه، وقائم به، والله المستعان على كل حال، والسلام عليك(1).

ونقول:

إننا نذكر هنا أموراً هي التالية:

أهل مصر غضبوا لله تعالى:

إننا نعلم: أن علياً «عليه السلام» ليس مجرد مداح، يلقي الكلام على عواهنه، بل هو يقصد بكل كلمة كل ما يمكن أن تدل عليه في سياقها، حين يكون الكلام صادراً من رجل إلهي ينظر بعين الله، وتتفجر الحكمة من جوانبه. ويعيش الإسلام بكل حقائقه ودقائقه.

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص96 و 97 و (ط الأعلمي) ج4 ص72 و 73 والغارات للثقفي ج1 ص268 - 270 ونهج البلاغة الكتاب رقم 34 وبحار الأنوار ج33 ص556 و 557 و 593 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص78 و ج16 ص142 والكامل في التاريخ ج2 ص410 و 411 و (ط دار صادر) ج3 ص353 و 354.

ولذلك ترانا مضطرين إلى فهم كلامه «عليه السلام» بالطريقة التي تناسب مقامه وإمامته وعظمته، وسطوع برهانه.

ولكوننا نعلم: أننا أعجز من أن نصل إلى كنه مراميه وإشاراته، فإنما على قدري لا قدره، فإننا نذكر هنا بعض ما يدور بخلدنا، ونعتذر للقارئ الكريم عن القصور والتقصير.

ونقول:

تقدم في الرسالة التي وجدت في رحل الأشتر قوله «عليه السلام»:

«إلى أمة المسلمين الذين غضبوا لله حين عصي في الأرض، وضرب بأرواقه على البر والفاجر، فلا حق يستراح إليه، ولا منكر يتناهى عنه..». حيث رأينا:

1 ـ أنه «عليه السلام»قد أثنى على أهل مصر لموقفهم في إنكار المنكر في أواخر عهد عثمان، فقد هبوا للاعتراض على ما كان يجري من انتهاك للحرمات، وجرأة على الله تعالى.

إن النفس الإنسانية ترتاح لمثل هذا الثناء، لو صدر من إنسان عادي، فكيف إذا جاء هذا الثناء من وصي رسول الله «صلى الله عليه وآله» وخليفة المسلمين؟!

2 ـ إن هذا الثناء يأتي من رجل لمسوا بأنفسهم أنه صادق فيما يقول، فقد ناصرهم، وكان إلى جانبهم، وحاول جهده أن يحقق لهم مطالبهم المحقة.. وقد رأوا أن الطرف الآخر هو الذي كان يعود إلى

نقض أقواله، ويسعى للإلتفاف عليهم والإنتقام منهم..

وكان علي «عليه السلام» هو الذي يغضب لهم، ويتحمل الأذى من أجل إبعاد شبح الظلم عنهم..

3 - إن كلماته «عليه السلام» هذه تدل على أن حجم المخالفات والمعاصي، والجور والتعدي على الحق وأهله كان كبيراً، وشائعاً، وشاملاً.. حتى إن هذا الجور قد جثم بكل ثقله على البَر والفاجر. كما تفيد كلمة «ضرب بأرواقه» أي جثم بكل جسمه.

بل لقد بلغت الأمور حداً إنه لم يعد في الساحة حق يستراح إليه، ولا منكر يتناهى عنه..

المواصفات المثالية للحاكم:

وقد رغبهم «عليه السلام» بالإلتفاف حول القائد. ولكن لا بقصد الحصول على الإمتيازات والمنافع، أو الأموال، أو المزايا الدنيوية. ولا بطريقة التخويف من بطشه وغضبه.

ولكن بطريقة فريدة، قوامها: بيان ميزات هذا الحاكم الجديد، وليست هي الميزات المعهودة عندهم ككونه سخياً، أو عادلاً، أو عالماً، بل من حيث أنه القادر على دفع الأعداء، لا بقدرة مستعارة من الغير، قوامها الإتكال على سواعد وتضحيات، واستثمار جهد الآخرين، بحيث يتخذ هو موقع الآمر الناهي وحسب..

بل من حيث أنه المبادر بنفسه للدفاع عنهم، وخوض الغمرات

دونهم، والذي يقيهم بنفسه، ولا يتخذ منهم ردءاً له، وحصناً يختبئ وراءه..

ولا أظن إماماً يُرَغِّب الناس بمعونة الوالي المنصوب من قبله بهذه الطريقة سوى علي «عليه السلام».. ومن هو على منهج علي «عليه السلام» ويحمل فكره، وينظر للأمور بعين البصيرة، ويهتدي بهدي الشرع والدين.

ولذلك وصفه «عليه السلام» بأوصاف تناسب هذه الروحية والعقلية فيه.. فقد قال عنه ما يلي:

بعثت إليكم عبداً:

1 ـ لا ينام أيام الخوف.. أي أنه لا يطلب من الناس أن يكونوا هم الحراس له، ويكون هو النائم المرتاح، وهم المستيقظون المتعبون.. بل هو اليقظ، وهو الحارس لنفسه، وهو المشارك لهم في حراسة أنفسهم..

2 ـ ولا ينكل عن الأعادي حذار الدوائر.. فهو لا يطلب منهم إذا جدَّ الجد أن يدافعوا عنه، وأن يعرضوا أنفسهم للخطر ليكون هو في مأمن.

3 ـ هو قوي العزم. لا يلين للعدو، ولا يخضع للضغوط مهما عظمت، ولا يخشى وهنه أمام الخطوب..

4 ـ هو من أشد عباد الله بأساً.. أي أنه قد بلغ أقصى الحدود في شدة البأس، فلا مجال لأحد أن يطمع في غيره أن يكون بديلاً عنه، أو

أنه يقوم مقامه..

5 - هو من أكرم الناس حسباً، مما يعني: أن له مآثر وإنجازات عظيمة وكريمة، تشهد على أنه صاحب تجربة رائدة، تقوم على مبادئ قويمة وسليمة، وليس هناك من يضاهيه في ذلك، لكي يقدم عليه، أو يطمع أحد بأن لديه أفضل مما لديه.

6 - وإذا كان الفجار هم الذين يملكون الجرأة على العدوان على الناس، وإلحاق الأذى بهم، فإن أمثال هؤلاء لا تردعهم المواعظ، ولا يفيد معهم لين الجانب، ولطف المعاملة.. بل يرتدعون إذا شعروا بأن الأذى والضرر يتوجه إليهم، وذاقوا من الألم بعض ما يذيقونه لغيرهم.. وهذا الرجل هو الرادع الحقيقي، لأنه هو الذي يكون أضر على الفجار من حريق النار..

7 - إن من أسباب سقوط محل الحاكم من النفوس، وعدم توقيره، وإيجاد المبرر للتمرد عليه، والتخلي عن طاعته، أن يكون قد لحق به دنس أخلاقي، أو لزمه عار.. والأشتر هو أبعد الناس عن دنس أو عار..

ويلاحظ: أنه «عليه السلام» لم يقل: عن الدنس والعار، بل جاء بالكلمتين بدون أل التعريف..

لأن هذا التنكير، الذي أكده أيضاً بتنوين التنكير يفيد نفي لصوق أدنى وأقل ما يمكن تصوره من الدنس والعار به..

8 - إن هذه الصفات فيه لا يستفيد منها في جلب منفعة شخصية

له، ولا لأجل أنها مما اقتضته طبيعته وجبلته وخلقته، كما خلق الأسد قوياً، والحجر صلباً.. وما إلى ذلك. بل لأنه يبتغي بذلك كله رضا الله، وثوابه والأمن من عقابه، فهو فعل اختياري وإرادي له عن سابق معرفة والتفات يدفعه إليه رضا الله سبحانه، ولذلك قال «عليه السلام»: «فإنه سيف من سيوف الله».

9 - إنه سيف من سيوف الله، ليس نابي الضريبة.. لأن الساعد الذي يضرب ويستمد قوته من الحكم الشرعي الصارم، الذي يمثل الداعي والحافز يعطي هذا السيف، قوة هائلة لا يمكن إلا أن تجعله قاطعاً، ولا يمكن أن يكون «نابي الضريبة».

10 - وليس هذا السيف كليل الحد، بل هو ماض وقاطع. أي أنه أجود أنواع السيف، وهو السيف الصقيل القاطع، الرهيف، الرقيق الحد. فإذا حركه عزم وتصميم وإرادة قاطعة، من خلال العقيدة والحمية، والغيرة، والحق، والإندفاع طاعة لله، وامتثالاً للحكم الشرعي والإرادة الإلهية الجازمة القاضية بمجازاة الظالمين والمعتدين والجبارين.. فإن هذا السيف يكون سليماً وماضياً، وليس فيه كلال ولا ثلم، ولا صدأ، ولا غير ذلك من عيوب. وهو هنا كذلك، فإنه سيقطع الرقاب، ويحقق الرغاب.

والأشتر هو ذلك الرجل الصافي في روحه، الصلب في عزيمته، ولا يعاني من أي ضعف، أو كلال في إيمانه، ولا في صبره، ولا في مواصفاته، إنه سيف خال من العيوب، التي تحد من تأثيره، ومن

فاعليته وقاطعيته. ولذلك قال «عليه السلام»: «ولا كليل الحد».

11 ـ كما أن هذا القائد ليس إنساناً قاسياً، وصلباً ومرعباً ومخيفاً، لكي يخاف الناس منه، فإنه كذلك بالنسبة إلى الأعداء، أما بالنسبة للأولياء، فهو حليم كريم، هين لين، فلا مجال للخوف والتوجس من الإقتراب منه، فهو بحق مصداق لما وصف الله تعالى به المؤمنين: **(أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)**(1).

12 ـ وإذا كان الكثيرون يفقدون توازنهم في الحرب، بسبب ما يعاينونه من أهوالها، فلا يؤمن عثارهم فيها، فإن هذا الرجل يبقى رزيناً ومتماسكاً وقوياً، ومتوازناً في الحرب، يعرف كيف يديرها. ويبقى ممسكاً بصغيرها وكبيرها.. فلا تخاف عثرته، ولا تخشى غفلته، أو كبوته..

13 ـ وأهم ما يحتاج إليه الحاكم والوالي والقائد في السلم والحرب هو الرأي الصحيح، المستند إلى ضوابط قويمة وسليمة، ولا يهجم على الأمور بعفوية وانفعال، ولا يتعامل معها بارتجال، ولا يندفع إليها بعشوائية أو غوغائية، ولا استجابة لهزات عاطفية، أو لعصبيات، أو لنزوات شخصية، فهو كما قال «عليه السلام»: «ذو رأي أصيل».

14 ـ ويحتاج الحاكم إلى صبر وأناة وتحمل، لأن العجلة في

---

(1) الآية 29 من سورة الفتح.

الأمور، من أسباب تضييع الجهد، وبوار السعي، وهدر الطاقات، وفوز الأعداء, وتضييع الأولياء..

15 - ولكن صبر هذا الرجل (جميل)، لأنه لا يصاحبه ما يشوبه من تظلم، ولا تبرم، ولا ملالة، ولا سوء خلق، أو حدة، أو شدة، أو منة.. ويتجلى جمال هذا الصبر بالخلق الرضي، والوجه البهي، وسعة الصدر، والهدوء والرضا..

وقل من الرجال من يكون كذلك، ولاسيما الحكام منهم، فإنهم يعتادون على الرخاء والراحة، والبحبوحة. ويضجرهم التعب، ويبرمهم بذل الجهد. وتنفر طباعهم من تحمل الأذى..

النتائج:

وبعد هذا الوصف الدقيق والعميق الذي ساقه «عليه السلام» تأتي النتيجة الطبيعية، والحاسمة لتقول: إن جميع المقاييس الإيمانية والشرعية والعقلية، والوجدانية. وجميع الدوافع والميول الدنيوية منها، والأخروية، والشخصية، وغير الشخصية، وغيرها تحتم طاعة هذا الرجل الذي له هذه المواصفات، لأنه هو الذي يحفظ للناس حياتهم وأمنهم، وكل مصالحهم، ويحقق لهم أمانيهم..

ولذلك قال «عليه السلام»: «فاسمعوا له وأطيعوا، فإن أمركم أن تقدموا فأقدموا، وإن أمركم أن تنفروا فانفروا».

لأن إيصالكم إلى بر الأمان، حيث تبدأ آمالكم بالتحقق، وتتبلور في الواقع العيني على شكل ثمرات ملموسة مرهون بسماعكم منه، وطاعتكم

لأمره..

لا يقدم ولا يحجم إلى بأمري:

ويبقى هنا سؤال يقول: كيف يمكن أن نتصور الأشتر في مصر، وعلي «عليه السلام» في العراق، ثم يكون علي «عليه السلام» هو الذي يأمر الأشتر فينفذ الأشتر أوامره. وفي كل ما يورده ويصدره؟!

وهل كانت هنا وسيلة اتصال بينهما لم يكن الناس يعرفونها يمكنهم من خلالها التشاور في كل كبيرة وصغيره؟!

ولماذا لم يسأل الناس علياً «عليه السلام» عن هذه الوسيلة؟!

ونجيب بما يلي:

1 ـ إنه لا ريب في أن مما يزيد في رغبة الناس بطاعة هذا الوالي الجديد: أن ضامنه هو علي أمير المؤمنين «عليه السلام» الذي كان نصيرهم العتيد، ومعتمدهم الوحيد حين غضبوا لله، وثاروا في أواخر أيام عثمان..

2 ـ ويتأكد ذلك إذا كان هذا الوالي الجديد لا يقدم، ولا يحجم إلا بأمر أمير المؤمنين «عليه السلام»، فمراعاته لمصالح الناس تكون مضمونة، ولا مجال بعد هذا لاحتمال أن يتجاوز في أي من تصرفاته الحدود التي يرسمها له «عليه السلام»..

3 ـ يمكن أن يجاب عن السؤال المذكور:

أولاً: إنه «عليه السلام» إنما قصد بكلامه هذا التشاور في الأمور

الكبرى والأساسية والحساسة، ولم يقصد الأمور الصغيرة التي يحتاج الوالي لمعالجتها في كل يوم، أو في كل ساعة، لأنها تخضع للأحكام الشرعية التي كان الأشتر على دراية كافية لها.

ثانياً: يمكن أن يكون للأشتر كل يوم رسالة إلى علي «عليه السلام»، ثم يأتيه جوابها بعد يومين أو ثلاثة.. فقد تقدم: أن بعضهم قطع المسافة من الطائف إلى تبالة باليمن فيما يقرب من ثلاثين ساعة.

وكانوا يضعون على طول الطريق بين البلدين أشخاصاً معهم خيولهم، فكان كل واحد يستلم الرسالة من سابقه، ثم يركض بفرسه بكل قوته، فيسلمها إلى الذي بعده. فيركض بها ويسلمها إلى الذي يليه، ويسلمها هذا إلى من بعده إلى أن تصل إلى البلد الآخر في اليوم التالي، أو الذي بعده على أبعد تقدير.

ثالثاً: يمكن أن يكون المراد: أنه «عليه السلام» يرسم له قواعد عامة، من شأنها أن تستوعب مختلف الشؤون التي يواجهها في عمله هذا..

آثرتكم به على نفسي:

1 ـ وبعد هذا الوصف الشامل والدقيق لشخصية الأشتر وميزاته، فإنه يصبح واضحاً أن علياً «عليه السلام» سيكون شديد الحاجة إلى أمثاله.. ولكنه «عليه السلام» آثر به أهل مصر علي نفسه، رغبة منه في إصلاح أمورهم، وإبعاد شبح المتاعب عنهم..

2 ـ وذكر «عليه السلام»: أن سبب إيثار أهل مصر بالأشتر على

نفسه مع أن هذا الإيثار سوف يؤدي إلى زيادة متاعبه، ويؤدي به إلى مضاعفة جهوده لسد النقص الناشئ عن تخليه عنه لهم.. أمران:

أولهما: أن الأشتر ناصح لهم، ومن المهم جداً أن يشعر الناس بإخلاص حاكمهم لهم، ومناصرته لقضاياهم، واهتمامه بشؤونهم، وأنه لم يأت إليهم ليستفيد منهم لنفسه، ويتخذ منهم سلماً لأغراضه، ولخدمة أهوائه، بل ليفيدهم، وليعطيهم، ولا يأخذ منهم، لا لنفسه، ولا لغيره، حتى لو كان ذلك الغير هو إمامه، ولا لأي غرض آخر قد لا يعنيهم كثيراً، أو لا يعني إلا القليل منهم..

ولذا قال «عليه السلام»: «لنصحه لكم» ولم يقل: ونصحه وحسب.. ولم يقل أيضاً: ونصحه لإمامه.. بل لم يقل: لنصحه لدينه.. بل قال: نصحه لكم، فتكون نصيحته متمحضة بهم. وإن كان من مفردات نصيحته لهم نصيحة للدين، وللإمام المعصوم المنصوب من قبل الله تعالى.

ثانيهما: أن يشعروا أنه «عليه السلام» لا يريد أن يدفع عدوه بهم.. بل يريد أن يدفع عدوهم به، ولو كان دفعه بالتضحية بوقته، وجهده، بل وبنفسه وروحه. ولذا قال «عليه السلام»: «وشدة شكيمته على عدوكم»، ولم يقل: على العدو، بصورة مطلقة، ولم يقل: عدوي، أو عدو دينكم، أو عدو الأمة.. فلعل بعضهم لا يفهم كثيراً الدلالات العميقة لمثل هذه التعابير.. بل قال: عدوكم الذي يريد الإضرار بكم بصورة، أو بأخرى، ولو عن طريق الإضرار بدينهم..

ملاحظة:

إنه «عليه السلام» يخاطب الناس بطريقة تدل على أنه يراعي حالاتهم ومشاعرهم، وانفعالاتهم.. أو يتوخى الأساليب المؤثرة فيهم، ويتحاشى كل ما يوجب ابتعادهم عن الهدف الذي يسعى لسوقهم إليه، فهو بِحَقٍ يكلم الناس على قدر عقولهم، وبحسب مستوياتهم وحالاتهم، ولا يفرض عليهم الأمور بصورة قاهرة.. كما يفعله الجبابرة والطغاة من أهل الدنيا.

موجدة ابن أبي بكر لتولية الأشتر:

قد يتوهم متوهم: أن محمد بن أبي بكر رجل أناني يحب المناصب، بل يحب الإستئثار بها لنفسه دون كل أحد، ولا يفكر بمصلحة الأمة، ولا يعتبر أن هناك من هو أكثر تجربة، وأسد رأياً وأحسن سياسة منه.

بل هو مغرور بنفسه إلى حد أنه لا يرى علياً «عليه السلام» مصيباً في قراراته في تدبير شؤون الناس، بل هو يخطئ ويصيب، ولذا أجاز محمد لنفسه أن يغضب من بعض تصرفاته..

فكيف التوفيق بين هذه المعاني التي نستفيدها من موجدته من تولية الأشتر، حتى احتاج «عليه السلام» لتطييب خاطره بالرسالة المتقدمة.. وبين ما يقال عن شدة حبه لأمير المؤمنين «عليه السلام»، وعظيم إخلاصه له، وتفانيه في تصرفه والدفاع عن قضاياه؟!

وكيف يمكن أن ينسجم ذلك مع ما يقال عنه من تدين والتزام

وعبادة واجتهاد، وإيمان وتهذيب نفس، وما إلى ذلك؟!

ومن جهة أخرى، ما معنى أن يختاره علي «عليه السلام» إلى ولاية مصر، وهو بهذه العقلية، أو بهذه النظرة الضيقة للأمور، والنفسية التي تعوزها التربية والتهذيب..

ولو سلمنا: أنه «عليه السلام» لم يكن على دراية بحاله، فما معنى أن يكتب إليه ليطيب خاطره، ويسليه، أليس في هذا إغراء بما لا يحسن الإغراء به؟!

ونجيب:

أولاً: إن هذه الأسئلة كلها لا محل لها، إذ لا دليل على أن موجدة محمد بن أبي بكر «رحمه الله» كانت لفوات ولاية مصر منه، فإنه ليس ممن يستفيد من الولايات لجمع المال، أو لاكتساب الشهرة، أو للتلذذ بالسلطة، ونفوذ الكلمة، والأمر والنهي.. لأن ما وصفوه به، وما شوهد له من سلوك ومواقف، يدل على أنه يتعامل مع ولاية مصر كواجب إلهي، ومسؤولية شرعية، وأمانة لا بد من أدائها على أفضل حال من السلامة والصدق..

والذي يغضب محمداً:

أن يبلغ معاوية وحزب القاسطين في إفساد ضمائر الناس، حداً يمكّنهم من العبث باستقرار البلاد، والعباد، وإشاعة الفتن، وتشويه سمعة العاملين المخلصين واحداً بعد الآخر، بالإشاعات المغرضة، التي تسقط محلهم، وتحاصرهم، وتعطل أدوارهم، فلعله «رحمه الله»

أحس أن استبداله بالأشتر سوف يفسح المجال لهؤلاء لضخ كم هائل من الإفتراءات عليه، والشبهات حوله بما يوجب استبعاده عن أي عمل مجد، وليصبح من ثم معطلاً، لا يستطيع القيام بأي عمل كبير وخطير في خدمة الدين، والدفاع عن المستضعفين.

وهذا الحرمان من القيام بالواجب، والمنع من خدمة الدين وأهله هو أقسى عقوبة يواجهها إنسان متوثب للجهاد في سبيل الله، حريص على نصرة دينه، وإقامة شرعه..

ويشبه حال محمد وأمثاله، حال المرأة التي يريد زوجها أن يتزوج بأخرى.

فيتخذ من الطعن بزوجته الأولى ذريعة للتزوج بالثانية، فيتهمها بكل كبيرة وصغيرة، ويسقط محلها ويخرجها من دائرة الصلاحية لأي شيء، بل قد يخرجها عن دينها، وعن إنسانيتها، وينسب إليها كل عيب وسوء، ويتوسل بالأباطيل والأكاذيب.. ويستحل كل محرم، ويعبث بكرامتها اللئام..

ولأجل ذلك نلاحظ: أن الزوجة الأولى في مثل هذه الحال تعتبر أن قتلها أهون عليها من أن ترى لها ضرة في بيت الزوجية..

ولكن الأمر في موضوع محمد بن أبي بكر يختلف قليلاً عن هذا المثال، من حيث أن السوء لا يأتي من قبل علي «عليه السلام»، بل يأتيه من قبل الأعداء، ومن قبل الأتباع والأذناب، وقاصري النظر..

ثانياً: بل إن السبب في موجدة هذا الرجل: أنه شعر أن استبداله

كان لأجل أنه قصَّر في أداء واجبه، وأن إمامه قد أخذ عليه هذا، وأنه قد استاء منه.. فهو قد وجد على نفسه، أو خوفاً عليها من أن تكون قد تعرضت لغضب إمامه، وهذه الموجدة من موجبات الثناء على محمد بن أبي بكر، وإكباره واحترامه، وعلو مقامه..

وقد صرح أمير المؤمنين «عليه السلام» نفسه بهذا المعنى في نفس رسالته المتقدمة، فقال: «وإني لم أفعل ذلك استبطاء لك في الجهاد، ولا ازدياداً مني لك في الجد..».

أي فلا تظنن أنني اعتبرتك محجماً عن جهاد العدو، عاصياً لربك في ذلك..

ولا تظنن أنني أردت أن أرسل إلى مصر من يبذل جهداً أكثر منك.. فلا داعي لموجدتك.. فإنك لست عاصياً بترك الجهاد، ولا مقصراً في بذل الجهد..

ثالثاً: لقد أوضح له «عليه السلام» وجود سببين آخرين لاستبداله بالأشتر هما:

1 ـ الرفق به، وإرادة التخفيف عنه.. حيث قال له: «ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك لوليتك ما هو أيسر عليك في المؤونة..».

2 ـ لقد ألمح «عليه السلام» إلى أنه أراد أن يوليه موضعاً يمكن لمواهبه وقدراته أن تعبر عن نفسها فيه، فلاحظ قوله: «وأعجب إليك ولاية منه..».

وكأنه «عليه السلام» يريد أن يقول: إن ولاية مصر تحتاج إلى

جهد كبير، ومعاناة وبذل جهد، وفيها قتال وجهاد.. ويحب «عليه السلام» أن يوليه ما يكون أيسر مؤونة، فلا يحتاج إلى هذا الجهد الكبير، وتحمل المتاعب والمصاعب، ويكون أعجب ولاية، أي أن تولي الأمور فيه يؤنس الإنسان، ويعجبه، ربما لأنه يرى ثمرات عمله وجهده ماثلة وباقية، تثير إعجاب الإنسان، وتفرح قلبه..

وحسبنا ما ذكرناه حول هذه الكتب، والله المستعان.

الفصل الرابع:

عهد الأشتر..
مــتــنــه وســنــده..

بداية:

نذكر في هذا الفصل متن عهد الأشتر.. ثم نذكر بحثاً حول سنده كنا قد كتبناه في السنوات الخالية..

أما ما يستفاد من متنه، فيحتاج إلى تأليف مستقل، نسأل الله تعالى أن يوفقنا للقيام به بعد إتمام هذا الكتاب.

متن العهد:

ومتن العهد هو التالي:

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

هذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهِ عَلِيٌ أَميرُالمُؤْمِنِينَ، مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وَلاَّهُ مِصْرَ: جِبْايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلاَحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلاَدِهَا.

أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللهِ، وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ: مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ، الَّتِي لاَ يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلاَّ بِاتِّبَاعِهَا، وَلاَ يَشْقَى إِلاَّ مَعَ

جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا، وَأَنْ يَنْصُرَ اللهَ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ وَقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، فَإِنَّهُ، جَلَّ اسْمُهُ، قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ.

وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلاَّ مَا رَحِمَ اللهُ.

ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالكُ، أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلاَدٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاَةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ.

فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَامْلِكْ هَوَاكَ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لاَ يَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحْبَبْتَ وَكَرِهْتَ.

وأَشْعِرْ قَلْبَكَ اَلرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَاَلْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاَللُّطْفَ بِهِمْ وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي اَلدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي اَلْخَلْقِ يَفْرُطُ مِنْهُمُ اَلزَّلَلُ وَتَعْرِضُ لَهُمُ اَلْعِلَلُ وَتُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي اَلْعَمْدِ وَاَلْخَطَاء فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ اَلَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اَللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي اَلْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَاَللهُ فَوْقَ مَنْ وَلاَّكَ وَقَدِ اِسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ وَاِبْتَلاَكَ بِهِمْ.

وَلاَ تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ وَلاَ تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ وَلاَ تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً.

وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اَللهِ فَوْقَكَ وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لاَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ.

أَنْصِفِ اَللهَ وَأَنْصِفِ اَلنَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّكَ إِلاَّ تَفْعَلْ تَظْلِمْ وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اَللهِ كَانَ اَللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ وَمَنْ خَاصَمَهُ اَللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ وَكَانَ لِلَّهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ وَيَتُوبَ.

وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اَللهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ فَإِنَّ اَللهَ يَسْمَعُ دَعْوَةَ المُضْطَهَدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ.

وَلْيَكُنْ أَحَبُّ اَلْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي اَلْحَقِّ وَأَعَمُّهَا فِي اَلْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى اَلرَّعِيَّةِ فَإِنَّ سُخْطَ اَلْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى اَلْخَاصَّةِ وَإِنَّ سُخْطَ اَلْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى اَلْعَامَّةِ.

وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ اَلرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى اَلْوَالِي مَئُونَةً فِي اَلرَّخَاءِ وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي اَلْبَلاَءِ وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ اَلْإِعْطَاءِ وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ اَلْمَنْعِ وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ اَلدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ اَلْخَاصَّةِ.

وَإِنَّمَا عَمُودُ اَلدِّينِ وَجِمَاعُ المُسْلِمِينَ وَاَلْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ اَلْعَامَّةُ مِنَ اَلْأُمَّةِ فَلْيَكُنْ صَغْوُكَ لَهُمْ وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ.

وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبُهُمْ لِمَعَايِبِ اَلنَّاسِ فَإِنَّ

فِي اَلنَّاسِ عُيُوباً اَلْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا فَلاَ تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ.

وَاَللهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ فَاسْتُرِ اَلْعَوْرَةَ مَا اِسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اَللهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ أَطْلِقْ عَنِ اَلنَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ وَاِقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لاَ يَصِحُّ لَكَ وَلاَ تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ فَإِنَّ اَلسَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ.

وَلاَ تُدْخِلَنَّ فِي مَشْوَرَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ اَلْفَضْلِ وَيَعِدُكَ اَلْفَقْرَ وَلاَ جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ اَلْأُمُورِ وَلاَ حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ اَلشَّرَهَ بِالْجَوْرِ فَإِنَّ اَلْبُخْلَ وَاَلْجُبْنَ وَاَلْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ اَلظَّنِّ بِاللهِ.

إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي اَلْآثَامِ فَلاَ يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ اَلْأَثَمَةِ وَإِخْوَانُ اَلظَّلَمَةِ وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ اَلْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ وَلاَ آثِماً عَلَى إِثْمِهِ.

أُولَئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَئُونَةً وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً فَاتَّخِذْ أُولَئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلاَتِكَ ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ اَلْحَقِّ لَكَ وَأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اَللهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ.

وَالْصَقْ بِأَهْلِ اَلْوَرَعِ وَاَلصِّدْقِ ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَنْ لاَ يُطْرُوكَ وَلاَ يُبَجِّحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ فَإِنَّ كَثْرَةَ اَلْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ اَلزَّهْوَ وَتُدْنِي

مِنَ اَلْعِزَّةِ.

وَلاَ يَكُونَنَّ المُحْسِنُ وَالمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ اَلْإِحْسَانِ فِي اَلْإِحْسَانِ وَتَدْرِيباً لِأَهْلِ اَلْإِسَاءَةِ عَلَى اَلْإِسَاءَةِ وَأَلْزِمْ كُلاًّ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ.

وَلاَ تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ وَاِجْتَمَعَتْ بِهَا اَلْأُلْفَةُ وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا اَلرَّعِيَّةُ وَلاَ تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ اَلسُّنَنِ فَيَكُونَ اَلْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا وَاَلْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا.

وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ اَلْعُلَمَاءِ وَمُثَافَنَةَ اَلْحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلاَدِكَ وَإِقَامَةِ مَا اِسْتَقَامَ بِهِ اَلنَّاسُ قَبْلَكَ.

وَاِعْلَمْ أَنَّ اَلرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لاَ يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلاَّ بِبَعْضٍ وَلاَ غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ فَمِنْهَا جُنُودُ اَللهِ وَمِنْهَا كُتَّابُ اَلْعَامَّةِ وَاَلْخَاصَّةِ وَمِنْهَا قُضَاةُ اَلْعَدْلِ وَمِنْهَا عُمَّالُ اَلْإِنْصَافِ وَاَلرِّفْقِ وَمِنْهَا أَهْلُ اَلْجِزْيَةِ وَاَلْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ اَلذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ اَلنَّاسِ وَمِنْهَا اَلتُّجَّارُ وَأَهْلُ اَلصِّنَاعَاتِ وَمِنْهَا اَلطَّبَقَةُ اَلسُّفْلَى مِنْ ذَوِي اَلْحَاجَةِ وَاَلْمَسْكَنَةِ وَكُلٌّ قَدْ سَمَّى اَللهُ سَهْمَهُ وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ وَفَرِيضَتِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً.

ثُمَّ اَلطَّبَقَةُ اَلسُّفْلَى مِنْ أَهْلِ اَلْحَاجَةِ وَاَلْمَسْكَنَةِ اَلَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ وَفِي اَللهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ وَلِكُلٍّ عَلَى اَلْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ.

وَلَيْسَ يَخْرُجُ اَلْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اَللهُ مِنْ ذَلِكَ إِلاَّ بِالاِهْتِمَامِ

وَاَلاِسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ اَلْحَقِّ وَاَلصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ.

وَتَحَفَّظْ مِنَ اَلْأَعْوَانِ فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اِجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ اِكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِداً فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ اَلْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ اَلْمَذَلَّةِ وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ وَقَلَّدْتَهُ عَارَ اَلتُّهْمَةِ.

وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ اَلْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اِسْتِجْلاَبِ اَلْخَرَاجِ لِأَنَّ ذَلِكَ لاَ يُدْرَكُ إِلاَّ بِالْعِمَارَةِ وَمَنْ طَلَبَ اَلْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ اَلْبِلاَدَ وَأَهْلَكَ اَلْعِبَادَ وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلاَّ قَلِيلاً.

ثُمَّ اَللهَ اَللهَ فِي اَلطَّبَقَةِ اَلسُّفْلَى مِنَ اَلَّذِينَ لاَ حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ اَلْمَسَاكِينِ وَالمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ اَلْبُؤْسَى وَاَلزَّمْنَى فَإِنَّ فِي هَذِهِ اَلطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرّاً وَاِحْفَظِ لِلَّهِ مَا اِسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ وَاِجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكِ وَقِسْماً مِنْ غَلاَّتِ صَوَافِي اَلْإِسْلاَمِ فِي كُلِّ بَلَدٍ.

فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ اَلَّذِي لِلْأَدْنَى وَكُلٌّ قَدِ اِسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ وَلاَ يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ فَإِنَّكَ لاَ تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِ اَلتَّافِهِ لِإِحْكَامِكَ اَلْكَثِيرَ المُهِمَّ فَلاَ تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ.

وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لاَ يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ اَلْعُيُونُ وَتَحْقِرُهُ اَلرِّجَالُ فَفَرِّغْ لِأُولَئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ اَلْخَشْيَةِ وَاَلتَّوَاضُعِ فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ ثُمَّ اِعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَى اَللهِ سُبْحَانَهُ يَوْمَ تَلْقَاهُ.

فَإِنَّ هَؤُلاَءِ مِنْ بَيْنِ اَلرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى اَلْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ

وَكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى اَللهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ وَتَعَهَّدْ أَهْلَ اَلْيُتْمِ وَذَوِي اَلرِّقَّةِ فِي اَلسِّنِّ مِمَّنْ لاَ حِيلَةَ لَهُ وَلاَ يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ وَذَلِكَ عَلَى اَلْوُلاَةِ ثَقِيلٌ وَاَلْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اَللهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا اَلْعَاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اَللهِ لَهُمْ.

وَاِجْعَلْ لِذَوِي اَلْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ اَلَّذِي خَلَقَكَ وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَعْتِعٍ.

فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اَللهِ صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لاَ يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ اَلْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ.

ثُمَّ اِحْتَمِلِ اَلْخُرْقَ مِنْهُمْ وَاَلْعِيَّ وَنَحِّ عَنْهُمُ اَلضِّيقَ وَاَلْأَنَفَ يَبْسُطِ اَللهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ وَيُوجِبْ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً وَاِمْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ.

ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لاَ بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَا عَنْهُ كُتَّابُكَ وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ اَلنَّاسِ عِنْدَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ.

وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ وَاِجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اَللهِ أَفْضَلَ تِلْكَ اَلْمَوَاقِيتِ وَأَجْزَلَ تِلْكَ اَلْأَقْسَامِ وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ إِذَا صَلُحَتْ فِيهَا اَلنِّيَّةُ وَسَلِمَتْ مِنْهَا اَلرَّعِيَّةُ.

وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ لِلَّهِ بِهِ دِينَكَ إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ اَلَّتِي هِيَ لَهُ

خَاصَّةً فَأَعْطِ اَللهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اَللهِ مِنْ ذَلِكَ كَامِلاً غَيْرَ مَثْلُومٍ وَلاَ مَنْقُوصٍ بَالِغاً مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ.

فَلاَ تُطَوِّلَنَّ اِحْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّ اِحْتِجَابَ اَلْوُلاَةِ عَنِ اَلرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ اَلضِّيقِ وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ وَاَلاِحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا اِحْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ اَلْكَبِيرُ وَيَعْظُمُ اَلصَّغِيرُ وَيَقْبُحُ اَلْحَسَنُ وَيَحْسُنُ اَلْقَبِيحُ وَيُشَابُ اَلْحَقُّ بِالْبَاطِلِ.

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً فِيهِمُ اِسْتِئْثَارٌ وَتَطَاوُلٌ وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ فَاحْسِمْ مَادَّةَ أُولَئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ اَلْأَحْوَالِ.

وَلاَ تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَّتِكَ قَطِيعَةً وَلاَ يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اِعْتِقَادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ اَلنَّاسِ فِي شِرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ يَحْمِلُونَ مَئُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي اَلدُّنْيَا وَاَلْآخِرَةِ.

وَأَلْزِمِ اَلْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ اَلْقَرِيبِ وَاَلْبَعِيدِ وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ وَاِبْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ.

وَإِنْ ظَنَّتِ اَلرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ وَاِعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ وَرِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ وَإِعْذَاراً تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى اَلْحَقِّ.

وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوٍّ لَكَ عُقْدَةً أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ وَاِرْعَ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ وَاِجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ

مَا أَعْطَيْتَ فَإِنَّهُ لَيسَ مِنْ فَرَائِضِ اَللهِ شَيْءٌ اَلنَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اِجْتِمَاعاً مَعَ تَفْرِيقِ أَهْوَائِهِمْ وَتَشْتِيتِ آرَائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ اَلْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ.

وَقَدْ جَعَلَ اَللهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضَاهُ بَيْنَ اَلْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ وَحَرِيماً يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ وَيَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ فَلاَ إِدْغَالَ وَلاَ مُدَالَسَةَ وَلاَ خِدَاعَ فِيهِ وَلاَ تَعْقِدْ عَقْداً تُجَوِّزُ فِيهِ اَلْعِلَلُ وَلاَ تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ اَلتَّأْكِيدِ وَاَلتَّوْثِقَةِ.

وَلاَ يَدْعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اَللهِ إِلَى طَلَبِ اِنْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ اَلْحَقِّ فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضِيقِ أَمْرٍ تَرْجُو اِنْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ اَللهِ فِيهِ طِلْبَةٌ لاَ تَسْتَقِيلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلاَ آخِرَتَكَ.

وَإِيَّاكَ وَاَلْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ وَاَلثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا وَحُبَّ اَلْإِطْرَاءِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ اَلشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ المُحْسِنِ.

وَإِيَّاكَ وَاَلْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ أَوِ اَلتَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ فَإِنَّ اَلْمَنَّ يُبْطِلُ اَلْإِحْسَانَ وَاَلتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ اَلْحَقِّ وَاَلْخُلْفَ يُوجِبُ اَلْمَقْتَ عِنْدَ اَللهِ وَاَلنَّاسِ قَالَ اَللهُ تَعَالَى كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اَللهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ.

وَإِيَّاكَ وَاَلْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا أَوِ اَلتَّسَاقُطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا أَوِ اَللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ أَوِ اَلْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اِسْتَوْضَحَتْ فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ وَأَوْقِعْ كُلَّ عَمَلٍ مَوْقِعَهُ.

وَأَنَا أَسْأَلُ اَللهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ اَلْإِقَامَةِ عَلَى اَلْعُذْرِ اَلْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ مِنْ حُسْنِ اَلثَّنَاءِ فِي اَلْعِبَادِ وَجَمِيلِ اَلْأَثَرِ فِي اَلْبِلاَدِ وَتَمَامِ اَلنِّعْمَةِ وَتَضْعِيفِ اَلْكَرَامَةِ وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ وَاَلشَّهَادَةِ إِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ وَاَلسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ اَللهِ صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اَلطَّيِّبِينَ اَلطَّاهِرِينَ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيراً وَالسَّلَامُ(1).

سند عهد الأشتر:

إن عهد أمير المؤمنين «عليه السلام» للأشتر النخعي يعتبر من أهم الوثائق السياسية، التي تعالج قضية الحكم والإدارة وشؤون الدولة.. وقد اعتنى به المحققون والباحثون، وتناولوه بالشرح والتحليل وما فتئوا يذكرونه بالتعظيم والتجليل..

ولكن الناحية الأهم والتي كان يفترض أن تبحث قبل أي شيء آخر هي سند هذا العهد الشريف ومدى اعتباره، وإن كانت نفس مضامين هذا العهد واضحة البيان، وجلية البرهان، فهو نسيج وحده، لا يمكن لأيّ كان أن يأتي بمثله إلا إذا كان أمير المؤمنين «عليه السلام» وقائد الغر المحجّلين، أو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فهو يصل إلى حد الإعجاز أسلوباً ومضموناً على حد سواء، وإن إلقاء

---

(1) نهج البلاغة الكتاب رقم 53 وتحف العقول وبحار الأنوار وستأتي مصادره في البحث السندي إن شاء الله.

نظرة واحدة عليه مهما كانت سريعة، وعارضة لا تبقي مجالاً للشك في أن هذا لا يمكن أن يصدر إلا من تلك الدوحة الباسقة، وذلك الفكر العملاق..

وقد أخطأ البعض حين حاول التشكيك في هذا العهد، على أساس أن الطبري قد ذكر في تاريخه[1] عهداً لطاهر بن الحسين كتبه إلى ابنه عبد الله حينما ولاه ديار ربيعة.. وهو يشبه في طوله وأسلوبه ومضمونه عهد الأشتر هذا مع ملاحظة: أنه لم يذكر عهد الأشتر هذا ولا أشار إليه فلو كان ثابتاً لديه لحسنت منه الإشارة إليه.

وهذا خطأ فاضح، ووهم واضح.. فإن عهد طاهر بن الحسين لولده يختلف عن عهد أمير المؤمنين «عليه السلام» للأشتر اختلافاً بيّناً، سواء في ألفاظه ومبانيه، أو في أصوله ومعانيه.

ولو تمت هذه الشبهة لجرت على كل مأثور بعد القرن الثالث، وكل من تفرد بحديث فقهي أو بخبر تاريخي عن الأوائل، وقيل: لو صح حديثك لرواه البخاري ومسلم، أو لذكره الطبري والمسعودي[2].

كما أن من الواضح اختلاف المستوى الأدبي والعلمي فيما بين

---

(1) تاريخ الأمم والملوك (ط الإستقامة) ج7 ص160 ـ 168 حوادث سنة 206.

(2) راجع: مقدمة كتاب الراعي والرعية ص5 ـ 9 كتب المقدمة: السيد هبة الدين الشهرستاني.

العهدين، فأين الثرى من الثريا، وأين التراب من النضار.

ويمكن أن يكون طاهر قد ظفر بعهد الإمام «عليه السلام» واستفاد منه وصاغ بعض معانيه بأسلوبه الخاص..

مصادر العهد:

ومهما يكن من أمر، فإن هذا العهد الشريف قد رواه أو أشار إليه غير واحد من العلماء والمحدثين والمؤرخين، فقد أشار إليه النجاشي والشيخ الطوسي كما سياتي.

وورد نصه في نهج البلاغة، قسم الكتب، الكتاب رقم 53، ومعادن الحكمة ج1 ص109 وتحف العقول ص126 ودعائم الإسلام ج1 ص 350 وبحار الأنوار ج8 ص609 ثم شرحه، وج77 ص240 عن النهج والتحف، ومستدرك الوسائل ج3 ص195.

وأضاف العلامة المحقق الأحمدي «رحمه الله»: أنه قد نقل بعضه في كنز العمال ج15 ص166/165 عن الدينوري، وابن عساكر، ومآثر الأنافة ج3 ص6 وصبح الأعشى ج10 ص12 وجمع الجوامع ج2 ص129 ومفتاح الأفكار. انتهى كلام العلامة الأحمدي «رحمه الله».

وأشار إليه النجاشي في رجاله ص7 وذكر سنده أيضاً الشيخ في الفهرست، وسيأتي السندان معاً. وقال في معجم رجال الحديث ج3 ص222 طريق الشيخ إلى عهد مالك الأشتر صحيح.

وذكره في نهج السعادة ج5 ص58 عن جمع ممن تقدم، وقال: وروى قطعة منه مسنداً من تاريخ الشام ج38 ص87 وفي النسخة المرسلة ص193.

وذكر في مستدرك نهج البلاغة للشيخ هادي كاشف الغطاء ص218 عن مجلة المقتطف 42 ص248: أنه نقله باختصار عن نسخة السلطان بايزيد الثاني.

وفي دستور معالم الحكم ص149 شواهد لهذا العهد، وذكره في مصادر نهج البلاغة عن جمع ممن تقدم، وعن نهاية الإرب للنويري ج6 ص19.

شروح عهد الأشتر:

ثم ذكر في مصادر نهج البلاغة بعض من شرح هذا العهد مثل:

1 ـ آداب الملوك لرفيع الدين التبريزي.

2 ـ وأساس السياسة في تأسيس الرئاسة للكجوري الطهراني.

3 ـ والتحفة السليمانية للبحراني.

4 ـ والراعي والرعية لتوفيق الفكيكي.

5 ـ والسياسة العلوية لآل مظفر (خطية).

6 ـ وشرح عهد أمير المؤمنين «عليه السلام» للمجلسي.

7 ـ وشرح عهد أمير المؤمنين «عليه السلام» للمولى محمد باقر القزويني.

8 ـ وشرح عهد أمير المؤمنين «عليه السلام» للميرزا حسن القزويني.

9 ـ وشرح عهد أمير المؤمنين «عليه السلام» للميرزا محمد التنكابني.

10 ـ وشرح عهد أمير المؤمنين «عليه السلام» للشيخ هادي القائيني البيرجندي.

11 ـ وشرح الفاضل بدايع نكار المثبت في المآثر والآثار.

12 ـ ونصايح الملوك لأبي الحسن العاملي.

13 ـ ومقتبس السياسة وسياج الرئاسة للشيخ محمد عبده، إنتزع من شرحه وطبع على حدة.

14 ـ والقانون الأكبر في شرح عهد الأشتر للسيد مهدي السويج (مخطوط).

15 ـ ومع الإمام في عهده لمالك الأشتر للشيخ محمد باقر الناصري.

انتهى كلام صاحب مصادر نهج البلاغة.

ونزيد هنا: فيما يرتبط بشروحه، ما أورده السيد هبة الدين الشهرستاني في مقدمته لكتاب الراعي والرعية ص8 ـ 9 والشيخ آقا بزرك الطهراني في كتابه الذريعة ص373 ـ 375 وج15 ص353، حيث أضافا إلى شروح العهد:

1 ـ شرح الحسين الهمداني الموسوم بهدية الحسام لهداية الحكام.

2 ـ وشرح محمد صالح الروغني القزويني، من علماء القرن الحادي عشر.

3 ـ ودستور حكمت.

4 ـ وترجمه الوصال الشاعر الشيرازي المتوفي سنة 1247 ونظمه شعراً بالفارسية.

5 ـ وترجمه محمد جلال هذا العهد إلى التركية ونظمه شعراً بالتركية.

6 ـ وفرمان مبارك لجواد فاضل.

7 ـ وعنوان رياست (ترجمة لعهد أمير المؤمنين للأشتر للسيد علي أكبر بن سلطان العلماء السيد محمد النقوي اللكنهوي).

هذا كله عدا عن شرح شراح النهج له في ضمنه، كالمعتزلي وابن ميثم وغيرهما..

بقي أن نشير إلى أن صاحب الذريعة قال في ج15 ص262:

«نسخة (العهد) بخط ياقوت المستعصمي موجودة في المكتبة الخديوية بمصر تاريخ فراغها سنة ثمانين وستمائة كما في فهرسها».

ملاحظة سريعة على سندي الشيخ والنجاشي:

هذا.. ويلاحظ العلامة المحقق الأحمدي «رحمه الله» هنا: أن النجاشي والشيخ قد ذكرا سنديهما إلى عهد أمير المؤمنين لمالك

الأشتر، ولم يذكرا من نفس العهد شيئاً، فيحتمل أن يكون السند الذي ذكراه ناظراً إلى ما كتبه أمير المؤمنين لأهل مصر والذي أوله:

«من عبد الله أمير المؤمنين إلى نفر من المسلمين..

أما بعد.. فإني قد بعثت إليكم عبداً من عبيد الله، لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء الخ..».

ولاسيما بملاحظة: أن النجاشي قد عبر عن هذه الرسالة في ترجمة صعصعة بقوله: «روى عهد مالك بن الحارث الأشتر الخ..»(1).

ولكنه ـ أعني العلامة الأحمدي «رحمه الله» ـ عاد فقال: «لكن هذا الإحتمال بعيد عن عبارة الشيخ (ره)».

حيث إن الشيخ قد عبر هنا في الفهرست بقوله: «روى عهد مالك الأشتر «رحمه الله» الذي عهده إليه أمير المؤمنين «عليه السلام» لما ولاه مصر»(2).

فإن هذه العبارة ظاهرة في أن العهد كان إليه، وتلك الرسالة إنما كتبها أمير المؤمنين «عليه السلام» لأهل مصر.. وإن كان يصح

(1) رجال النجاشي ص153 و (ط جماعة المدرسين سنة 1416هـ) ص203 والغارات للثقفي ج2 ص889.

(2) الفهرست للشيخ الطوسي ص62 و 63 و (ط مؤسسة نشر الفقاهة) ص85 وألف حديث في المؤمن للنجفي ص260 ونهج السعادة ج7 ص400 .

التعبير عنها بأنها عهد له أيضاً..

هذا.. بالإضافة إلى أن الشريف الرضي قد ألف كتابه الذي فيه نسخة عهد الأشتر بمرأى ومسمع من الشيخ والنجاشي معاً، وطول هذا العهد وجامعيته للمحاسن مما يرجح الالتفات إليه، وارتكازه في الأذهان بحيث يسبق الذهن إليه في مقابل الوصية المطولة أيضاً، ولذا نجد النجاشي حينما أراد من كلمة «عهد» تلك الرسالة الأخرى ـ نجده ـ قد ألزم نفسه بإيرادها على خلاف عادته في كتابه..

سند النجاشي والشيخ للعهد:

ومهما يكن من أمر، فإننا لم نجد سنداً للعهد متصلاً إلى أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام إلا عن الشيخ النجاشي، والشيخ الطوسي رضوان الله تعالى عنهما..

وسند النجاشي هو كما يلي:

أخبرنا:

1 ـ ابن الجندي.

2 ـ عن علي بن همام.

3 ـ عن الحميري.

4 ـ عن هارون بن مسلم.

5 ـ عن الحسين بن علوان.

6 ـ عن سعد بن طريف.

7 - عن الأصبغ بالعهد[1]»[2].

أما طريق الشيخ إلى عهد الأشتر، فهو كما يلي:

أخبرنا بالعهد:

1 - ابن أبي جيد.

2 - عن محمد بن الحسن.

3 - عن الحميري.

4 - عن هارون بن مسلم، والحسن بن طريف جميعاً عن:

5 - الحسين بن علوان الكيني (الصحيح: الكبي، على الظاهر).

6 - عن سعد بن طريف.

7 - عن الأصبغ بن نباتة.

عن أمير المؤمنين «عليه السلام»[3].

---

(1) أي أخبر بالعهد.

(2) رجال النجاشي (ط مركز نشر الكتاب) ص7 و (ط مكتبة الداورى في قم) ص6 و (ط جماعة المدرسين سنة 1416هـ) ص8 وبحار الأنوار ج74 ص265 و 266 ونهج السعادة ج7 ص401 ولكننا سوف نعتمد في ما ننقله عن هذا الكتاب في هذا البحث على طبعة مركز نشر كتاب، فليلاحظ ذلك.

(3) الفهرست للشيخ (ط جامعة مشهد ـ إيران) ص63 و (ط مؤسسة نشر الفقاهة سنة 1417هـ) ص85 وخاتمة المستدرك للطبرسي ج4 ص170 و

أما بالنسبة لسند النجاشي، فإننا نقول:

1 - ابن الجندي:

واسمه أحمد بن عمران (أو عمر) والمتوفي سنة 396 وقد قال عنه آية الله الخوئي إنه ثقة[1] استناداً إلى أنه من شيوخ النجاشي.

وقال النجاشي: «أستاذنا رحمه الله ألحقنا بالشيوخ في زمانه له كتب الخ..»[2].

وقوله: ألحقنا بالشيوخ في زمانه يدل على أنه من مشايخ الإجازة، والظاهر: أن ابن الجندي هو أول من أجاز النجاشي وألحقه بالشيوخ في زمانه.

ونشير هنا إلى أمرين:

أحدهما: «صرح البهباني بأن المتعارف عدّ شيخوخة الإجازة

---

171 ونهج السعادة ج5 ص126 وج7 ص400 .

(1) معجم رجال الحديث ج22 ص171.

(2) رجال النجاشي (ط مركز نشر كتاب) ص67 و (ط جماعة المدرسين سنة 1416هـ) ص85 وعنه في معجم رجال الحديث ج2 ص294 وفي رياض العلماء ج1 ص63 وفي منتهى المقال ص44 وفي تنقيح المقال ج1 ص90 وفي جامع الرواة ج1 ص69 وفي رجال العلامة ص11 وقاموس الرجال ج1 ص415 وبهجة الآمال ج2 ص146 و 147 وخاتمة المستدرك للطبرسي ج6 ص52 وأمل الآمل ج2 ص26.

من أسباب الحسن، ونقل عن ظاهر المجلسي الأول، والميرزا محمد الأسترآبادي دلالتها على الوثاقة، وإن المحقق البحراني[1] قال: مشايخ الإجازة في أعلى درجات الوثاقة والجلالة»[2].

ويرجع ذلك إلى وجه اعتباري، وهو أن الشيخ لا يركن إليه في الإجازة إلا إذ كان ثقة، أو حسن الظاهر ممدوحاً، فيحصل من وصفه بالشيخوخة وثوق باعتباره، ولذا قال المحقق الهمداني:

«ولا شبهة في أن قول بعض المزكين بأن فلاناً ثقة، أو غير ذلك من الألفاظ التي اكتفوا بها في تعديل الرواة، لا يؤثر في الوثوق أزيد مما يحصل من إخبارهم بكونه من مشايخ الإجازة.

وعن المعراج: إن التعديل بهذه الجهة طريق كثير من المتأخرين.

وقال الشهيد الثاني «رحمه الله» في البداية: إن مشايخ الإجازة لا يحتاجون إلى التنصيص على تزكيتهم[3].

---

(1) هو الشيخ سليمان البحراني.

(2) قواعد الحديث ص173 ومقباس الهداية ص74 وخاتمة المستدرك للطبرسي ج3 ص513 ونهاية الدراية للسيد حسن الصدر ص410 والفوائد الرجالية للبهبهاني ص45.

(3) قواعد الحديث ص173 وخاتمة المستدرك للطبرسي ج3 ص514 ومفاتيح الأصول للسيد محمد الطباطبائي الكربلائي ص373 وأوثق الوسائل في شرح الرسائل ص448 وقاعدة لا ضرر لشيخ الشريعة الأصفهاني ص33 والفوائد الحائرية للوحيد البهبهاني ص226 والفوائد الرجالية للوحيد

لكن خالف في ذلك جماعة، فلم يعتبروها إلا إذا وثق الثقة مشايخه إجمالاً فيقبل كما فعل النجاشي، وهو بمنزلة التوثيق التفصيلي، أو وصف الشيخ بما أوجب مدحه، فيكون حسناً»[1].

الثاني: إننا حتى لو غضضنا النظر عما تقدم، فإن ابن الجندي المذكور في الترجمة لابد أن يحكم بوثاقته، وذلك لأن الشيخ النجاشي قد وثق مشايخه إجمالاً حسبما أشير إليه آنفاً.. وكان رحمه الله كثير التحرز من الرواية عن الضعفاء بغير واسطة كما فهمه غير واحد[2].

إذ قد صرح في ترجمة محمد بن عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن البهلول: «كان في أول الأمر ثبتاً، ثم خلط، ورأيت جل أصحابنا يغمزونه ويضعفونه، له كتب.. إلى أن قال: رأيت هذا الشيخ. وسمعت منه كثيراً، ثم توقفت عن الرواية عنه إلا بواسطة بيني وبينه»[3].

البهبهاني ص45.

(1) مقباس الهداية ص74 وقواعد الحديث ص173.

(2) راجع: تنقيح المقال ج1 ص58 ومعجم رجال الحديث ج1 ص50 و 51 وقواعد الحديث ص184 و 185 وخاتمة المستدرك ج3 ص502 و 503 وعن رجال السيد بحر العلوم ج4 ص145 و 146 ورياض العلماء ج3 ص351.

(3) رجال النجاشي ص309 و (ط جماعة المدرسين سنة 1416هـ) ص396 وكامل الزيارات ص23 ونهج السعادة ج8 ص267 والكنى والألقاب ج1 ص160 وقاموس الرجال للتستري ج9 ص387.

كما أنه في ترجمة جعفر بن محمد بن مالك، بعد أن ذكر ذمّه وتضعيفه وفساد مذهبه، قال: «ولا أدري كيف روى عنه شيخنا الثقة النبيل أبو علي بن همام، وشيخنا الجليل الثقة أبو غالب رحمهما الله»(1).

وقال في ترجمة أحمد بن محمد بن عبيد الله بن الحسن الجوهري: «كان سمع الحديث فأكثر واضطرب في آخر عمره.. إلى أن قال: رأيت هذا الشيخ وكان صديقاً لي ولوالدي، وسمعت منه شيئاً كثيراً، ورأيت شيوخنا يضعفونه، فلم أرو عنه شيئاً وتجنبته، وكان من أهل العلم والأدب القوي، وطيب الشعر، وحسن الخط رحمه الله وسامحه»(2).

فهو لا يروي عنه رغم أنه سمع منه شيئاً كثيراً، ورغم صداقته له ولوالده، ورغم المعاشرة التي بينهما لمجرد أنه رأى الأصحاب يضعفونه.

---

(1) رجال النجاشي ص94 و (ط جماعة المدرسين سنة 1416هـ) ص122 والتمحيص لابن همام الإسكافي ص15 وخاتمة المستدرك ج3 ص158 وج7 ص100 ونهج السعادة ج8 ص148 وخلاصة الأقوال ص330 ومنتقى الجمان ج1 ص40.

(2) رجال النجاشي ص67 و (ط جماعة المدرسين سنة 1416هـ) ص85 و 86 وخاتمة المستدرك ج3 ص159 والفوائد الرجالية للسيد مهدى بحر العلوم ج2 ص93 ومعجم رجال الحديث ج3 ص77.

كما أنه لا يروي عمن كان في اول أمره ثبتاً، رغم أنه سمع منه كثيراً إلا بالواسطة، لمجرد أن الأصحاب كانوا يغمزونه ويضعفونه.

كما ويتعجب من رواية الثقتين الجليلين عن رجل مذموم ومضعف، وفاسد المذهب.

وأخيراً..

فقد قال في ترجمة إسحاق بن الحسن بن بكران: «رأيته بالكوفة، وهو مجاور وكان يروي كتاب الكليني عنه، وكان في هذا الوقت غلواً، فلم أسمع منه شيئاً»(1).

ففرّع عدم روايته عنه على أن كان فيه غلو، أو علوّ..

ويلاحظ: أن النجاشي نفسه لا يغمز في أولئك الشيوخ الذين سمع منهم كثيراً، ولعله لا يوافق الأصحاب على غمزهم لهم، ولاسيما وأننا نستبعد جداً أن يتخذ لنفسه شيخاً يعرفه بالإنحراف والكذب والوضع، ثم يكثر عنه الأخذ والسماع..

وهذا يبعِّد جداً الإحتمال القائل: بأن النجاشي إنما لا يروي عمن فيه غمز، أما من لا غمز ولا مدح ولا ذم فيه فهو مسكوت عنه(2).

---

(1) رجال النجاشي ص57 و (ط جماعة المدرسين سنة 1416هـ) ص74 والفوائد الرجالية للسيد مهدى بحر العلوم ج2 ص94 ومعجم رجال الحديث ج3 ص204 و 205.

(2) نخبة المقال ص140.

ومهما يكن من أمر، فقد قال العلامة في كتابه الرجال عن ابن الجندي:

«وعبارة النجاشي حوله: وليس هذا نصاً في تعديله».

لكنه ذكره في قسم من يعتمد عليهم[1].

وعده بحر العلوم من مشايخ النجاشي، وقال: «إن النجاشي عظمه في كثير من المواضع»[2].

وفي منتهى المقال: «إن هذه العبارة ظاهرة في تعديله»، ثم قال: «والنجاشي ينقل عنه كثيراً معتمداً عليه، منه[3] في أحمد بن عامر، ويأتي في عبد الله ابنه أنه أجازه، وبالجملة لا شبهة في أنه شيخ إجازته، بل من إجلائهم..»[4]

وعده في وجيزة المجلسي في الممدوحين، وعده الفاضل المجلسي حسناً، واستجود ذلك المامقاني، ورفض عدّ صاحب الحاوي له في الضعفاء[5].

---

(1) راجع: الرجال للعلامة ص11 و 12.

(2) الكنى والألقاب ج1 ص246 وأعيان الشيعة ج3 ص141.

(3) أي من الموارد التي نقل فيها عنه معتمداً عليه ما أورده في أحمد بن عامر.

(4) منتهى المقال ص44 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث سنة 1416هـ) ج1 ص336 وقريب منه في تنقيح المقال ج1 ص90 وبهجة الآمال ج2 ص146 وطرائف المقال ج2 ص658.

(5) تنقيح المقال ج1 ص90.

ومهما يكن من أمر، فإن الرجل ممن يمكن الإعتماد على روايته، ولاسيما بملاحظة كونه من مشايخ الإجازة، وكثرة نقل النجاشي عنه، مع تعهد النجاشي بأنه لا ينقل إلا عن الثقات.

2 - علي بن همام:

الظاهر أن الصحيح: (أبو علي بن همام) فإنه هو الذي يروى عنه ابن الجندي(1)، فسقطت كلمة «أبو» وقد رود نص النجاشي عند القهبائي بإضافة لفظ «أبو» ونسخته كانت مصححة على الظاهر.

وقد استظهر التستري ذلك أيضاً وقال: «لكن الظاهر كونه محرفاً عن: (أبي علي بن همام) وهو محمد بن همام»(2).

وقد قال عنه النجاشي: «محمد بن أبي بكر همام بن سهيل الكاتب الإسكافي شيخ أصحابنا ومتقدمهم، له منزلة عظيمة، كثير الحديث الخ..»(3)، وقد توفي سنة 336 أو 332.

---

(1) رجال النجاشي (ط مركز نشر كتاب) ص294 و 94 و (ط جماعة المدرسين سنة 1416هـ) ص380 وراجع: معجم رجال الحديث ج14 ص233 وقاموس الرجال ج2 ص105.

(2) قاموس الرجال ج2 ص105.

(3) رجال النجاشي (ط مركز نشر كتاب) ص295 و (ط جماعة المدرسين سنة 1416هـ) ص379 والفهرست ص324 وعنه في معجم رجال الحديث ج14 ص233 وقاموس الرجال ج8 ص427 وراجع: جامع الرواة ج2 ص212 وتنقيح المقال ج2 قسم2 ص58 ونقد الرجال

وقال الشيخ: «محمد بن همام الإسكافي يكنى أبا علي، جليل القدر، ثقة لروايات كثيرة»[1].

ووثقه النجاشي أيضاً في ترجمة جعفر بن محمد بن مالك[2].

وقال المامقاني: «وعلى كل حال فقد وثقه في الوجيزة والبلغة والمشتركات، بل والحاوي أيضاً، ولا غمز فيه من أحد بوجه»[3].

وقال العلامة: «شيخ أصحابنا ومتقدمهم، له منزلة عظيمة، كثير الحديث، جليل القدر ثقة»[4].

ص338.

(1) الفهرست ص324 و 325 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي سنة 1417هـ) ص217 وراجع: رجال الشيخ ص494 وعنه في معجم رجال الحديث ج14 ص233 وعنهما في قاموس الرجال ج8 ص427 و (ط جماعة المدرسين سنة 1419هـ) ج9 ص642 وج11 ص435 وراجع: وسائل الشيعة (آل البيت) ج30 ص455 و (الإسلامية) ج20 ص309 ونهج السعادة ج8 ص145 .

(2) رجال النجاشي ص94 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي سنة 1416هـ) ص122 وعنه في قاموس الرجال ج8 ص428 وتنقيح المقال ج2 قسم2 ص58.

(3) تنقيح المقال ج2 قسم2 ص58.

(4) رجال العلامة ص71 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي سنة 1417هـ) ص246 ومنتهى المقال ص296 عنه.

وقال ابن داود: «ثقة جليل القدر»(1).

3 ـ الحميري:

والظاهر: أنه كما استظهره التستري أيضاً(2) هو «عبد الله بن أحمد بن جعفر بن الحسين (الحسن) بن مالك بن جامع الحميري أبو عباس القمي» شيخ القميين ووجههم(3)، فإنه هو الذي يروي عنه محمد بن الحسن بن الوليد الذي ورد في سند الشيخ المتقدم، وهو الذي يروي عن هارون بن مسلم. ولا إشكال في وثاقته. وابنه محمد ثقة أيضاً..

ومهما يكن من أمر، فقد عرفت ما قاله عنه النجاشي والشيخ رحمهما الله تعالى.

---

(1) رجال ابن داود ص339.

(2) قاموس الرجال ج2 ص105.

(3) رجال النجاشي ص162 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي سنة 1416هـ) ص193 والفهرست للشيخ ص219 ورجال ابن داود ص200 و (ط المكتبة الحيدرية) ص219 ونقد الرجال ص296 وراجع: معجم رجال الحديث ج10 ص139 و (الطبعة الخامسة سنة 1413هـ 1992م) ج11 ص148 وقاموس الرجال ج5 ص513 و 514 وجامع الرواة ج1 ص478 عنه، ومنتهى المقال ص183 و (مؤسسة آل البيت لإحياء التّراث سنة 1416هـ) ج4 ص168 وتنقيح المقال ج2 ص174 والكنى والألقاب ج2 ص198 .

وقال في مشكا[1]: «ابن جعفر ابن حسين الحميري الثقة»[2]..

وقال عنه الشيخ أيضاً: ثقة[3]، وقال أيضاً: «عبد الله بن جعفر الحميري قمي ثقة»[4]..

وقال العلامة: «شيخ القميين ووجههم، قدم الكوفة سنة نيف وتسعين ومائتين. ثقة»[5].

وقال المامقاني: «ووثقه في فرج المهموم لابن طاووس، والوسائل والوجيزة والمشتركات والحاوي وغيرهما أيضاً. ولا غمز

---

(1) رمز لكتاب المشتركات.

(2) منتهى المقال ص183 وهداية المحدثين (المعروف بمشتركات الكاظمي) ص203.

(3) الفهرست ص189 وعنه في منتهى المقال ص183 وتنقيح المقال ج2 ص174 ونقد الرجال ص196 رجال الشيخ (ط جماعة المدرسين سنة 1415هـ) ص400.

(4) رجال الشيخ ص432 ونقد الرجال ص196 وكذا في جامع الرواة ج1 ص478 عنه، ومنتهى المقال 183 وتنقيح المقال ج2 ص174 ومعجم رجال الحديث (الطبعة الخامسة سنة 1413هـ 1992م) ج11 ص150.

(5) رجال العلامة ص52 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي سنة 1417هـ) ص194 ومنتهى المقال ص183 عنه، وتنقيح المقال ج2 ص174 وراجع: رجال النجاشي (ط جماعة المدرسين سنة 1416هـ) ص219 ورجال ابن داود ص117 و 219 والكنى والألقاب ج2 ص198 ومعجم رجال الحديث (الطبعة الخامسة سنة 1413هـ 1992م) ج11 ص148.

فيه من أحد بوجه من الوجوه»[1].

4 ـ هارون بن مسلم:

قال عنه النجاشي: ثقة وجه[2] وقال في الوجيزة: ثقة[3].

وذكره في الحاوي وابن حبان في قسم الثقات[4].

ووصف العلامة طريق الصدوق «رحمه الله» إلى القاسم بن عروة بالصحة. وهارون بن مسلم هذا في الطريق[5].

---

(1) تنقيح المقال ج2 ص174.

(2) رجال النجاشي ص342 و (ط جماعة المدرسين سنة 1416هـ) ص438 ورجال العلامة ص87 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي سنة 1417هـ) ص291 وعنهما جامع الرواة ج2 ص307 ومنتهى المقال ص320 وتنقيح المقال ج3 ص285 وقاموس الرجال ج9 ص383 ونقد الرجال ص366 ومعجم رجال الحديث ج19 ص229 و (الطبعة الخامسة سنة 1413هـ 1992م) ج20 ص251 ورجال ابن داود ص283 و 210 وقاموس الرجال ج10 ص477 وخاتمة المستدرك ج5 ص250.

(3) منتهى المقال ص320 وتنقيح المقال ج3 ص285.

(4) منتهى المقال ص320 وتنقيح المقال ج3 ص285 والثقات لابن حبان ج7 ص579 و (ط مؤسسة الكتب الثقافية سنة 1393هـ) ص581 وتهذيب التهذيب ج11 ص6 وراجع: تاريخ بغداد ج14 ص23.

(5) خلاصة الأقوال ص441 ومنتهى المقال ص320 و (مؤسسة آل البيت لإحياء التّراث) ج6 ص408 وتنقيح المقال ج3 ص285 وخاتمة المستدرك ج5

ووثقه البحراني في البلغة[1] ثم تنظر فيه. ولعل سببه قول النجاشي: له مذهب في الجبر والتشبيه.

والظاهر: أن هذه التهمة لذكرهم الروايات الدالة على ذلك في كتبهم[2].

5 ـ الحسين بن علوان:

قال النجاشي: «الحسين بن علوان الكلبي مولاهم كوفي عامي ـ وأخوه الحسن يكنى أبا محمد ـ ثقة. رويا عن أبي عبد الله «عليه السلام»، وليس للحسين كتاب، والحسن أخص بنا وأولى»[3].

وهذا التوثيق راجع إلى الحسين بن علوان، لا إلى أخيه الحسن،

ص250.

(1) تنقيح المقال ج3 ص285.

(2) راجع: منتهى المقال ص320 وتنقيح المقال ج3 ص285 وقاموس الرجال ج9 ص384 فإن الصدوق يذكر أن سبب نسبتهم إلى ذلك هو ذلك، وكذا الشيخ يذكر هذا في العدة.

(3) رجال النجاشي ص41 و (ط جماعة المدرسين سنة 1416هـ) ص52 وراجع: الفهرست ص107 ونقد الرجال ص107 ومنتهى المقال ص96 و (مؤسسة آل البيت لإحياء التّراث) ج6 ص406 وتنقيح المقال ج1 ص289 وقاموس الرجال ج3 ص192 و 301 ومعجم رجال الحديث ج4 ص382 وج6 ص31 ورجال العلامة و (ط مؤسسة النشر الإسلامي سنة 1417هـ) ص338.

لأن الترجمة له، وجملة: وأخوه الحسن يكنى أبا محمد معترضة، قال الخوئي: «وقد تكرر ذلك في كلام النجاشي في عدة موارد منها في ترجمة محمد بن أحمد بن عبدالله أبي الثلج»(1).

أما الكشي فقد عده في جملة جماعة قال عنهم: «هؤلاء من رجال العامة، إلا أن لهم ميلاً ومحبة شديدة»(2).

وقال ابن عقدة: «إن الحسن كان أوثق من أخيه وأحمد عند أصحابنا»(3).

---

(1) معجم رجال الحديث ج4 ص383 و (الطبعة الخامسة سنة 1413هـ 1992م) ج5 ص376.

(2) رجال الكشي ص390 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج2 ص687 وراجع جامع الرواة ج1 ص247 ونقد الرجال ص107 ومنتهى المقال ص111 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث سنة 1416هـ) ج3 ص54 وتنقيح المقال ج1 ص336 و 289 ومعجم رجال الحديث (الطبعة الخامسة سنة 1413هـ 1992م) ج7 ص34 وقاموس الرجال للتستري ج9 ص98 وج12 ص68.

(3) رجال العلامة ص103 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي سنة 1417هـ) ص338 وراجع: جامع الرواة ج1 ص247 ونقد الرجال ص107 ومنتهى المقال ص111 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث سنة 1416هـ) ج2 ص406 وتنقيح المقال ج1 ص336 وقاموس الرجال ج3 ص192 و 301 ومعجم رجال الحديث (الطبعة الخامسة سنة 1413هـ 1992م) ج7 ص34.

قال الخوئي: «أقول في كلام ابن عقدة دلالة على وثاقة الحسين وكونه محموداً»(1).

وقال في الوجيزة عنه: «موثق على الأظهر وقيل ضعيف».

وذكرهما كليهما في الحاوي في الموثقين ثم في الضعاف فتأمل.

وفي مشكا: «ابن علوان الثقة عنه هارون بن مسلم»(2).

6 - سعد بن طريف:

قال الشيخ عنه:

«سعد بن طريف الحنظلي، الإسكاف، مولى بني تميم الكوفي، ويقال سعد الخفاف، روي عن الأصبغ بن نباتة، وهو صحيح الحديث»(3).

---

(1) معجم رجال الحديث ج6 ص31 و (الطبعة الخامسة سنة 1413هـ 1992م) ج7 ص34.

(2) منتهى المقال (ط قديمة) ص96 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث سنة 1416هـ) ج2 ص408 وهداية المحدثين (المعروف بمشتركات الكاظمي) ص45.

(3) رجال الشيخ ص92 (ط جماعة المدرسين سنة 1415هـ) ص115 وعنه في المصادر التالية: رجال العلامة ص108 ومنتهى المقال ص144 وجامع الرواة ج1 ص354 ونقد الرجال ص148 وتنقيح المقال ج2 ص5 ومعجم رجال الحديث ج8 ص62 وقاموس الرجال ج4 ص324 و 325

وقد فهم الشهيد الثاني من هذه العبارة كونه «ثقة ضابطاً، ففيه زيادة تزكية»(1).

وكذا فهم المامقاني منها حيث قال:

«إن هذه الكلمة إذا وردت في كلام القدماء فلا ريب ولا شبهة في إفادتها مدح الراوي مدحاً كاملاً في روايته، بل في نفسه ايضاً، وكون روايته من القوي، وفي إفادته كونه عادلاً وجهان، أظهرهما ذلك»(2).

ثم ناقش قول من قال: إنها لا تفيد توثيقاً للراوي، لأن المراد بالصحيح ما وثقوا بصدوره عن المعصوم ولو لأجل القرائن الداخلية، فيكون دلالته على الحسن أو المدح أدون من دلالة قولهم: فلان ثقة في الحديث، إذ دلالته على وثقاته الحديث إنما هو من جهة وثاقة الراوي نفسه(3).

ناقش المامقاني ذلك: بأن ثمة فرقاً بيناً بين قولهم: حديث صحيح وهذا هو مستند ذلك القائل، وبين قولهم صحيح الحديث، فإن الأول وصف للحديث، والثاني وصف للراوي. والأول يجامع ما لو كان

و(الطبعة الخامسة سنة 1413هـ 1992م) ج7 ص71 والتحرير الطاووسي ص265.

(1) الرعاية في علم الدراية (حديث) للشهيد الثاني ص76 و (نشر مكتبة المرعشي سنة 1408هـ) ص204 وخاتمة المستدرك ج7 ص66.

(2) مقباس الهداية ص70.

(3) راجع نتيجة المقال في علم الرجال ص64 ومقباس الهداية ص70.

منشأ الوثوق إمارات أخر بخلاف الثاني، فإن من يوثق بصدور جميع رواياته عن المعصوم هو العدل الإمامي الضابط[1].

ثم قال:

«فالذي يظهر لي: أن قولهم: صحيح الحديث ليس بأضعف من قولهم: ثقة في الحديث، إن لم يكن أقوى منه. بل الأظهر أنه أقوى منه»[2]. ثم أيد استظهاره بما تقدم عن الشهيد الثاني.

نعم.. هذا ما قاله الشيخ عن سعد بن طريف، وهذا ما فهمه العلماء منه.

ولكن النجاشي قال عنه: «يعرف وينكر». قال: وكان قاضياً[3] وزاد ابن داود: في حديثه نظر[4].

---

(1) مقباس الهداية ص70.

(2) المصدر السابق.

(3) الظاهر أن الصحيح: «وكان قاصاً» كما سيظهر من الرواية التالية، وعبارة منتهى المقال ص144 وقاموس الرجال ج4 ص324 عن النجاشي «قاصاً». وأكد على ذلك في قاموس الرجال ص325 ج4 وراجع ج3 ص301 وحققه في تنقيح المقال ج3 ص16 وراجع كذلك هامش ص15 ومعجم رجال الحديث ج6 ص31 و 32.

(4) راجع: رجال النجاشي ص135 و (ط جماعة المدرسين سنة 1416هـ) ص178 ورجال ابن داود ص456 ورجال العلامة ص108 ومنتهى المقال ص144 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث سنة 1416هـ) ج2

فإذا اعتبرنا أن هذا قدح في روايته لا في نفسه، فقد يكون ثقة في نفسه لكن حديثه يعرف وينكر(1).. فقد تعارض جرح النجاشي مع تعديل الشيخ لرجوع كليهما إلى نفس الحديث، لا إلى المحدث والجرح المقدم. ولاسيما إذا كان من النجاشي..

أضف إلى ذلك: إن حمدويه قال: كان ناووسياكان ناووسياً(2).

وقال ابن الغضائري: إنه ضعيف(3)..

ص321 وجامع الرواة ج1 ص354 ونقد الرجال ص148 وتنقيح المقال ج2 ص15 وقاموس الرجال ج4 ص324 و 325 ومعجم رجال الحديث ج8 ص67 و (الطبعة الخامسة سنة 1413هـ 1992م) ج9 ص70 وراجع: الفهرست ص152 والتحرير الطاووسي ص265.

(1) منتهى المقال في علم الرجال ص95.

(2) راجع: رجال الكشي ص215 ورجال ابن داود ص456 و (منشورات المطبعة الحيدرية سمة 1392هـ) ص247 و 101 ورجال العلامة ص108 ومنتهى المقال ص144 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث سنة 1416هـ) ج2 ص321 و 322 وتنقيح المقال ص12 و 15 وفيها عن التحرير الطاووسي، وجامع الرواة ج1 ص353 و 355 ونقد الرجال ص148 وقاموس الرجال ج4 ص324 و 325 ومعجم رجال الحديث ج8 ص69.

(3) رجال العلامة ص108 ومنتهى المقال ص144 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث سنة 1416هـ) ج2 ص322 وجامع الرواة ج1 ص355 وتنقيح المقال ج2 ص15 وقاموس الرجال ج4 ص324 و 325 ومعجم رجال الحديث ج8

وقال في الحاوي: إن الأرجح كلام الكشي الذي نقله العلامة، وهو الموجود في كتابه، والنجاشي، فالرجل ضعيف لما ذكر، مع تأييد كلام ابن الغضائري له، وصحة الحديث على تقدير دلالته على التوثيق لا يعارض ذلك(1).

قال المامقاني: «وظاهره طرح روايته، حتى ما رواه في زمان استقامته الخ..»(2).

ولكن قال ابن داود الحلي: «قيل: كان ناووسياً ولم يثبت»(3).

وقال الأردبيلي: «والأولى التوقف فيه وفي روايته. وجواز إخراجها شاهداً»(4).

وقال المامقاني: «بل لعله مراد النجاشي أيضاً أي يعرف حديثه الذي صدر منه في زمان استقامته، وينكر حديثه الذي رواه في حال انحرافه»(5).

ص68.

(1) تنقيح المقال ج2 ص15.

(2) المصدر السابق.

(3) رجال ابن داود ص168 و (منشورات المطبعة الحيدرية سمة 1392هـ) ص102.

(4) جامع الرواة ج1 ص355.

(5) تنقيح المقال ج2 ص15.

وقال: «وقول النجاشي إنه يعرف وينكر يراد به على الظاهر: كون حديثه يرد مرة مقبولاً للعقول، ولظواهر الكتاب والسنة، ومرة لا كذلك، ككون الصلاة تتكلم، وكون الفحشاء والمنكر أسماء رجال، وكون ذكر الله أكبر الأئمة «عليهم السلام»، وقد تتبعت كثيراً من موارد قولهم في رجل يعرف حديثه وينكر، فوجدتها على هذه الصفة، ووجدت ما ينكر منها عندهم قد ثبتت صحته بالبراهين الصريحة، وصار من ضروريات مذهب الإمامية اليوم.

أما حديث وقفه على الصادق «عليه السلام» فهو إنما ينتج رد رواياته عن غيره ولم يثبت أنه أدرك غير زمن الصادق «عليه السلام» الذي يعتقد إمامته، وإن كان آخر الأئمة «عليه السلام» بزعمه، وإن أبيت عن ذلك كان اللازم عد رواياته عن الصادق «عليه السلام» من قسم الموثوق كالصحيح على ما اصطلح عليه علماء الدراية الخ..»(1).

وبعد أن استظهر السيد الخوئي «رحمه الله» وثاقته دفع المعارضة بين قولي الشيخ والنجاشي عنه بقوله: «ولا يعارض ذلك قول النجاشي: يعرف وينكر، وذلك لأن المراد بذلك: أنه قد يروي ما لا تقبله العقول العادية المتعارفة وهو لا ينافي الوثاقة، ولا ما عن ابن الغضائري من تضعيفه إياه، فإنا قد ذكرنا أنه لم يثبت صحة نسبة

(1) المصدر السابق.

الكتاب إليه، فلم يعلم صدور التضعيف منه»[1].

وخلاصة القول: إن المراد بالإنكار إن كان هو أن أحاديثه مختلطة ومرفوضة، لأن فيها الصحيح وغيره، فشهادة النجاشي تعارض شهادة الطوسي. وإن كان المراد به: أنها غريبة، لا يتعقلها الإنسان الاعتيادي لم يكن ثمة معارضة بينهما، لأن إنكار العقول، وعدم قبولها للحديث لا تنافي صحته، والظاهر هو صحة هذا التوجيه، فإن هذا الرجل قد كان قاصاً كما تدل عليه رواية الكشي:

«حدثني حمدويه بن نصير قال: حدثني محمد بن عيسى ومحمد بن مسعود، قال: وحدثني محمد بن نصير قال: حدثني محمد بن عيسى، قال حدثني الحسن بن علي بن يقطين عن حفص بن محمد المؤذن عن سعد الإسكاف قال:

قلت لأبي جعفر «عليه السلام»: إني أجلس فأقص، وأذكر حقكم وفضلكم، قال: وددت أن على كل ثلاثين ذراعاً قاصاً مثلك»[2].

---

(1) معجم رجال الحديث ج8 ص70 و (الطبعة الخامسة سنة 1413هـ 1992م) ج9 ص72.

(2) رجال الكشي ص214 و 215 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء) ج2 ص476 ومعجم رجال الحديث ج8 ص68 و 69 و (الطبعة الخامسة سنة 1413هـ 1992م) ج9 ص72 وقاموس الرجال ج4 ص324 وتنقيح المقال ج2 ص12 ومنتهى المقال ص144 ونقد الرجال ص148 وجامع الرواة ج1 ص353 وراجع: مستدرك سفينة البحار ج2 ص74

وواضح: أن عمل القاص هو أن يقص على الناس ما يجلب انتباههم، ويؤثر في نفوسهم، وكثير منهم يأتي بالغرائب والعجائب، وفضائل الأئمة فيها الكثير مما يمكن أن يثير عجب الناس واستغرابهم، ولأجل ذلك نجده هو نفسه لا يدري كيف يخبر الناس ببعض الأمور التي ذكرها له الإمام «عليه السلام»، حينما أخبره أن القرآن يتكلم، والصلاة تتكلم، ولها صورة وخلق، تأمر وتنهى قال سعد: فتغير لوني وقلت هذا شيء لا أستطيع أن أتكلم به في الناس..

ثم إن الإمام فسر له: أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر بقوله: فالنهي كلام، والفحشاء والمنكر رجال، ونحن ذكر الله، ونحن أكبر(1).

ومما يؤيد هذا التفسير: أننا نجد الفلاس يقول عنه: «إنه يفرط في التشيع»(2).

ولعل منشأ ذلك: هو أنه يروي في حق الأئمة وفضلهم ما لا تقبله العقول العادية، ولا تستسيغه أذواق هؤلاء المنحرفين عنهم «عليهم السلام»..

---

(1) قاموس الرجال ج4 ص325 وتنقيح المقال ج2 ص15 وراجع: الكافي ج2 ص596 - 598 وبحار الأنوار ج7 ص319 - 321 وتفسير نور الثقلين ج4 ص161 .

(2) ميزان الإعتدال ج2 ص123.

وبعد.. فإننا إذا استظهرنا أن يكون مراد النجاشي ذلك، بل وحتى لو شككنا فيه فإن كلام النجاشي لا يعود صالحاً لمعارضة كلام الشيخ الذي هو نص صريح في صحة روايته.

بل لقد رأينا البعض يقول: إن التعبير بـ «يعرف وينكر» ونحوه كما لا ينافي وثاقة الراوي كذلك لا يفيد القدح في الحديث، قال: «وأما القدح بالنسبة إلى الحديث وجرحه، فالصريح من البعض: لا، حيث ذكر بأنها ليست من أسباب الجرح وضعف الحديث على رواية المتأخرين.

نعم، هي من أسباب المرجوحية»[1]..

وإن كان الظاهر: أن معنى قولهم: «مختلط الحديث»: أنه يروي عن الضعفاء، ويروي عن المجاهيل، ويرسل الأخبار ولا يبالي.. وهذا من موجبات الضعف[2].

أضف إلى ذلك كله: أن عهد الأشتر ليس من قسم ما تمجه الأذواق، ولا تستسيغه العقول.

وأخيراً.. فيكفي في ترجيح كلام الشيخ أننا نجد جمعاً كبيراً ممن يروي عن هذا الرجل، بل أكثر من يروي عنه هم من كبار العلماء والثقات. ويعتبر هذا من مرجحات الوثاقة كما هو معلوم..

---

(1) نتيجة المقال في علم الرجال ص95 ومقباس الهداية ص80 و 81.

(2) نتيجة المقال في علم الرجال ص95.

7 ـ أصبغ بن نباتة:

أما أصبغ بن نباتة، فلا نرى أننا بحاجة إلى الإسهاب في إثبات وثاقته، وحسبه أنهم يعبرون عنه: إنه «من خاصة أمير المؤمنين»(1).

وأضاف العلامة قوله: «وهو مشكور»(2).

وجاء في حديث: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد اعتبره أحد ثقاته..(3).

وقال نصر ما ملخصه ـ والعبارة للتستري ـ:

«كان أصبغ من ذخائر أمير المؤمنين «عليه السلام» ممن قد بايعه على الموت، وكان من فرسان أهل العراق، وكان «عليه

---

(1) الفهرست للشيخ الطوسي ص62 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص85 وجامع الرواة ج1 ص106 ورجال العلامة ص13 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي سنة 1417هـ) ص77 ونقد الرجال ص49 ورجال ابن داود ص60 ورجال النجاشي ص7 و (ط جماعة المدرسين سنة 1416هـ) ص8 وقاموس الرجال ج2 ص104 و 103 ومعجم رجال الحديث (الطبعة الخامسة سنة 1413هـ 1992م) ج4 ص132.

(2) رجال العلامة ص13 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي سنة 1417هـ) ص77 وجامع الرواة ج1 ص106 وطرائف المقال ج2 ص74.

(3) قاموس الرجال ج2 ص104 و 105 عن الوسائل ومعادن الحكمة. وقال ص107: «إن هذا الخبر هو خبر رسائل الكليني، والأصل في نقله ابن طاووس في آخر كشف المحجة»، وراجع كشف المحجة ص174.

السلام» يضن به على الحرب والقتال، وكان شيخاً ناسكاً عابداً. وحضض علي «عليه السلام» أصحابه، فقام إليه الاصبغ فقال: إنك جعلتني على شرطة الخميس، وقدمتني في الثقة دون الناس، وإنك اليوم لا تفقد مني صبراً ولا نصراً الخ..[1].

النتيجة:

وبعد كل ما تقدم فإن النتيجة هي: أن سند النجاشي إلى عهد الأشتر معتبر ويمكن التعويل عليه. وهو وإن لم يكن موثقاً، فلا أقل من كونه حسناً.

سند الشيخ:

وأما سند الشيخ إليه فهو أيضاً كذلك.. بل لقد نص السيد الخوئي «رحمه الله»: على أن سند الشيخ إلى هذا العهد صحيح[2].

والحق أنه موثق، أو حسن لوجود من هو عامي في سنده، ولعل مراده بالصحيح الأعم منه ومن الموثق.

ومهما يكن من أمر.. فإن عدداً من الرواة في سند الشيخ هم أنفسهم قد وردوا في سند النجاشي، وذلك ابتداءً من الحميري

---

(1) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص82 وصفين للمنقري ص242 و243 و 406 والنص مختلف، واخترنا نص قاموس الرجال ج2 ص107.

(2) معجم رجال الحديث ج3 ص222.

فصاعداً..

نعم.. يوجد ثلاثة أشخاص في سند الشيخ لابد من البحث عنهم وهم:

1 - ابن أبي جيد.

2 - أحمد بن الحسن.

3 - الحسن بن ظريف.

فلابد من الإشارة الموجزة إلى حالهم أيضاً..

فنقول:

1 - ابن أبي جيد:

وهو علي بن أحمد بن محمد بن أبي جيد.

قال الأصبهاني: «كان من مشايخ النجاشي والشيخ الطوسي، كما صرحا بذلك في مواضع عديدة من رجاليهما، وفي سائر كتب الشيخ وباقي الأصحاب أيضاً.

وهو يروي عن جماعة منهم محمد بن الحسن بن الوليد الخ.. كما يظهر من مطاوي فهرس الشيخ ورجال النجاشي وغيرهما»[1].

وقال الميرزا محمد الأسترآبادي: «ظاهر الأصحاب الإعتماد عليه، ويعد طريق هو فيه حسناً أو صحيحاً كما هو لا يخفى، وفي

---

(1) رياض العلماء ج3 ص349 و 350.

نص قال المحقق البحراني: إكثار الشيخ الرواية عنه في الرجال وكتابي الحديث يدل على ثقته وعدالته، وفضله، كما ذكره بعض المعاصرين يعني خالي، والمحقق الداماد رحمهما الله»(1) انتهى.

وقال ميرزا عبد الله أفندي: «وأقول: الحق أن هذا الشيخ من الثقات الموثوق بهم»(2).

وقال نظام الدين القرشي في نظام الأقوال: «..وهو غير مذكور في كتب الرجال بمدح ولا ذم، لكن شيخنا دام ظله البهي قال: إنه وأمثاله من مشايخ الأصحاب لنا حسن ظن بحالهم وعدالتهم. وقد عددت حديثهم في الصحيح جرياً على عنوان مشائخنا المتأخرين»(3).

وقال الشيخ فخر الدين الطريحي:

«كثرت رواية الشيخ عنه، حتى آثر الشيخ الرواية عنه غالباً على الرواية عن المفيد، لإدراكه محمد بن الحسن بن الوليد، وروايته عنه بغير واسطة بخلاف المفيد»(4).

وقال الشيخ البهائي:

---

(1) منتهى المقال ص356 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التّراث) ج7 ص292 وراجع: رياض العلماء ج3 ص350.

(2) رياض العلماء ج3 ص351.

(3) رياض العلماء ج3 ص351.

(4) جامع المقال ص180 وعنه في رياض العلماء ج3 ص351 والرسائل الرجالية للكلباسي ج3 ص79 وفائق المقال ص46.

«لم أظفر في كتب الرجال ما يدل على توثيقه، لكن العلامة في المنتهى والمختلف، وشيخنا الشهيد في الذكرى وصفا روايته بالصحة..

إلى أن قال: والمستفاد بعد التتبع: أن الرجل من وجوه أصحابنا، من رجال العسكري «عليه السلام». وقد روى عنه أكابر هذه الطائفة كالشيخ الجليل أحمد بن عبد الله الأشعري وغيره. وظني عد روايته من الحسان»[1].

2 ـ محمد بن الحسن:

أي محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد (كما ذكره التستري وغيره)[2] شيخ القميين وفقيههم. ولعل شهرته تغني عن التعريف به، ولكننا مع ذلك نشير إلى قول كل من الشيخ والنجاشي فيه، وكفى.

قال النجاشي: «شيخ القميين وفقيهم ووجههم، ويقال: إنه نزيل قم، وما كان أصله منها، ثقة ثقة عين مسكون إليه»[3].

---

(1) هامش جامع المقال ص180.

(2) قاموس الرجال ج2 ص105 وراجع: جامع المقال ص180 وغير ذلك.

(3) رجال النجاشي ص297 و (ط جماعة المدرسين سنة 1416هـ) ص383 وراجع: رجال ابن داود (ط المكتبة الحيدرية) ص168 ومنتهى المقال (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث سنة 1416هـ) ج6 ص9 ومعجم رجال الحديث (الطبعة الخامسة سنة 1413هـ 1992م) ج16 ص219 وقاموس

وقال الشيخ: «جليل القدر، عارف بالرجال، موثوق به»[1].

وقال: «جليل القدر، بصير بالفقه ثقة»[2].

3 ـ الحسن بن ظريف:

قال النجاشي وغيره: ثقة[3].

وقد اتضح من كل ما تقدم: أن سند كل من الشيخ والنجاشي إلى عهد الأشتر «رحمه الله» معتبر ومقبول لا غبار عليه.. وحسبنا ما ذكرناه، فإن فيه الكفاية لمن أراد الرشد والهداية.

الرجال للتستري ج9 ص190.

(1) الفهرست ص384 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص237 ومنتهى المقال ج6 ص25 ومعجم رجال الحديث (الطبعة الخامسة سنة 1413هـ 1992م) ج16 ص220 وقاموس الرجال للتستري ج9 ص190.

(2) رجال الطوسي ص439 ورجال ابن داود (ط المكتبة الحيدرية) ص170 ومنتهى المقال (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث سنة 1416هـ) ج6 ص10 ومعجم رجال الحديث (الطبعة الخامسة سنة 1413هـ 1992م) ج16 ص220 وقاموس الرجال للتستري ج9 ص191.

(3) رجال النجاشي ص48 و (ط جماعة المدرسين سنة 1416هـ) ص61 وراجع: الفهرست ص90 ونقد الإيضاح بهامش نفس الصفحة، ورجال العلامة ص43 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي سنة 1417هـ) ص107 ومعجم رجال الحديث (الطبعة الخامسة سنة 1413هـ 1992م) ج5 ص359 وجامع الرواة ج1 ص204.

الفصل الخامس:

مصر في يد الأعداء

معاوية يهاجم مصر:

قال الطبري:

«إنه بعد حرب صفين ما كان لمعاوية همّ إلا مصر، وكان لأهلها هائباً خائفاً لقربهم منه، وشدتهم على من كان على رأى عثمان، وقد كان على ذلك علِم أن بها قوماً قد ساءهم قتل عثمان، وخالفوا علياً «عليه السلام»، وكان معاوية يرجو أن يكون إذا ظهر عليها ظهر على حرب علي، لعظم خراجها.

قال: فدعا معاوية من كان معه من قريش..»[1].

وشاورهم في أمر مصر، فاستقر رأيهم على مهاجمتها، فسار إليها عمرو بن العاص في ستة آلاف.

ويتابع الطبري:

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص97 - 101 و (ط الأعلمي) ج4 ص73 - 77 وراجع: نهاية الأرب في فنون الأدب ج20 ص247.

«..حتى نزل أداني أرض مصر، فاجتمعت العثمانية إليه، فأقام بهم، وكتب إلى محمد بن أبي بكر:

أما بعد..

فتنح عنى بدمك يا ابن أبي بكر، فإني لا أحب أن يصيبك منى ظفر. إن الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك، ورفض أمرك، وندموا على اتباعك، فهم مسلموك لو قد التقت حلقتا البطان, فاخرج منها، فإني لك من الناصحين, والسلام.

وبعث إليه عمرو أيضاً بكتاب معاوية إليه:

أما بعد..

فإن غب البغي والظلم عظيم الوبال، وإن سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من النقمة في الدنيا، ومن التبعة الموبقة في الآخرة. وإنا لا نعلم أحداً كان أعظم على عثمان بغياً، ولا أسوأ له عيباً، ولا أشد عليه خلافاً منك.

سعيت عليه في الساعين، وسفكت دمه في السافكين, ثم أنت تظن أنى عنك نائم، أو ناس لك حتى تأتى فتأمَّر على بلاد أنت فيها جاري، وجل أهلها أنصاري، يرون رأيي، ويرقبون قولي، ويستصرخوني عليك.

وقد بعثت إليك قوماً حناقاً عليك، يستسقون دمك، ويتقربون إلى الله بجهادك، وقد أعطوا الله عهداً ليمثلن بك. ولو لم يكن منهم إليك ما عدا قتلك ما حذرتك، ولا أنذرتك، ولأحببت أن يقتلوك

بظلمك وقطيعتك، وعدوك على عثمان يوم يطعن بمشاقصك بين خششائه(1) وأوداجه.

ولكن أكره أن أمثل بقرشي، ولن يسلمك الله من القصاص أبداً؟! أينما كنت. والسلام.

قال: فطوى محمد كتابيهما، وبعث بهما إلى علي «عليه السلام»، وكتب معهما:

أما بعد..

فإن ابن العاص قد نزل أداني أرض مصر، واجتمع إليه أهل البلد جلهم ممن كان يرى رأيهم، وقد جاء في جيش لجب خُرَّاب، وقد رأيت ممن قبلي بعض الفشل، فإن كان لك في أرض مصر حاجة فأمدني بالرجال والأموال، والسلام عليك.

فكتب إليه على «عليه السلام»:

أما بعد..

فقد جاءني كتابك، تذكر أن ابن العاص قد نزل بأداني أرض مصر في لجب من جيشه خُرَّاب، وأن من كان بها على مثل رأيه قد خرج إليه، وخروج من يرى رأيه إليه خير لك من إقامتهم عندك.

وذكرت أنك قد رأيت في بعض ممن قبلك فشلاً، فلا تفشل وإن فشلوا. حصِّن قريتك، واضمم إليك شيعتك، واندب إلى القوم كنانة بن

(1) الخششاء: العظم الدقيق، العاري من الشعر، الناتئ خلف الأذن.

بشر المعروف بالنصيحة والنجدة والبأس، فإني نادب إليك الناس على الصعب والذلول.

فاصبر لعدوك، وامض على بصيرتك، وقاتلهم على نيتك، وجاهدهم صابراً محتسباً، وإن كانت فئتك أقل الفئتين، فإن الله قد يعز القليل، ويخذل الكثير.

وقد قرأت كتاب الفاجر ابن الفاجر معاوية، والفاجر ابن الكافر عمرو، والمتحابين في عمل المعصية، والمتوافقين المرتشيين في الحكومة، المنكرين في الدنيا، قد استمتعوا بخلاقهم كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقهم، فلا يَهُلْكَ إرعادهما وإبراقهما، وأجبهما إن كنت لم تجبهما بما هما أهله، فإنك تجد مقالاً ما شئت. والسلام(1).

ونقول:

كتاب علي × هو الأهمُّ:

1 - إستطاع معاوية أن يتخلص من الأشتر بدس السم إليه، ولما يصل إلى مصر.. وإلى أن يتدبر علي «عليه السلام» أمر مصر، قرر معاوية أن يعاجل محمد بن أبي بكر، قبل أن تتطور الأمور، ويعيد

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص101 و 102 و (ط الأعلمي) ج4 ص75 - 77 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص84 والغارات للثقفي ج1 ص276 - 280 وبحار الأنوار ج33 ص558 والبداية والنهاية ج7 ص315 وراجع: أنساب الأشراف ج3 ص169 و 170.

علي «عليه السلام» إليها شخصاً آخر، كقيس بن سعد مثلاً، فإن معاوية في هذه الحال سوف يغسل يده من مصر نهائياً..

فقرر أن يرسل عمرو بن العاص لكي ينسق مع معاوية بن حديج، ويقتلا محمد بن أبي بكر وينتهي الأمر.. وهكذا كان.

ولما بلغ عمرو بجيشه أداني مصر، انضم إليه من هم على مثل رأيه، واستفحل أمره، وقد جمع ذلك العدو جميع من قدر عليه من أنصاره، وكان معاوية بن حديج قد هيأ الأجواء، وجمع طائفة كبيرة من العثمانية حوله أيضاً..

ثم أرسل عمرو كتاب معاوية، وكتب هو كتاباً آخر، وأرسلهما إلى محمد بن أبي بكر، فوجد محمد نفسه فجأة في المأزق الكبير والخطير، فاستنجد بأمير المؤمنين «عليه السلام»، ولكن بعد فوات الأوان، لأن العدو أصبح في عقر داره وعلى أرضه.

وقد يهاجمه عمرو ومن معه حتى قبل أن يبعث بالكتاب إلى علي «عليه السلام»، أو بعده بمدة وجيزة. فمتى يجمع علي «عليه السلام» الجيش لنجدة محمد، ومتى يصلون إلى مصر؟!

2 ـ ولأجل ذلك: كان لا بد لأمير المؤمنين «عليه السلام» أن يكتب لمحمد «رحمه الله» بتوجيهاته، ثم يبادر هو إلى جمع الجيوش، وإرسالهم.. فلعل عمرواً يتأخر في هجومه، أو لعل محمداً يتمكن من مطاولته في الحرب بنحو أو بآخر إلى أن تصل إليه النجدة..

3 ـ قد عبَّر محمد عن استيائه من خروج طائفة من الناس إلى

عمرو ليكونوا معه، فلفت «عليه السلام» نظره إلى أن خروجهم وإن كان أمراً شنيعاً وسيئاً في نفسه، ولكنه لا يغير من الأمور شيئاً، بل رب ضارة نافعة، لأن بقاء أمثال هؤلاء بين أهل الإستقامة والإيمان قد يكون مضراً جداً في أكثر من اتجاه. فهم يدلون العدو على نقاط الضعف في صفوف المؤمنين، ويخبرونه بخططهم. وربما كانوا سبباً في إحداث البلابل والقلاقل في داخل المجتمع الإيماني.. وقد يكونون من أسباب إضعاف عزائم الناس بشائعاتهم المغرضة.. إلى غير ذلك من أدواء وأسواء، تكون منهم..

معالجة الإحباط:

1 ـ إنه «عليه السلام» أوصى محمداً أيضاً، بأن لا يتأثر بفشل غيره، فيسمح للفشل والخوف والضعف بالتسلل إلى قلبه ونفسه.. وهذه لفتة مهمة لها ارتباط بالتأثيرات العفوية التي تتركها بعض الأجواء على النفوس، والتي قد تسري حتى للقادة..

2 ـ والأهم من ذلك: أنه «عليه السلام» قد بيَّن أن على القائد أن يبادر لوضع معالجات عملية لحالة الفشل والإحباط التي تعتري الناس في اللحظات الصعبة، واتخاذ تدابير ميدانية تعطي درجة من الشعور بالأمن.

بل ربما اقتضت حالة الفشل تغييراً جذرياً في الخطة العسكرية برمتها، ولذا أمر «عليه السلام» محمداً إن رأى في أصحابه إحباطاً وفشلاً.. بالإنتقال من حالة الهجوم إلى حالة الدفاع، ولكن لا في ساحة

الحرب، لأن المبادرة تبقى في يد العدو، وإنما أمره بتحصين بلده، وضم شيعته إليه، وترك عدوهم خارجها..

3 - إن ما ذكره «عليه السلام» حول هذا الأمر يعطي: أن على القائد أن يراقب الحالة النفسية لأصحابه، وأن يرصد هذا الأمر فيهم بدقة، من موقع الخبير والبصير، ثم يقرر الخطة التي تتناسب مع الوضع النفسي للناس، وفق ما يظهر له من حالهم..

انتداب كنانة بن بشر:

ثم أمر «عليه السلام» محمداً: بأن ينتدب لقتال عمرو كنانة بن بشر «رحمه الله».

وقد أثنى «عليه السلام» على كنانة بن بشر بأمور ثلاثة، جعلها سبباً لاختياره لمواجهة عمرو بن العاص، وهي:

أنه المعروف بالنصيحة، والنجدة والبأس..

كما أنه «عليه السلام» هو الذي تولى اختيار كنانة لهذا المنصب، ولم يترك الخيار في ذلك لمحمد.. إما لعدم خبرته الكافية بالرجال، أو لأن أمثال هذه الحروب الكبيرة يكون الرجل الأول هو الذي يتولى تعيين قادتها..

حرب خاسرة لا بد من خوضها:

ويبدو لنا أولاً: من لحن رسالة أمير المؤمنين «عليه السلام»: أنه كان يعلم بأن عمرواً سوف يبادر إلى الحرب قبل أن يتمكن هو «عليه

السلام» من نجدة محمد.. وكان يعلم أنه لا خيار أمام محمد سوى القتال، أو التحصن في قريته..

وكان يعلم أيضاً: أن الذين سيحاربون مع محمد سيكونون هم الفئة الأقل عدداً..

وأن الشعور بالإحباط سيكون هو المهيمن على الناس فيها..

وأنه إن اختار محمد القتال، فلا سبيل له إلا الصبر..

وأنه سيخسر الحرب، وينال الشهادة في نهاية المطاف. ولذا لم نره يقوّي عزيمته ببشائر النصر، بل ذكر له النصر بصورة احتمال عابر، من دون أن يتوقف عنده، ويسلط الضوء عليه..

كما لم نر في كلامه أية إشارة للاستسلام، والإستسار لمعاوية.. لأنه يعلم أن ذلك لا ينجي محمداً من القتل، بل سوف يزيد من عذابه، وسيقتل ذليلاً مهاناً.. وبصورة تشير إلى الذل والخنوع، الذي يحمل معه أعظم المفاسد على الأمة، وعلى أهل الدين.. وسيبقى لهذا التصرف سلبياته، وإثارة البغيضة على مدى التاريخ..

كما أنه لم يشر ولو بحرف واحد إلى احتمال نجاته منهم، لو حاول ترك الساحة والهرب..

لأن ذلك، سوف يعطي مثلاً سيئاً، وسيكون عملاً شنيعاً ومشيناً.. كما أنه لا يفيده في نجاة محمد.. إلا إذا حدث ما لم يكن بالحسبان، بأن يسارع الناس بالعراق إلى التجمع والمسير إلى مصر، وإدراكه على قيد الحياة..

ومع غض النظر عن ذلك كله، فإن الإستيلاء على مصر، من دون قتال، سيدفع عمرواً ومعاوية إلى الإمعان في ذبح الناس.

ثانياً: إن ذلك يطمع القاسطين بسائر الأقطار.

ثالثاً: إن مقاومة الغزاة ستقلل من حماسهم للإمعان في القتل خوفاً من ردات الفعل القاسية تعرضهم لأخطار وخسائر لا تطاق أيضاً.

المواجهة مع ابن العاص:

قالوا:

وانتدب محمد بن أبي بكر الناس، ليكونوا تحت لواء كنانة بن بشر.

قال: فانتدب معه نحو من ألفي رجل، وخرج محمد في ألفي رجل، واستقبل عمرو بن العاص كنانة وهو على مقدمة محمد، فأقبل عمرو نحو كنانة، فلما دنا من كنانة سرح الكتائب كتيبة بعد كتيبة، فجعل كنانة لا تأتيه كتيبة من كتائب أهل الشام إلا شد عليها بمن معه، فيضربها حتى يقربها بعمرو بن العاص.. ففعل ذلك مراراً.

فلما رأى ذلك عمرو بعث إلى معاوية ابن خديج السكوني، فأتاه في مثل الدهم، فأحاط بكنانة وأصحابه، واجتمع أهل الشام عليهم من كل جانب، فلما رأى ذلك كنانة بن بشر نزل عن فرسه، ونزل أصحابه، وكنانة يقول: (**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ**

مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ)(1). فضاربهم بسيفه حتى استشهد «رحمه الله»، وأقبل عمرو بن العاص نحو محمد بن أبي بكر، وقد تفرق عنه أصحابه لما بلغهم قتل كنانة، حتى بقي وما معه أحد من أصحابه.

فلما رأى ذلك محمد خرج يمشى في الطريق، حتى انتهى إلى خربة في ناحية الطريق، فأوى إليها. وجاء عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط.

وخرج معاوية بن حديج في طلب محمد، حتى انتهى إلى علوج في قارعة الطريق، فسألهم: هل مر بكم أحد تنكرونه؟!

فقال أحدهم: لا والله، إلا أنى دخلت تلك الخربة، فإذا أنا برجل فيها جالس.

فقال ابن خديج: هو، هو ورب الكعبة.

فانطلقوا يركضون حتى دخلوا عليه، فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً، فأقبلوا به نحو فسطاط مصر.

قال: ووثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص، وكان في جنده، فقال: أتقتل أخي صبراً؟! ابعث إلى معاوية بن خديج، فانهه.

فبعث إليه عمرو بن العاص يأمره أن يأتيه بمحمد بن أبي بكر.

فقال معاوية: أكذاك قتلتم كنانة بن بشر، وأخلى أنا عن محمد بن

---

(1) الآية 145 من سورة آل عمران.

أبي بكر؟! هيهات، (**أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ**)؟![1].

فقال لهم محمد: أسقوني من الماء.

قال له معاوية بن حديج: لا سقاه الله إن سقاك قطرة أبداً.. إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائماً محرماً، فتلقاه الله بالرحيق المختوم، والله لأقتلنك يا ابن أبي بكر، فيسقيك الله الحميم والغساق.

قال له محمد: يا ابن اليهودية النساجة ليس ذلك إليك وإلى من ذكرت. إنما ذلك إلى الله عز وجل يسقى أولياءه ويظمئ أعداءه. أنت وضرباؤك ومن تولاه.

أما والله لو كان سيفي في يدي ما بلغتم منى هذا.

قال له معاوية: أتدري ما أصنع بك؟! أدخلك في جوف حمار، ثم أحرقه عليك بالنار.

فقال له محمد: إن فعلتم بي ذلك، فطال ما فعل ذلك بأولياء الله، وإني لأرجو هذه النار التي تحرقني بها أن يجعلها الله علي برداً وسلاماً كما جعلها على خليله إبراهيم، وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمرود وأوليائه.. إن الله يحرقك ومن ذكرته قبل، وإمامك ـ يعنى معاوية ـ وهذا ـ وأشار إلى عمرو بن العاص ـ

---

(1) الآية 43 من سورة آل عمران.

بنار تلظى عليكم، كلما خبت زادها الله سعيراً.

قال له معاوية: إني إنما أقتلك بعثمان.

قال له محمد: وما أنت وعثمان! إن عثمان عمل بالجور ونبذ حكم القرآن. وقد قال الله تعالى: **(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)**(1)، فنقمنا ذلك عليه، فقتلناه، وحسنت أنت له ذلك ونظراؤك، فقد برأنا الله إن شاء الله من ذنبه، وأنت شريكه في إثمه، وعظم ذنبه، وجاعلك على مثاله.

قال: فغضب معاوية، فقدمه، فقتله، ثم ألقاه في جيفة حمار، ثم أحرقه بالنار، [وفي نص آخر: أنه جعله في جوف الحمار قبل أن يقتله، ثم أحرقه حياً] فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً، وقنتت عليه في دبر الصلاة تدعو على معاوية وعمرو، ثم قبضت عيال محمد إليها، فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر في عيالها.

(وأما الواقدي) فإنه ذكر لي: أن سويد بن عبد العزيز حدثه عن ثابت بن عجلان، عن القاسم بن عبد الرحمن: أن عمرو بن العاص خرج في أربعة آلاف، فيهم معاوية بن حديج، وأبو الأعور السلمي، فالتقوا بالمسناة، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى قتل(2).

---

(1) الآية 47 من سورة المائدة.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص103 - 105 و (ط الأعلمي) ج4 ص78 - 79 والغارات للثقفي ج1 ص282 - 285 والكامل في التاريخ ج2 ص412

لا ينتدب أحد إلى مصر:

ورووا: عن جندب، عن عبد الله بن فقيم [قعين]، عن الحارث بن كعب: أن فلاناً جاء يستصرخ من قبل محمد بن أبي بكر إلى علي، ومحمد يومئذ أميرهم، فقام علي في الناس، وقد أمر فنودي الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على محمد «صلى الله عليه وآله»، ثم قال:

أما بعد.. فإن هذا صريخ محمد بن أبي بكر وإخوانكم من أهل مصر، قد سار إليهم ابن النابغة عدو الله [وعدوكم]، وولي من عادى الله، فلا يكونن أهل الضلال إلى باطلهم، والركون إلى سبيل الطاغوت أشد اجتماعاً منكم على حقكم هذا. فإنهم قد بدأوكم وإخوانكم بالغزو، فاعجلوا إليهم بالمؤاساة والنصر.

عباد الله، إن مصر أعظم من الشام. أكثر خيراً، وخير أهلاً، فلا تغلبوا على مصر، فإن بقاء مصر في أيديكم عز لكم، وكبت لعدوكم. اخرجوا إلى الجرعة بين الحيرة والكوفة، فوافوني بها هناك غداً إن شاء الله.

قال: فلما كان من الغد خرج يمشي، فنزلها بكرة، فأقام بها حتى انتصف النهار يومه ذلك، فلم يوافه منهم رجل واحد فرجع [قال

و413 و (ط دار صادر) ج356 - 358 وعن أنساب الأشراف ج3 ص171 و 172.

الثقفي: فلم يوافه منهم مائة رجل فرجع].

فلما كان من العشي بعث إلى أشراف الناس، فدخلوا عليه القصر وهو حزين كئيب، فقال: الحمد لله على ما قضى من أمري، وقدر من فعلي، وابتلاني بكم أيتها الفرقة ممن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت.

لا أبا لغيركم، ما تنتظرون بصبركم [بنصركم ربكم]، والجهاد على حقكم؟! الموت أو الذل لكم في هذه الدنيا على غير الحق؟! فوالله لئن جاء الموت، وليأتين، ليفرقن بيني وبينكم، وأنا لصحبتكم قالٍ، وبكم غير ضنين.

لله أنتم، لا دين يجمعكم، ولا حمية تحميكم، إذا أنتم سمعتم بعدوكم يرد بلادكم، ويشن الغارة عليكم.

أوليس عجباً أن معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على غير عطاء ولا معونة، ويجيبونه في السنة المرتين والثلاث إلى أي وجه شاء، وأنا أدعوكم وأنتم أولو النُّهى، وبقية الناس على المعونة، وطائفة منكم على العطاء، فتقومون عني وتعصونني، وتختلفون علي؟!

فقام إليه مالك بن كعب الهمداني، ثم الأرحبي، فقال: يا أمير المؤمنين، اندب الناس، فإنه لا عطر بعد عروس، لمثل هذا اليوم كنت أدخر نفسي والأجر لا يأتي إلا بالكرة.

اتقوا الله وأجيبوا إمامكم، وانصروا دعوته، وقاتلوا عدوه. أنا

أسير إليها يا أمير المؤمنين.

قال: فأمر علي مناديه سعداً، فنادى في الناس: ألا انتدبوا إلى مصر مع مالك بن كعب [قال الثقفي: وكان وجهاً مكروهاً، فلم يجتمعوا إليه شهراً، فلما اجتمع له منهم ما اجتمع خرج بهم مالك بن كعب، فعسكر بظاهر الكوفة].

ثم إنه خرج، وخرج معه علي، فنظر، فإذا جميع من خرج نحو ألفي رجل، فقال: سر، فوالله ما إخالك تدرك القوم حتى ينقضى أمرهم.

قال: فخرج بهم، فسار خمساً(1).

نعي محمد بن أبي بكر:

ثم إن الحجاج بن غزية الأنصاري، ثم النجاري قدم على علي من مصر، وقدم عبد الرحمن بن شبيب الفزاري. فأما الفزاري فكان عينه بالشام، وأما الأنصاري فكان مع محمد بن أبي بكر، فحدثه الأنصاري بما رأى وعاين، وبهلاك محمد.

وحدثه الفزاري: أنه لم يخرج من الشام حتى قدمت البشراء من قبل عمرو بن العاص تترى، يتبع بعضها بعضاً بفتح مصر، وقتل

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص106 - 108 و (ط الأعلمي) ج4 ص81 - 82 والغارات للثقفي ج1 ص289 - 294 وراجع: الكامل في التاريخ ج2 ص413 و (ط دار صادر) ج358.

محمد بن أبي بكر، وحتى أذن بقتله على المنبر، وقال: يا أمير المؤمنين، قلما رأيت قوماً قط أسر، ولا سروراً قط أظهر من سرور رأيته بالشام حين أتاهم هلاك محمد بن أبي بكر.

فقال علي: أما إن حزننا عليه على قدر سرورهم به. لا بل يزيد أضعافاً.

قال: وسرح علي عبد الرحمن بن شريح الشبامي إلى مالك بن كعب، فرده من الطريق.

قال: وحزن علي على محمد بن أبي بكر حتى رؤى ذلك في وجهه، وتبين فيه.

وقام في الناس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله «صلى الله عليه وآله» وقال:

ألا إن مصر قد افتتحها الفجرة، أولو الجور والظلم، الذين صدوا عن سبيل الله، وبغوا الإسلام عوجاً.

ألا وإن محمد بن أبي بكر قد استشهد «رحمه الله»، فعند الله نحتسبه.

أما والله، إن كان ما علمت لممن ينتظر القضاء، ويعمل للجزاء، ويبغض شكل الفاجر، ويحب هدى المؤمن. إني والله ما ألوم نفسي على التقصير، وإني لمقاساة الحرب لنجِدٌّ خبير، وإني لأقدم على الأمر وأعرف وجه الحزم، وأقوم فيكم بالرأي المصيب، فأستصرخكم

معلناً، وأناديكم نداء المستغيث معرباً، فلا تسمعون لي قولاً، ولا تطيعون لي أمراً، حتى تصير بي الأمور إلى عواقب المساءة. فأنتم القوم لا يدرك بكم الثأر، ولا ينقض بكم الأوتار.

دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة فتجرجرتم جرجرة الجمل الأشدق، وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من ليس له نية في جهاد العدو، ولا اكتساب الأجر..

ثم خرج إليَّ منكم جنيد متذائب كأنما، يساقون إلى الموت وهم ينظرون، فأف لكم.

ثم نزل(1)، وكتب إلى عبد الله بن عباس وهو بالبصرة:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عباس..

سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو..

أما بعد.. فإن مصر قد افتتحت، ومحمد بن أبي بكر قد استشهد، فعند الله نحتسبه وندخره.. وقد كنت قمت في الناس في بدئه، وأمرتهم بغياثه قبل الوقعة، ودعوتهم سراً وجهراً، وعوداً وبدأً، فمنهم من أتى كارهاً، ومنهم من اعتل كاذباً، ومنهم القاعد حالاً. أسأل الله أن يجعل

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص108 و 109 و (ط الأعلمي) ج4 ص81 - 83 والغارات للثقفي ج2 ص294 - 298 وتاريخ مدينة دمشق ج34 ص431 و 432 .

لي منهم فرجاً ومخرجاً، وأن يريحني منهم عاجلاً.

والله لولا طمعي عند لقاء عدوي في الشهادة لأحببت أن لا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً. عزم الله لنا ولك على الرشد، وعلى تقواه وهداه.. إنه على كل شيء قدير. والسلام.

فكتب إليه ابن عباس:

بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين من عبد الله بن عباس..

سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته..

أما بعد.. فقد بلغني كتابك تذكر فيه افتتاح مصر، وهلاك محمد بن أبي بكر فالله المستعان على كل حال، ورحم الله محمد بن أبي بكر، وآجرك يا أمير المؤمنين.

وقد سألت الله أن يجعل لك من رعيتك التي ابتليت بها فرجاً ومخرجاً، وأن يعزك بالملائكة عاجلاً بالنصرة فان الله صانع لك ذلك ومعزك، ومجيب دعوتك، وكابت عدوك.

أخبرك يا أمير المؤمنين أن الناس ربما تثاقلوا ثم ينشطون، فارفق بهم يا أمير المؤمنين، وداجنهم، ومنِّهم، واستعن بالله عليهم.

كفاك الله المهم. والسلام.

قال أبو مخنف حدثني فضيل بن خديج عن مالك بن الحور أن علياً قال: رحم الله محمداً، كان غلاماً حدثاً.

أما والله لقد كنت على أن أولي المرقال هاشم بن عتبة مصر.

أما والله لو أنه وليها ما خلى لعمرو بن العاص وأعوانه الفجرة العرصة، ولما قتل إلا وسيفه في يده بلا ذم لمحمد. فرحم الله محمداً، فقد أجهد نفسه، وقضى ما عليه(1).

قتل محمد بن أبي حذيفة:

اختلف أهل السير في وقت مقتل محمد بن أبي بكر، فقال الواقدي: قتل في سنة 36.

قال: وكان سبب قتله: أن معاوية وعمرواً سارا إليه وهو بمصر قد ضبطها، فنزلا بعين شمس، فعالجا الدخول، فلم يقدرا عليه، فخدعا محمد بن أبي حذيفة على أن يخرج في ألف رجل إلى العريش، فخرج وخلف الحكم بن الصلت على مصر، فلما خرج محمد بن أبي حذيفة إلى العريش تحصن. وجاء عمرو فنصب المجانيق حتى نزل في ثلاثين من أصحابه، فأخذوا، فقتلوا.

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص109 و 110 و (ط الأعلمي) ج4 ص81 - 83 والغارات للثقفي ج1 ص298 - 301 و 764 وبحار الأنوار ج33 ص565 و 566 وراجع: نهج البلاغة ج3 ص60 (بشرح عبده) الخطبة رقم 68 ونهج السعادة ج5 ص132 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص137 وعن مروج الذهب ج2 ص420 وعن أنساب الأشراف ج3 ص173.

قال: وذاك قبل أن يبعث علي إلى مصر قيس بن سعد.

وأما هشام بن محمد الكلبي، فإنه ذكر: أن محمد بن أبي حذيفة إنما أُخِذ بعد أن قتل محمد بن أبي بكر، ودخل عمرو بن العاص مصر، وغلب عليها.

وزعم: أن عمرواً لما دخل هو وأصحابه مصر أصابوا محمد بن أبي حذيفة، فبعثوا به إلى معاوية وهو بفلسطين، فحبسه في سجن له، فمكث فيه غير كثير.. ثم إنه هرب من السجن، وكان ابن خال معاوية، فأرى معاوية الناس أنه قد كره انفلاته، فقال لأهل الشام: من يطلبه؟!

قال: وقد كان معاوية يحب ـ فيما يرون ـ أن ينجو، فقال رجل من خثعم، يقال له: عبد الله بن عمرو بن ظلام، وكان رجلاً شجاعاً، وكان عثمانياً: أنا أطلبه.

فخرج في حاله حتى لحقه بأرض البلقاء بحوران، وقد دخل في غار هناك. فجاءت حمر تدخله وقد أصابها المطر، فلما رأت الحمر الرجل في الغار فزعت، فنفرت.

فقال حصادون كانوا قريباً من الغار: والله إن لنفر هذه الحمر من الغار لشأناً.

فذهبوا لينظروا، فإذا هم به، فخرجوا ويوافقهم عبد الله بن عمرو بن ظلام الخثعمي، فسألهم عنه، ووصفه لهم، فقالوا له: ها هوذا في الغار.

قال: فجاء حتى استخرجه، وكره أن يرجعه إلى معاوية فيخلى سبيله، فضرب عنقه(1).

ونقول:

منظومة القيم هي الأساس:

إن للقيم أثرها في تحريك الناس إلى أمر، أو تثبيطهم عنه، وفي النهوض والإنطواء، والإقدام والإنكفاء.. وكان أمير المؤمنين «عليه السلام» قد ورث عن سلفه أمة كانت قيمها التي تحركها وتهيمن عليها هي: المال، والثروة، والسلطة، والولايات، والنفوذ، والعصبيات العشائرية، والعرقية، والملذات، والشهوات، والمصالح الدنيوية، وما إلى ذلك.

فكان أمير المؤمنين «عليه السلام» يعمل جاهداً لاستبدال هذه القيم الرخيصة والمنحطة، والمبتذلة بقيم واقعية، وذات قيمة عالية.. منسجمة مع الخلقة، ومع الصبغة الإلهية.. ومع مقتضيات الخلق والتكوين، ومع الفطرة الإنسانية، تقوم على أساس: أن الخلق كلهم أسرة واحدة، وكلهم عيال الله، وعلى أن الكمالات الأخلاقية والإنسانية، ورضا الله، والحق والباطل، والجنة والنار، والعلاقة الإيمانية هي التي يجب أن تهيمن على الإنسان وفكره وعقله،

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص105 و 106 و (ط الأعلمي) ج4 ص80 والغارات للثقفي ج2 ص327 - 329.

ومواقفه، وحركته، ومساره، وسياساته، وعلاقاته، وحبه، وبغضه، وما إلى ذلك.

ولذلك يلاحظ: أنه حين جاءه صريخ أهل مصر جمع «عليه السلام» الناس، وكلمهم بمنطق الحق والباطل، وبمنطق الظالم والمظلوم، والمعتدي والمعتدى عليه، والواجب الديني، ونيل رضا الله والجنة..

إنه «عليه السلام» كان يعلم: أن المعاناة والكوارث، والبلايا التي تتعرض لها الأمة هي بسبب الإنحراف في هذا المسار بالذات، ولسوف تتفاقم الأمور ما دام هذا الإنحراف قائماً وباقياً..

إنه «عليه السلام» يرى أمامه أمة كأنها هياكل خاوية قد أفرغت من مضمونها الفكري والإنساني، والأخلاقي، وفقدت قيمها الحقيقية.. ووضع مكانها مكون آخر لا يشبهها في شيء، إلا في الشكل والهيكل الخارجي. وأصبح يحمل في داخله مكونات كريهة، وعناصر رديئة هي أشبه بالقاذورات منها بأي شيء آخر ذي قيمة.. فلا غرو عن أصبح سلوكها الشهواني، والغرائزي أشر وأضر حتى من الشيطان، فضلاً عن الحيوان، لأنهما ـ أعني الشيطان والحيوان ـ يعملان بمقتضى طبيعتهما، وجبلتهما الحيوانية والشيطانية.

أما هؤلاء، فقد خرجوا عن جبلتهم، ودخلوا في جبلة لم نعهدها في سائر المخلوقات، ولم تعد فيها قابلية للإصلاح حتى على يد أعظم الأنبياء وخير الأوصياء..

من أجل ذلك كان كل همه «عليه السلام» هو إعادة صياغة الشخصية الإنسانية والفكرية، والقيمة للأمة، وسوق الناس بهذا الإتجاه، من خلال إيجاد قناعات لديهم بمنظومة القيم الإسلامية، التي كان يقدمها لهم، مدعمة بالشواهد القرآنية، والعقلية، وبالسنة النبوية، والأمثلة التاريخية، والميزات الإنسانية والأخلاقية، وكل ما ثبت لهم من حقائق الإسلام والإيمان: أنه مرضي لله تعالى، موافق للفطرة، وللعقل، ولقواعد العدل والإنصاف.

هذه هي الكارثة الحقيقية:

وهذه السمات قد ظهرت في كلماته المتقدمة التي حاول أن يحثهم بها على نصرة إخوانهم.

فقد ضمن «عليه السلام» كلامه إشارات للعديد من الأمور، التي إن لم يستجيبوا لها، فإن ذلك يعني أن هناك كارثة عظمى على صعيد القيم، والمفاهيم، والمعايير، والمنطلقات..

ويؤسفنا أن نقول: إن هذا هو ما حصل، وكان حاصلاً بالفعل طيلة عهود سلفت..

فمثلاً، قد تحدث «عليه السلام» عن الضلال والباطل، وعن الركون إلى سبيل الطاغوت، ليقرر: أن ثمة معادلة يرفضها العقل السليم، تهيمن على واقع الناس، وهي تلك التي تقوم على أن يكون أهل الضلال أشد اجتماعاً على باطلهم في فرض هيمنة الطاغوت من اجتماع أهل الحق على حقهم.

وأشار إلى أن العقل والحمية تدفع لرد عدوان المعتدي.

وإلى أن البادئ بالظلم هو الأظلم، وإلى أن الرد على الظلم حق مشروع..

وأشار أيضاً إلى موضوع المواساة.

وإلى أن خسارة مصر ستكون عظيمة وهائلة في الحسابات المادية، لأنها أكثر خيراً.. وفي الحسابات الإنسانية، لأنها خير أهلاً..

وأن الأمر يدخل في نطاق المغالبة، حيث لا يرضى الإنسان لنفسه بأن يكون مغلوباً.

وإلى ما يرتبط باللذة الروحية التي ينالها الإنسان، وهو يرى كبت العدو، وفشله الذريع..

لقد تكلم «عليه السلام» في كل هذه الأمور التي هي جزء من منظومة القيم عنده، ولكن الناس يرون أن فيها نكهة دنيوية، وشخصية تجعلهم أكثر قبولاً لها، وتعلقاً بها، وإلفاً لها.. فبدأ حديثه بها، من دون أن يصرح لهم بما يعتبره الأعظم نفعاً، ويريد له أن يكون أكثر دفعاً، وأعظم وقعاً، وهو وجوب الجهاد، وطلب الجنة والنار، ونيل رضا الله تعالى..

فقد تعمد عدم ذكر هذه الأمور الأخيرة، لكي يدلل عملياً على مدى عمق الهوة التي أصبحت الأمة في قعرها..

ولأجل ذلك، ولكي تتم عملية هذا الإختبار لتأثيرات كلماته تلك: أمرهم بأن يخرجوا في اليوم التالي إلى مكان يسمى الجرعة، لكي

يلتقيهم فيه، وينطلقوا منه إلى نصرة إخوانهم في مصر..

فسار إلى ذلك المكان في اليوم التالي، فلم يحضر إليه منهم مئة رجل.. فعاد كئيباً حزيناً..

معاودة المحاولة:

وبما أن الناس كانوا يتعاملون آنئذ بالطريقة العشائرية التي تقوم على أساس الإنصياع للرؤساء والأشراف، فقد حاول أن يدخل إلى الناس من باب رؤسائهم، فبادر عشية ذلك اليوم إلى دعوة أولئك الرؤساء والأشراف، فكلمهم، ولكن بأسلوب آخر، تضمن أموراً ودلالات مهمة، نذكر منها:

1 ـ إنه «عليه السلام» ذكر لهم مبررات تجعل التخلص من صحبتهم، والتخلي عنهم، وإقصاءهم، والتباعد عنهم في دائرة الإحتمال، بل هو أمر راجح، وهو «عليه السلام» يفكر فيه بجدية.. بل صار يتمنى حصوله، ولو بالموت الذي يفرق بينه وبينهم.

أي أنه «عليه السلام» أصبح بصدد التلويح لهم: أنه يرغب بإقصائهم عن مقام الشرف والزعامة والرئاسة، التي تهواها قلوبهم. وليفهمهم: أن الأمور قد اتخذت منحى يلامس مصالحهم. فلا بد أن يفكروا في الأمر بجدية وأناة..

والمبررات التي ذكرها لهم: أنهم ممن لا يطيع أمره إذا أمرهم، ولا يجيب دعوته إذا دعاهم.

2 - ثم ذكر لهم حافزاً آخر، وهو: أن الإنسان المتوازن هو الذي يفكر فيما هو أبعد من مصالحه المالية، أو الإمتيازات المقامية، فيفكر في الإنتصار لمعبوده حين يجترئ عليه الطغاة في سياق عدوانهم على عباده وبلاده، لأن عدوانهم على مقام الربوبية يراد به التوصل للعدوان على المربوبين، ولذا قال «عليه السلام»: «بنصركم ربكم»، ولم يقل: نصركم لله، لأن المطلوب هو التخلص من رعايته تعالى لعباده، وقطع صلته بهم، ولكي يتخلصوا من دينه تعالى الذي يصلح أحوالهم، ومن أوامره لهم التي تحول بين الطغاة، وبين التسلط عليهم.

فنصرهم لربهم يحفظ لهم وجودهم، وكرامتهم، ويصلح أمرهم، ويزيدهم قوة، وعزاً، ومنعة. وتقبل عليهم الدنيا بخيراتها، والآخرة بمنازلها ومقاماتها..

3 - ثم أشار «عليه السلام» إلى حافز ثالث، وهو: ضرورة الجهاد لحفظ حقهم حتى لا يذهب الطغاة به، فهذا جهاد تكون نتائجه حاضرة، وملموسة لهم، وليس جهاداً مستنده الوعد بنعيم الآخرة، ونتيجته الأمل والإنتظار..

4 - ثم أشار «عليه السلام» إلى أن سبب قعودهم عن نصر ربهم، والجهاد على حقهم أحد أمرين، كلاهما ترفضه الطبيعة، وتنفر منه النفوس، وهما:

الأول: الموت.

الثاني: الذل الذي يعانون منه في هذه الدنيا..

5 - يضاف إليهما أمر ثالث، وهو: أن يكون موتهم وذلهم وهم على غير الحق، وهذا الأمر الثالث هو الأشر والأضر، لأنه يوجب لهم الهلاك في الآخرة، والمزيد من السقوط والخزي في الدنيا.. وهذا ما لا يرضاه عاقل لنفسه..

ولذا قال «عليه السلام»: ما تنتظرون بنصر دينكم، والجهاد على حقكم؟! الموت؟! أو الذل لكم في الدنيا والآخرة على غير الحق؟!

6 - ثم ذكر «عليه السلام» حافزاً آخر، وهو عامل الجمع، وعامل الحماية من العدو.

ما الذي يجمع الناس؟! وما الذي يحمي؟! إن من يدخل عليه عدوه يحتاج قبل كل شيء إلى ما يجمع متفرقاته، ويوحد كلمته. ثم يحتاج ثانياً إلى الوثوب في وجه الأعداء لحماية النفس والأهل والمال، والعرض والأرض.. وقد ذكر «عليه السلام»: أن ما يجمع الناس أمر واحد، وهو الدين بشرائعه، وتعاليمه، وأوامره ونواهيه، التي تعتبرهم جسداً واحداً، أو أسرة واحدة لها رب واحد، وقائد واحد، وهم إخوة يتعاونون فيما بينهم على السراء والضراء..

والذي يحقق الحماية من العدو ويدفعه عن البلاد والعباد، ويسهم في بسط الأمن هو الحمية للدين، وللعرض وللأرض، وللقبيلة، وللرحم، ولغير ذلك، فإذا لم تكن هناك حمية، فلا يتحقق الأمن، وسوف تستباح العباد والبلاد من قبل الأعداء، ولا يجد أحد لديه

الدافع للتصدي والمنع..

وهذا ما ألمح إليه «عليه السلام» بقوله: «لا دين يجمعكم، ولا حمية تحميكم، إذا أنتم سمعتم بعدوكم يرد بلادكم، ويشن الغارة عليكم»..

7 ـ ثم ذكر «عليه السلام» حافزاً آخر، وهو: إيجاد منافس حقيقي،وهو أن هذا العدو الذي يواجههم ليست لديه ميزات ذات مضمون معتد به، بل هم مجرد جفاة طغام، ولا يرفدهم رئيسهم بمال، ولا يمد لهم يد العون، ولا يهتم بحل مشاكلهم.. ولكنه يحقق النصر على هذا الفريق الذين هم أهل الحق، ويمتازون بأنهم أولوا العقل الراجح، والأمثل والأفضل، لامتلاكهم الأطروحة الصحيحة، والنهج السليم، ورئيسهم خير وصي لخير نبي.. لم يزل يعينهم بكل ما قدر عليه، كما أنه يعطي طائفة منهم راتباً متواصلاً من بيت المال، مقابل نصرتهم، وحفظهم للأمن..

ومع ذلك تكون النتائج على عكس جميع التوقعات، فيكون ذلك العدو المنافس لهم، والفاقد للخير وللفضل، وللمعونة والعطاء، والعدل، أطوع لقائده المعروف بعدم الصلاح، ويجيب دعوته في السنة المرتين والثلاث..

أما أهل الحق، وأصحاب الميزات والفضائل، فلا يجيبون دعوة وصي نبيهم، ويقومون عنه ويعصونه، ويختلفون عليه؟!

من الذي قتل ابن أبي بكر؟!:

لو جازت المجازفة بالقول، لقلنا: إن أهل العراق، أو الكثير منهم، أو من زعمائهم كانوا متواطئين مع أهل الشام على قتل محمد بن أبي بكر، فإن من غير الطبيعي أن يماطل أهل العراق علياً «عليه السلام» بضعاً وخمسين ليلة، ويتشدقون بالكلام الطنان والرنان، كما يخرج الجمل واسع الشدق صوته، ولكنهم يتثاقلون إلى الأرض تثاقل من ليس له نية في جهاد العدو..

وبعد هذه المدة الطويلة، التي وجد فيها معاوية وابن العاص، وابن حديج الفرصة لقتل محمد، والإستيلاء على مصر تمخض الجبل فولد فأرة، حيث خرج من بين الفريق المحق جنيد ـ تصغير جند ـ صغير متذانب ـ أي كأنه الناقة التي تجد من الطلق شدة، فتمد ذنبها ـ (فهم من خوفهم) كأنما يساقون إلى الموت، وهم ينظرون..

فلماذا هذا التفريط بإخوانهم الأتقياء الأبرار؟!

ولماذا هذا الخوف من الطغاة الأشرار؟!

ولماذا هذا الذل والصغار؟!

قصة مكذوبة:

نقل بعضهم: أن محمد بن أبي بكر أنشد أباه عندما لاحاه في ولاء أمير المؤمنين «عليه السلام»:

يــا أبانــا قـد وجـدنا مــا صـلح　　　خــاب مـن أنـت أبـوه وافتضـح

إنمـــا أنقـــذني منـــك الـــذي　　　أنقـذ الـدر مـن المــاء الملـح

يــا بنــي الزهـراء أنـتم عـدتي　　　وبكم في الحشر ميزاني رجح

وإذا صـــح ولائـــي فـــيكم　　　لا أبــالي أي كلـب قـد نـبح[1]

ونقول:

لا شك في أن هذه القصة مكذوبة، بدليل: أن محمد بن أبي بكر قد ولد في حجة الوداع سنة عشر[2].

---

(1) مجالس المؤمنين ج1 ص277 وقاموس الرجال للتستري ج9 ص19 ومجمع البحرين ج3 ص41.

(2) أنساب الأشراف ج1 ص538 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج2 ص389 وج12 ص401 و (الإسلامية) ج2 ص616 وج9 ص66 ومستدرك الوسائل ج2 ص47 وبحار الأنوار ج42 ص163 وج78 ص81 وخلاصة عبقات الأنوار ج3 ص220 وسنن النسائي ج1 ص208 وج5 ص128 وفتح الباري ج7 ص2 والسنن الكبرى للنسائي ج2 ص331 وصحيح ابن خزيمة ج4 ص167 و 168 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص1366 و شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص143 وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص329 و الأبواب رجال الشيخ الطوسي ص49 ورجال ابن داود ص158 ومنتقى الجمان ج1 ص231 وج3 ص154 وقاموس الرجال للتستري ج9 ص18 و 22 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص203 وج8 ص282 والتاريخ الكبير ج1 ص124 والثقات لابن حبان

مما يعني: أن أباه قد مات وعمره ثلاث سنوات، فما معنى أن يلاحيه أبوه.. وأن يجيب هو بهذه الأبيات؟!

إلا إذا كان غرض ناظم هذه الأبيات: هو إيراد الكلام على طريقة لسان الحال. والإفتراض والتقدير.. ويبدو من سياق الأبيات المذكورة: أنها من صنع بعض المتأخرين عن تلك العصور..

أيهما قتل أولاً؟!:

وروي: أن عبد الله بن جعفر أشار على علي أمير المؤمنين «عليه السلام» بتولية الأشتر مصر، بعد استشهاد محمد بن أبي بكر(1). وكذا روي عن هشام بن محمد(2).

ولكن تقدم: أن تولية الأشتر واستشهاده بالقلزم كان قبل استشهاد محمد بن أبي بكر، ويدل على ذلك: الرسالة التي بعث بها أمير

ج3 ص368 وج2 ص124 وأسد الغابة ج4 ص324 وتهذيب الكمال ج24 ص541 والإصابة ج6 ص194 و 195 وتهذيب التهذيب ج9 ص70 والأعلام للزركلي ج6 ص219 وتاريخ الإسلام للذهبي ج2 ص701 والوافي بالوفيات ج2 ص187والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج4 ص288 وج7 ص353.

(1) الإختصاص ص79 و 80 وبحار الأنوار ج33 ص589 ونهج السعادة ج5 ص52 .

(2) الأمالي للمفيد ص79 و 80 وخاتمة المستدرك ج8 ص65 وبحار الأنوار ج33 ص552 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج11 ص283.

المؤمنين «عليه السلام» لمحمد بن أبي بكر، حين بلغه موجدته من تولية الأشتر، وفيها تصريح بأن الأشتر «رحمه الله» كان قد استشهد، فراجع..

والظاهر: أن الراوي قد خلط بين الأشتر ومحمد بن أبي بكر، فإن عبد الله بن جعفر هو الذي أشار على أمير المؤمنين «عليه السلام» بتوليته مصر بدلاً عن قيس بن سعد، وذلك إنما كان في سنة ست وثلاثين.

هل كان محمد بن أبي بكر حدثاً؟!:

وقد ذكرت بعض الروايات: أن علياً «عليه السلام» كتب في رسالته للأشتر: «وقد كنت وليت محمد بن أبي بكر رحمه الله مصر، فخرج عليه خوارج، وكان حدثاً لا علم له بالحروب، فاستشهد رحمه الله، فأقدمْ علي إلخ..»[1].

وفي رواية الطبري وغيره: أن علياً «عليه السلام» قال: «رحم الله محمداً، كان غلاماً حدثاً.. أما والله لقد كنت (أردت) على أن أولي المرقال إلخ..»[2].

---

(1) الأمالي للمفيد ص80 والغارات ج1 ص258 وبحار الأنوار ج33 ص552 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج11 ص283 و نهج السعادة ج2 ص456 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص74.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص110 و (ط الأعلمي) ج4 ص83 وموسوعة

ونقول:

في هذه الرواية إشكالات كثيرة نذكر منها:

أولاً: تقدم: أن الأشتر قد استشهد قبل محمد بن أبي بكر، وأن محمداً وجد في نفسه من توليته، فكتب إليه أمير المؤمنين «عليه السلام» يطيب خاطره عن ذلك..

ثانياً: إن ما جرى لمحمد مع الخارجين عليه لم يكن قد انتهى إلى الحرب بعد.. بل إن معاوية بن حديج قد دعا لثارات عثمان وأهل حَربتا، ولزموا جانب الحذر والمراقبة، فما معنى قوله: «وكان حدثاً لا علم له بالحرب»؟!

ثالثاً: إن محمداً لم يقتله خوارج خرجوا عليه، بل قتله عمرو بن العاص بالإشتراك مع معاوية بن حديج..

رابعاً: هل بقيت مصر بلا حاكم ولا مدبر بعد محمد بن أبي بكر، بانتظار أن يأتيها الأشتر بلا جيش جرار، فيدس إليه دهقان العريش السم؟!

ولماذا لم يستول أولئك الخوارج الذين قتلوا محمداً على مصر، ثم يكونون هم الذين يواجهون الأشتر ويأخذونه أخذ اليد، ويقتلونه، أو

الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص92 وأنساب الأشراف (ط الأعلمي) ص404 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص93 وميزان الحكمة ج2 ص1331 وبحار الأنوار ج33 ص566 والغارات للثقفي ج1 ص301.

يسجنونه؟! ولماذا يخسر ذلك الدهقان ذلك السم الذي دسه إلى الأشتر؟!

خامساً: أما وصف محمد بأنه غلام حدث. كما في رواية الطبري وغيره، فإن كان يقصد به: أنه صغير السن.. فهو غير صحيح، لأن عمره كان حين استشهد ثمانية وعشرين عاماً، أو أكثر..

وإن كان يقصد: أنه لا تجربة له بالحرب، كما صرحت به الرواية الأخرى، فجوابه: إذا كان كذلك، فكيف جعله «عليه السلام» على الرجالة في حرب الجمل؟![1].

علي × يتمنى الشهادة في الحرب:

وتقدم: أنه «عليه السلام» كتب في رسالته لابن عباس، التي

(1) الجمل للمفيد ص319 و (ط مكتبة الداوري) ص171 والعقد الفريد ج3 ص314 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص485 والإستيعاب ج3 ص422 رقم 2348 و (ط دار الجيل) ج3 ص1366 رقم 2320 وأسد الغابة ج5 ص98 رقم 4751 و (ط دار الكتاب العربي) ج4 ص324 والغارات للثقفي ج2 ص757 و 758 وعمدة القاري ج15 ص49 وقاموس الرجال للتستري ج9 ص20 وتاريخ خليفة بن خياط ص138 والمختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء) ج1 ص173 والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج1 ص106 والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص66 و (تحقيق الشيري) ج1 ص90.

يخبره فيها باستشهاد محمد بن أبي بكر: «والله لولا طمعي عند لقاء عدوي في الشهادة لأحببت ألا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً».

مع أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أخبره بأنه سوف يستشهد بضربة على أم رأسه، وكان يعرف قاتله، ولم يزل يشير إليه، ويدل عليه، فما معنى ما كتبه «عليه السلام» لابن عباس؟!

ونجيب:

أولاً: بأن مراده «عليه السلام» أنه لولا طمعه بالشهادة، وكسب ثوابها لتمنى أن يأتيه الموت الطبيعي.

لكي لا يبقى مع أولئك الناس الذين ملأوا قلبه قيحاً..

ثانياً: إنه «عليه السلام» قد يكون طامعاً بأن تكون شهادته في تلك الحروب على يد نفس الشخص الذي كان يعرف أنه قاتله.. باعتبار أن الحرب هي المناسبة الطبيعية لشهر السلاح بهدف القتل والقتال..

ثالثا: لو كان «عليه السلام» يعلم بأن قتله سيكون من شخص ما في زمان ومكان بعينه، فلا مانع من أن يكون ذلك كله، أو بعضه أيضاً في معرض البداء. ولهذا صح منه «عليه السلام» التعبير عن الأمل والرجاء.

الفصل السادس:

خواتيم.. ونـهايات..

رسالة مفتوحة من علي × إلى شيعته:

عن عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه جندب قال: دخل [بعد النهروان، كما في كشف المحجة] عمرو بن الحمق وحجر بن عدي، وحبة العرني، والحارث الأعور، وعبد الله بن سبأ [وأضافت بعض المصادر: عبد الله بن وهب الراسبي] على أمير المؤمنين «عليه السلام» بعدما افتتحت مصر، وهو مغموم حزين، فقالوا له: بيِّن لنا ما قولك في أبي بكر وعمر؟!

فقال لهم علي «عليه السلام»: وهل فرغتم لهذا؟! وهذه مصر قد افتتحت، وشيعتي بها قد قتلت؟!

أنا مخرج إليكم كتاباً أخبركم فيه عما سألتم، وأسألكم أن تحفظوا من حقي ما ضيعتم، فاقرؤوه على شيعتي، وكونوا على الحق أعواناً.

وهذه نسخة الكتاب:

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من قرأ كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين..

السلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد..

فإن الله بعث محمداً «صلى الله عليه وآله» نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وشهيداً على هذه الأمة، وأنتم يا معشر العرب يومئذ على شر دين وفي شر دار، منيخون على حجارة خشن، وحيات صم، وشوك مبثوث في البلاد، تشربون الماء الخبيث، وتأكلون الطعام الجشيب، وتسفكون دماءكم، وتقتلون أولادكم، وتقطعون أرحامكم، وتأكلون أموالكم [بينكم] بالباطل، سبلكم خائفة، والأصنام فيكم منصوبة، [والآثام بكم معصوبة] ولا يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون، فمنَّ الله عليكم بمحمد «صلى الله عليه وآله»، فبعثه إليكم رسولاً من أنفسكم، وقال فيما أنزل من كتابه: (**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**)(1)، وقال: (**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**)(2)، وقال: (**لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ..**)(3)، وقال: (**ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ**

(1) الآية 2 من سورة الجمعة.

(2) الآية 128 من سورة التوبة.

(3) الآية 164 من سورة آل عمران.

ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)(1).

فكان الرسول إليكم من أنفسكم بلسانكم، وكنتم أول المؤمنين، تعرفون وجهه وشيمته وعمارته.

فعلمكم الكتاب والحكمة، والفرائض والسنة.

وأمركم بصلة أرحامكم، وحقن دمائكم، وصلاح ذات البين، وأن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، وأن توفوا بالعهد، ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها.

وأمركم أن تعاطفوا وتبارُّوا وتباذلوا وتراحموا، ونهاكم عن التناهب والتظالم، والتحاسد، والتقاذف والتباغي، وعن شرب الخمر، وبخس المكيال، ونقص الميزان.

وتقدم إليكم فيما أنزل عليكم: ألا تزنوا، ولا تَرْبوا، ولا تأكلوا أموال اليتامى ظلماٍ ً، وأن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، ولا تعثوا في الأرض مفسدين، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين.

وكل خير يدني إلى الجنة ويباعد من النار أمركم به، وكل شر يباعد من الجنة ويدني من النار نهاكم عنه.

فلما استكمل مدته من الدنيا توفاه الله إليه سعيداً حميداً، فيا لها مصيبة خصت الأقربين، وعمت جميع المسلمين، ما أصيبوا بمثلها قبلها، ولن يعاينوا بعد أختها.

---

(1) الآية 21 من سورة الحديد.

فلما مضى لسبيله «صلى الله عليه وآله» تنازع المسلمون الأمر بعده، فوالله ما كان يلقي في روعي، ولا يخطر على بالي أن العرب تعدل هذا الأمر بعد محمد «صلى الله عليه وآله» عن أهل بيته، ولا أنهم مُنَحُّوه عني من بعده، فما راعني إلا انثيال الناس على أبي بكر، وإجفالهم إليه ليبايعوه.

فأمسكت يدي، ورأيت أني أحق بمقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الناس ممن تولى الأمر من بعده، فلبثت بذاك ما شاء الله، حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الإسلام. يدعون إلى محق دين الله، وملة محمد «صلى الله عليه وآله» وإبراهيم «عليه السلام»، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً وهدماً يكون مصيبته أعظم عليَّ من فوات ولاية أموركم التي إنما هي متاع أيام قلائل، ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب، وكما يتقشع السحاب.

فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر، فبايعته ونهضت في تلك الأحداث حتى زاغ الباطل وزهق، وكانت **(كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا)** ولو كره الكافرون.

فتولى أبو بكر تلك الأمور، فيسر وشدد، وقارب واقتصد، فصحبته مناصحاً، وأطعته فيها ما أطاع الله [فيه] جاهداً، وما طمعت أن لو حدث به حدث وأنا حي أن يرد إلى الأمر الذي نازعته فيه طمع مستيقن، ولا يئست منه يأس من لا يرجوه، ولولا خاصة ما كان بينه وبين عمر لظننت أنه لا يدفعها عني، فلما احتضر بعث إلى عمر

فولاه، فسمعنا وأطعنا، وناصحنا، وتولى عمر الأمر، وكان مرضي السيرة، ميمون النقيبة، حتى إذا احتضر قلت في نفسي: لن يعدلها عني.

فجعلني سادس ستة، فما كانوا لولاية أحد أشد كراهية منهم لولايتي عليهم، فكانوا يسمعوني عند وفاة الرسول «صلى الله عليه وآله» أحاج أبا بكر وأقول: يا معشر قريش! إنَّا أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم. ما كان فينا من يقرأ القرآن، ويعرف السنة، ويدين دين الحق.

فخشي القوم إن أنا وليت عليهم أن لا يكون لهم في الأمر نصيب ما بقوا.

فأجمعوا إجماعاً واحداً، فصرفوا الولاية إلى عثمان وأخرجوني منها رجاء أن ينالوها ويتداولوها إذ يئسوا أن ينالوا من قبلي.

ثم قالوا: هلم فبايع وإلا جاهدناك.

فبايعت مستكرهاً، وصبرت محتسباً، فقال قائلهم: يا ابن أبي طالب إنك على هذا الأمر لحريص.

فقلت: أنتم أحرص مني وأبعد، أأنا أحرص إذا طلبت تراثي وحقي الذي جعلني الله ورسوله أولى به؟! أم أنتم إذ تضربون وجهي دونه؟! وتحولون بيني وبينه؟!

فبهتوا، والله لا يهدي القوم الظالمين.

اللهم إني أستعديك على قريش، فإنهم قطعوا رحمي، وأصغوا

إنائي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به منهم فسلبونيه، ثم قالوا: ألا إن في الحق أن تأخذه، وفي الحق أن تمنعه، فاصبر كمداً متوخماً، أو مت متأسفاً حنقاً.

فنظرت فإذا ليس معي رافد، ولا ذاب ولا مساعد إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن الهلاك، فأغضيت على القذى، وتجرعت ريقي على الشجى، وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم، وآلم للقلب من حز الشفار.

حتى إذا نقمتم على عثمان أتيتموه فقتلتموه، ثم جئتموني لتبايعوني، فأبيت عليكم، وأمسكت يدي، فنازعتموني ودافعتموني، وبسطتم يدي فكففتها، ومددتم يدي فقبضتها، وازدحمتم علي حتى ظننت أن بعضكم قاتل بعض، أو أنكم قاتلي، فقلتم: بايعنا لا نجد غيرك، ولا نرضى إلا بك، فبايعنا لا نفترق، ولا تختلف كلمتنا.

فبايعتكم ودعوت الناس إلى بيعتي، فمن بايع طائعاً قبلته منه، ومن أبى لم أكرهه وتركته، فبايعني فيمن بايعني طلحة والزبير، ولو أبيا ما أكرهتهما كما لم أكره غيرهما، فما لبثنا إلا يسيراً حتى بلغني أن خرجا من مكة متوجهين إلى البصرة في جيش ما منهم رجل إلا بايعني وأعطاني الطاعة.

فقدما على عاملي، وخزان بيت مالي، وعلى أهل مصر كلهم على بيعتي وفي طاعتي، فشتتوا كلمتهم، وأفسدوا جماعتهم.

ثم وثبوا على شيعتي من المسلمين فقتلوا طائفة منهم غدراً،

وطائفة صبراً، وطائفة عصبوا بأسيافهم، فضاربوا بها حتى لقوا الله صادقين.

فوالله لو لم يصيبوا منهم إلا رجلاً واحداً متعمدين لقتله [بلا جرم جره] لحل لي به قتل ذلك الجيش كله، فدع ما إنهم قد قتلوا من المسلمين أكثر من العدة التي دخلوا بها عليهم، وقد أدال الله منهم فبعداً للقوم الظالمين.

ثم إني نظرت في أهل الشام، فإذا أعراب أحزاب، وأهل طمع جفاة طغام، يجتمعون من كل أوب، ومن كان ينبغي أن يؤدب ويدرب، أو يولى عليه، ويؤخذ على يديه، ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار، ولا التابعين بإحسان.

فسرت إليهم، فدعوتهم إلى الطاعة والجماعة، فأبوا إلا شقاقاً ونفاقاً، ونهوضاً في وجوه المسلمين.. ينضحونهم بالنبل، ويشجرونهم بالرماح، فهناك نهدت إليهم بالمسلمين، فقاتلتهم، فلما عظهم السلاح، ووجدوا ألم الجراح، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها، فأنبأتكم أنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وأنهم رفعوها غدراً ومكيدة وخديعة ووهناً وضعفاً، فامضوا على حقكم وقتالكم، فأبيتم علي وقلتم: اقبل منهم، فإن أجابوا إلى ما في الكتاب جامعونا على ما نحن عليه من الحق، وإن أبوا كان أعظم لحجتنا عليهم.

فقبلت منكم، وكففت عنهم إذ أبيتم ونيتم، وكان الصلح بينكم وبينهم على رجلين يحييان ما أحيا القرآن، ويميتان ما أمات القرآن.

فاختلف رأيهما، وتفرق حكمهما، ونبذا ما في القرآن، وخالفا ما في الكتاب، فجنبهما الله السداد، ودلاهما في الضلال، فنبذا حكمهما وكانا أهله، فانخزلت فرقة منا، فتركناهم ما تركونا، حتى إذا عثوا في الأرض يقتلون ويفسدون أتيناهم فقلنا: ادفعوا إلينا قتلة إخواننا، ثم كتاب الله بيننا وبينكم.

قالوا: كلنا قتلهم، وكلنا استحل دماءهم ودماءكم، وشدت علينا خيلهم ورجالهم، فصرعهم الله مصرع الظالمين.

فلما كان ذلك من شأنهم أمرتكم أن تمضوا من فوركم ذلك إلى عدوكم، فقلتم: كلت سيوفنا، ونفدت نبالنا، ونصلت أسنة رماحنا، وعاد أكثرها قصداً. فارجع بنا إلى مصرنا لنستعد بأحسن عدتنا، وإذا رجعت زدت في مقاتلتنا عدة من هلك منا وفارقنا، فإن ذلك أقوى لنا على عدونا.

فأقبلت بكم حتى إذا أطللتم على الكوفة أمرتكم أن تنزلوا بالنخيلة، وأن تلزموا معسكركم، وأن تضموا قواضبكم، وأن توطنوا على الجهاد أنفسكم، ولا تكثروا زيارة أبنائكم ونسائكم، فإن أصحاب الحرب المصابروها، وأهل التشمير فيها الذين لا ينوحون من سهر ليلهم، ولا ظمأ نهارهم، ولا خمص بطونهم، ولا نصب أبدانهم، فنزلت طائفة منكم معي معذرة، ودخلت طائفة منكم المصر عاصية، فلا من بقي منكم ثبت وصبر، ولا من دخل المصر عاد إلى ورجع، فنظرت إلى معسكري وليس فيه خمسون رجلاً.

فلما رأيت ما أتيتم دخلت إليكم، فما قدرت على أن تخرجوا معي إلى يومنا هذا.

فما تنتظرون؟!

أما ترون [إلى] أطرافكم قد انتقصت، وإلى أمصاركم قد افتتحت، وإلى شيعتي بها بعد قد قتلت، وإلى مسالحكم تعرى، وإلى بلادكم تغزى.

أنتم ذوو عدد كثير، وشوكة وبأس شديد، فما بالكم؟!

لله أنتم! من أين تؤتون؟!

وما لكم [أنى] تؤفكون؟!

وأنى تسحرون؟!

ولو أنكم عزمتم وأجمعتم لم تراموا.

ألا إن القوم قد اجتمعوا وتناشبوا وتناصحوا، وأنتم قد ونيتم وتغاششتم وافترقتم، ما أنتم إن أتممتم عندي على ذي سعداء، فأنبهوا نائمكم، واجتمعوا على حقكم، وتجردوا لحرب عدوكم، قد بدت الرغوة عن الصريح، وقد بين الصبح لذي عينين إنما تقاتلون الطلقاء وأبناء الطلقاء، وأولي الجفاء، ومن أسلم كرها، وكان لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أنف الإسلام كله حرباً، أعداء الله والسنة والقرآن، وأهل البدع والأحداث، ومن كانت بوائقه تتقى، وكان على الإسلام وأهله مخوفاً، وأكلة الرُّشا، وعبدة الدنيا.

لقد أنهي إلى أن ابن النابغة لم يبايع حتى أعطاه [ثمناً]، وشرط

أن يؤتيه أتية هي أعظم مما في يده من سلطانه.

ألا صفرت يد هذا البائع دينه بالدنيا، وخزبت أمانة هذا المشترى نصرة فاسق غادر بأموال المسلمين، وإن فيهم لمن قد شرب فيكم الخمر، وجلد الحد في الإسلام، ويعرف بالفساد في الدين، والفعل السيئ، وإن فيهم لمن لم يسلم حتى رضخ له على الإسلام رضيخة.

فهؤلاء قادة القوم، ومن تركت ذكر مساويه من قادتهم مثل من ذكرت منهم، بل هو شر منهم، وهؤلاء الذين [ذكرت] لو ولوا عليكم لأظهروا فيكم الفساد والكبر، والفجور، والتسلط بالجبرية، والفساد في الأرض، واتبعوا الهوى وحكموا بغير الحق.

ولأنتم على ما كان فيكم من تواكل وتخاذل خير منهم وأهدى سبيلاً، فيكم العلماء والفقهاء، والنجباء والحكماء، وحملة الكتاب، والمتهجدون بالأسحار، وعمار المساجد بتلاوة القرآن.

أفلا تسخطون، وتهتمون أن ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم، والأشرار الأراذل منكم.

فاسمعوا قولي ـ هداكم الله ـ إذا قلت، وأطيعوا أمري إذا أمرت، فوالله لئن أطعتموني لا تغوون، وإن عصيتموني لا ترشدون، خذوا للحرب أهبتها، وأعدوا لها عدتها، وأجمعوا إليها فقد شبت وأوقدت نارها، وعلا شنارها، وتجرد لكم فيها الفاسقون كي يعذبوا عباد الله، ويطفئوا نور الله.

ألا إنه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والجفاء والكبر بأولى

بالجد في غيهم وضلالهم وباطلهم من أولياء الله، من أهل البر والزهادة والإخبات في حقهم، وطاعة ربهم، ومناصحة إمامهم.

إني والله لو لقيتهم فرداً وهم ملء الأرض ما باليت ولا استوحشت، وإني من ضلالتهم التي هم فيها والهدى الذي نحن عليه لعلى ثقة وبينة، ويقين وصبر، وإني إلى لقاء ربي لمشتاق، ولحسن ثواب ربي لمنتظر، ولكن أسفاً يعتريني، وحزناً يخامرني من أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها، فيتخذوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً [والصالحين حرباً]، والفاسقين حزباً.

وأيم الله لولا ذلك ما أكثرت تأنيبكم وتأليبكم وتحريضكم، ولتركتكم إذ ونيتم وأبيتم حتى ألقاهم بنفسي متى حم لي لقاؤهم، فوالله إني لعلى الحق، وإني للشهادة لمحب، فـ (**انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**)(1)، ولا تثاقلوا إلى الأرض فتقروا بالخسف، وتبوؤوا بالذل، ويكن نصيبكم الأخسر، إن أخا الحرب اليقظان الأرق، ومن نام لم ينم عنه، ومن ضعف أودى، ومن ترك الجهاد [في الله] كان كالمغبون المهين.

اللهم اجمعنا وإياهم على الهدى، وزهدنا وإياهم في الدنيا، واجعل

---

(1) الآية 41 من سورة التوبة.

الآخرة خيرا لنا ولهم من الأولى، والسلام(1).

ونقول:

ملاحظات ثلاث:

وقد شحرنا كثيراً من فصول ومضامين هذه الرسالة في المواضع المختلفة من هذا الكتاب، فنحن نعتمد على ذلك، ولا نتعرض لسائر الفصول، لنوفر الفرصة لبقية الأحداث التي هي من سيرة أمير المؤمنين «عليه السلام».

غير أننا نلفت النظر إلى كلمتين فقط وردتا فيها:

الأولى: قوله: « فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر، فبايعته..» مع أننا نعلم: أنه «عليه السلام» قد أجبر على التخلي عن حقه، ولكنه لم يبايع أبا بكر، بل كان أبو بكر هو الذي مسح يده على يد علي «عليه

---

(1) الغارات للثقفي ج1 ص302 - 322 عن جندب بن عبد الله، والمستشرد ص408 - 427 عن شريح بن هاني، إلى قوله: فصرعهم مصرع الظالمين. وبحار الأنوار ج33 ص567 وج30 ص7 - 37 وأنساب الأشراف ج2 ص372 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص94 والإمامة والسياسة ج1 ص154 - 159 و (تحقيق الزيني) ج1 ص133 - 137 و (تحقيق الشيري) ج1 ص174 - 179 وراجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص118 الكتاب رقم 62 وكذا في كشف المحجة ص173 و 174 و (ط أخرى) ص235 - 269 عن رسائل الكليني. ومكاتيب الإمام علي «عليه السلام» ج2 ص74 - 91.

السلام»، وعلي قابض لها.. وقد جيء به إليه بالإكراه. كما مر معنا.

الثانية: قوله «عليه السلام» عن عمر: «وكان مرضي السيرة، ميمون النقيبة»، فإن المقصود به: أنه كذلك عند الناس، لأن سياساته كانت تعجبهم، وتوافق هواهم، وتصب في مصلحتهم، ولا يهمهم ما وراء ذلك.

وأما بالنسبة لرأيه هو «عليه السلام»، فقد بينه في كثير من المناسبات، ومنها الخطبة الشقشقية..

وقد مضى معنا ما يوضح هذا الأمر في بعض المواضع في هذا الكتاب.

الثالثة: ونشير إلى أن قول «عليه السلام»: «فجنبهما الله السداد، ودلاهما في الضلال» قد جاء على قاعدة: **(فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ)**(1). وغيرها من الآيات.

ابن الحضرمي في البصرة:

ولما قتل محمد بن أبي بكر بمصر قدم ابن الحضرمي البصرة، من قبل معاوية، وكان ابن عباس عند علي بالكوفة. وقد استخلف عليها زياداً. فبايعت ابن الحضرمي تميم، وجل أهل البصرة، ولم يعد مع زياد من يمتنع به، فاستجار بصبرة بن شيمان، وتحول إليه، ومعه بيت المال.

---

(1) الآية 5 من سورة الصف.

فأرسل زياد إلى أمير المؤمنين يخبره بالأمر، فأرسل «عليه السلام» أعين بن ضبيعة ليفرق قومه عن ابن الحضرمي، فدخل عليه قوم فقتلوه.

فلما بلغ علياً «عليه السلام» الخبر أرسل جارية بن قدامة، ومعه شريك بن الأعور، فأتى جارية قومه، فدعاهم إلى العودة عما هم عليه، فأجابه أكثرهم. فحصر ابن الحضرمي، ومعه سبعون أو أربعون رجلاً في دار، فأنذرهم جارية، ودعاهم إلى الطاعة، فلم يرجعوا، فأضرم عليهم الدار، فأحترقت وهدمت وقتل من فيها(1).

علي × يعطي الشام لمعاوية:

قال الطبري:

وفي هذه السنة ـ فيما ذكر ـ جرت بين علي وبين معاوية المهادنة بعد مكاتبات جرت بينهما ـ يطول بذكرها الكتاب ـ على وضع الحرب بينهما، ويكون لعلي العراق، ولمعاوية الشام، فلا يدخل أحدهما على

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص110 - 112 و (ط الأعلمي) ج4 ص84 و 85 وموسوعة الإمام علي «عليه السلام» ج7 ص111 - 114 والغارات للثقفي ج2 ص373 - 412 وراجع: الكامل في التاريخ ج3 ص362 وبحار الأنوار ج34 ص40 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص52 وأنساب الأشراف ج2 ص431 وراجع: عمدة القاري ج24 ص189 وفتح الباري ج13 ص23.

صاحبه في عمله بجيش، ولا غارة ولا غزو.

قال زياد بن عبد الله، عن أبي إسحاق: لما لم يعط أحد الفريقين صاحبه الطاعة كتب معاوية إلى علي:

أما إذا شئت فلك العراق ولي الشام، وتكف السيف عن هذه الأمة، ولا تهريق دماء المسلمين.

ففعل ذلك، وتراضيا على ذلك، فأقام معاوية بالشام بجنوده، يجبيها وما حولها، وعلي بالعراق يجبيها، ويقسمها بين جنوده[1].

وقد ذكر الطبري هذا في حوادث سنة أربعين.

ونقول:

لا ريب في أن هذا من الأكاذيب.

فأولاً: إن علياً «عليه السلام» هو الذي يقول: إنه لا يستحل أن يراه الله راضياً بولاية معاوية، ولو ساعة واحدة.

ثانياً: إذا كان يجوز له أن يولي معاوية، فلماذا خاض معه حرب صفين التي قتل فيها سبعون ألف قتيل، وفي بعض الإحصائيات مئة وعشرة آلاف قتيل؟! فضلاً عن عشرات أو مئات ألوف الجرحى والمعوقين؟! ألم يكن الأولى أن تحفظ لهؤلاء حياتهم، ولا تسفك دماؤهم، ولا ترمل نساؤهم، ولا تيتم أطفالهم؟!

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص140 و (ط الأعلمي) ج4 ص107 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص357.

ثالثاً: لماذا صبر «عليه السلام» من انتهاء حرب صفين في سنة سبع وثلاثين إلى سنة أربعين حتى منحه «عليه السلام» هذه الشرعية؟!

أم أن المقصود هو أن يستشهد علي «عليه السلام»، ويخلفه معاوية، فيحكم البلاد والعباد.. ويكون الإمام الحسن «عليه السلام» هو الطاغي والباغي، والمعتدي؟! ويكون معاوية متصفاً بصفة الشرعية، ومختوماً بختم علي بن أبي طالب بالذات؟!

رابعاً: إذا كان «عليه السلام» قد اتفق مع معاوية على أن تكون الشام له، فلماذا عاد وجمع الجيوش، وكتَّب الكتائب، ونصب القادة، وعزم على المسير، فلم تدر عليه الجمعة حتى ضربه ابن ملجم اللعين؟!

الإستنفار إلى الشام، والغارة على نواحيها:

قال البلاذري وغيره:

قالوا: لما استنفر علي أهل الكوفة فتثاقلوا وتباطؤا، عاتبهم ووبخهم، فلما تبين منهم العجز، وخشي منهم التمام على الخذلان جمع أشراف أهل الكوفة، ودعا شيعته الذين يثق بمناصحتهم وطاعتهم، [فخطبهم]، فقال:

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله..

أما بعد، أيها الناس، فإنكم دعوتموني إلى هذه البيعة فلم أردكم

عنها، ثم بايعتموني على الامارة ولم أسألكم إياها، فتوثب علي متوثبون، كفى الله مؤنتهم، وصرعهم لخدودهم، وأتعس جدودهم، وجعل دائرة السوء عليهم.

وبقيت طائفة تحدث في الاسلام أحداثاً، تعمل بالهوى، وتحكم بغير الحق، ليست بأهل لما ادعت، وهم إذا قيل لهم: تقدموا قدماً تقدموا، وإذا قيل لهم: أقبلوا [أقبلوا] لا يعرفون الحق كمعرفتهم الباطل، ولا يبطلون الباطل كإبطالهم الحق.

أما إني قد سئمت من عتابكم وخطابكم، فبينوا لي ما أنتم فاعلون، فإن كنتم شاخصين معي إلى عدوي فهو ما أطلب وأحب، وإن كنتم غير فاعلين، فاكشفوا لي عن أمركم أرى رأيي.

فوالله لئن لم تخرجوا معي بأجمعكم إلى عدوكم، فتقاتلوهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم ـ وهو خير الحاكمين ـ لأدعون الله عليكم، ثم لأسيرن إلى عدوكم ولو لم يكن معي إلا عشرة.

أأجلاف أهل الشام وأعرابها أصبر على نصرة الضلال، وأشد اجتماعاً على الباطل منكم على هداكم، وحقكم؟! ما بالكم؟! ما دواؤكم؟!

إن القوم أمثالكم، لا ينشرون إن قتلوا إلى يوم القيامة.

فقام إليه سعيد بن قيس الهمداني، فقال: يا أمير المؤمنين، أأمرنا بأمرك، والله ما يكبر جزعنا على عشائرنا إن هلكت، ولا على أموالنا إن نفدت في طاعتك ومؤازرتك.

وقام إليه زياد بن خصفة، فقال: يا أمير المؤمنين، أنت والله أحق من استقامت له طاعتنا، وحسنت مناصحتنا، وهل ندخر طاعتنا بعدك لأحد مثلك، مرني بما أحببت مما تمتحن به طاعتي.

وقام إليه سويد بن الحرث التيمي، من تيم الرباب، فقال: يا أمير المؤمنين، مر الرؤساء من شيعتك، فليجمع كل امرئ منهم أصحابه فيحثهم على الخروج معك، وليقرأ عليهم القرآن، ويخوفهم عواقب الغدر والعصيان، ويضم إليه من أطاعه، وليأخذهم بالشخوص.

فلقي الناس بعضهم بعضاً، وتعاذلوا وتلاوموا، وذكروا ما يخافون من استجابة دعائه عليهم إن دعا، فأجمع رأي الناس على الخروج.

وبايع حجر بن عدي أربعة آلاف من الشيعة على الموت.

وبايع زياد بن خصفة البكري نحو من ألفي رجل.

وبايع معقل بن قيس نحو من ألفي رجل.

وبايع عبد الله بن وهب السمني [كذا] نحو من ألف رجل.

وأتى زياد بن خصفة علياً، فقال له: أرى الناس مجتمعين على المسير معك، فاحمد الله يا أمير المؤمنين.

فحمد الله، ثم قال: ألا تدلوني على رجل حسيب صليب، يحشر الناس علينا من السواد ونواحيه؟!

فقال سعيد بن قيس: أنا والله أدلك عليه [هو] معقل بن قيس الحنظلي، فهو الحسيب الصليب، الذي قد جربته وبلوته، وعرفناه

وعرفته!

فدعاه علي وأمره بتعجيل الخروج لحشر الناس، فإن الناس قد انقادوا للخروج.

ثم قال زياد بن خصفة: يا أمير المؤمنين، قد اجتمع لي من قد اجتمع، فأذن لي أن أخرج بأهل القوة منهم، ثم ألزم بشاطئ الفرات حتى أغير على جانب من الشام وأرضها، ثم أعجل الانصراف قبل وقت الشخوص، واجتماع من بعث أمير المؤمنين في حشره، فإن ذلك مما يرهبهم ويهدهم.

قال: فامض على بركة الله، فلا تظلمن أحداً، ولا تقاتلن إلا من قاتلك، ولا تعرضن للأعراب.

فأخذ [زياد] على شاطئ الفرات، فأغار على نواحي الشام، ثم انصرف، ووجه معاوية عبد الرحمان بن خالد بن الوليد في طلبه ففاته.

وقدم زياد هيت، فأقام بها ينتظر قدوم علي.

وخرج معقل لما وجه له، فلما صار بالدسكرة بلغه أن الأكراد قد أغارت على شهر زور، فخرج في آثارهم، فلحقهم حتى دخل الجبل، فانصرف عنهم.

ثم لما فرغ من حشر الناس، وأقبل راجعاً فصار إلى المدائن بلغه

نعي علي. فسار حتى دخل الكوفة، ورجع زياد من هيت (1).

استقدام قيس بن سعد:

وحدثني أبو مسعود الكوفي، عن عوانة: أن علياً «عليه السلام» كتب إلى قيس بن سعد [بن عبادة]، وهو عامله على آذربيجان:

«أما بعد، فاستعمل على عملك عبيد الله بن شبيل الأحمسي، وأقبل. فإنه قد اجتمع ملأ المسلمين، وحسنت طاعتهم، وانقادت لي جماعتهم. ولا يكن لك عرجة ولا لبث، فإنا جادون معدون، ونحن شاخصون إلى المحلين، ولم أؤخر المسير إلا انتظاراً لقدومك علينا، إن شاء الله. والسلام(2).

وحدثني عباس بن هشام الكلبي، عن أبيه، عن عوانة بن الحكم قال: خطب علي الناس ودعاهم إلى الخفوف إلى غزو أهل الشام، وأمر الحارث الأعور بالنداء فيهم، فلم يوافه إلا نحو من ثلاثمأة، فخطبهم ووبخهم.

فاستحيوا، فاجتمع منهم ألوف، فتعاقدوا على الشخوص معه، وأجمع رأيهم على الإقامة شتوتهم، ثم الخروج في الفصل، فإنهم على

(1) أنساب الاشراف (ط سنة 1416 هـ.) ج2 ص375 - 377 و (ط الأعلمي) ج2 ص477 - 479 ونهج السعادة ج2 ص661 - 664.
(2) أنساب الاشراف (ط سنة 1416 هـ.) ج2 ص378 و (ط الأعلمي) ج2 ص480 ونهج السعادة ج5 ص149.

ذلك إذا أصيب علي «عليه السلام»(1).

ونقول:

النداء الأخير: لأدعون الله عليكم:

ويبدو لنا: أنه «عليه السلام» بعد أن طالت معاناته مع أهل العراق، حيث إنه لم يزل يدعوهم لحرب عدوهم الحقيقي، والأخطر، وهو معاوية بالشام.. فلا يستجيبون له. أراد أن يطلق ما يمكن أن يقال: إنه نداؤه الأخير لأهل العراق. لأنه «عليه السلام» كان يعرف أن أي بلاء يصيبهم، بسبب دعائه، فإنهم يستحقونه.. وسيكون خيراً لهم من البلاء الذي يحيق بهم بتحكم معاوية بهم، وتسلطه على البلاد والعباد..

والسبب في ذلك: أن معاوية والنهج الأموي كله يحمل معه مشروع ضلالة، يهدف إلى إحداث تغيير جذري في منظومة القيم، وفي المكونات، والمفردات الإيمانية التي يريدها الله تعالى..

وهذا معناه: الضلال عن طريق الحق، والتحول عن صراطه المستقيم، إلى السبل المختلفة التي ترسمها لهم شياطين الشهوات، والأهواء والعصبيات، وسواها مما يمقته الله، ويثلج صدر إبليس «لعنه الله»..

---

(1) أنساب الاشراف (ط سنة 1416 هـ.) ج2 ص377 و 378 و (ط الأعلمي) ج2 ص479 و 480.

أما إذا دعا عليهم، فإن ما سينزل بهم مهما كان عظيماً وهائلاً، ولو كان هو الموت والبوار، وخراب الديار، سيبقى أيسر من أن يصبحوا دعاة ضلال، وصد عن سبيل الله من آمن به.. فيكون هذا الدعاء واستنزال البلاء عليهم أهون الشرين، وأخف الضررين.. وعلي «عليه السلام» هو وارث نبي الله تعالى نوح في محنته وابتلائه بقومه، كما هو وارث لسائر الأنبياء في كل الخصوصيات المميزة لهم..

ويكون حاله «عليه السلام» حال هذا النبي العظيم، الذي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم ليلاً ونهاراً، فلم يزدهم دعاؤه إلا فراراً.

وأمير المؤمنين «عليه السلام» قد دعا قومه ليلاً ونهاراً حتى صاروا كلما دعاهم لجهاد عدوهم، كالذين يجعلون أصابعهم في آذانهم، وأصروا واستكبروا استكباراً، وقد دعاهم جهاراً، وأعلن، وأسر لهم إسراراً، حتى لم يعد أمامه خيار إلا الدعاء عليهم، بالفناء والبوار، لأن بقاءهم معناه السقوط في بؤرة الضلال، وأن تضل بسبب ذلك ذرياتهم، والأجيال التي تأتي من بعدهم..

وبذلك يظهر أنه «عليه السلام» لا يكون قاسياً بدعائه عليهم، بل هو رحيم بهم، حريص عليهم..

استجابة الناس:

وقد كان هذا التهديد مؤثراً في انبعاث الناس لحرب معاوية وأهل

الشام، لأنه خاطب بتهديده هذا وجدانهم الباطني، وحرك فيهم ما كانوا يحاولون تجاهله وإسكاته.. لأن الناس كانوا قد رأوا صدق وتحقق الكثير من إخباراته الغيبية، وإظهار المكنونات، وبعض الكرامات والمعجزات التي تدلهم على أنه لو دعا عليهم، فإن البلاء سوف ينزل بهم بلا ريب..

ولذلك نرى أن الناس تحركوا، واستجابوا.. وعقد لهم الألوية. كما تقدم..

استرشاد علي × بآراء الناس:

وتقدم: أنه «عليه السلام» قال للناس: «ألا تدلوني على رجل حسيب صليب، يحشر الناس علينا من السواد ونواحيه إلخ..».

ولا نشك في أنه «عليه السلام» كان يعرف ذلك الرجل أكثر منهم، ولكنه كان يريد:

أولاً: أن يتألفهم بإشراكهم ولو في الدلالة. تماماً كما كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يفعل حين كان يستشير أصحابه.

ثانياً: إن مشورتهم، ودلالتهم على الرجل الذي يسألهم عنه لا تحتم «عليه السلام» قبوله رأيهم، فقد كان الخيار في قبوله وعدمه راجعاً إليه..

ثالثاً: كان «عليه السلام» يريد أن يبعث النخوة في أهل النخوة ليظهروا مواهبهم في هذا المجال، لأن المندفع من خلال النخوة يكون

حريصاً على انجاز المهمة التي توكل إليه على أفضل وجه.

أما من تعرض عليه المهمة، وتفرض عليه، فقد يجد نفسه معذوراً في عدم الاستقصاء والتدقيق في تحقيق المراد.

ومما يزيد في الحماس والإندفاع نحو التبرع وعرض الخدمات وهذه الأوسمة المسبقة، المتمثلة بالأوصاف التي توخاها في من يتولى هذه المهمة، حيث وصفه بما يرضي غروره، كقوله: «حسيب، صليب» فإنهما وصفان يذكيان الرغبة في إثباتهما على أكمل وجه كما قلنا.

ليست هذه غارة:

وقد استأذن زياد بن خصفة أمير المؤمنين «عليه السلام» بأن يغير على جانب من الشام.. ثم يرجع بسرعة. فأذن له أمير المؤمنين «عليه السلام».

والسؤال هو: ما معنى أن يرضى أمير المؤمنين «عليه السلام» بترويع الآمنين، والإغارة على بلاد المسلمين؟!

وما هو الفرق بين هذه الأعمال، وبين أعمال معاوية التي كان «عليه السلام» يشكو منها علي نفسه، ويقبحها، ويقبحها الناس، ولا زال كل عاقل يقبحها ويدينها؟!

ونجيب:

أولاً: بأن علياً «عليه السلام» هو الخليفة الشرعي الذي يحق له

أن يدخل بجيوشه وبكتائبه إلى أي بلد من بلاد الإسلام. وليس لأحد منعه من ذلك، فوجوده في أرض الشام لا يختلف عن وجوده في أرض العراق من حيث المشروعية..

أما معاوية فهو متغلب عاصٍ لإمامه، متمرد عليه، ظالم للأمة، ليس له الحق في أن يمنع الإمام الحق من ممارسة حقه، والقيام بواجبه. ولا يجوز له أن يشهر السلاح في وجهه. فإن فعل ذلك فلا بد من ردعه، ولو بالسيف والقتال.

ثانياً: إنه «عليه السلام» لا يريد بغاراته هذه أن يرعب الناس الآمنين، بل يريد أن يؤمنهم ويطمئنهم إلى أنه قادم إليهم، لينشر العدل والشرع فيهم، ويخلصهم من يد حاكم تسلط عليهم بالقهر والغلبة وبقوة السيف. وسلب حقهم بالعيش في ظل حكومة الشرع والدين والعدل، التي يرضاها الله سبحانه لهم.

ويريد أن يرهب القوة الغاشمة، ويرعب أهل البغي والطغيان، وعدو الله وعدوهم.

ثالثاً: إنه «عليه السلام» قد نهى زياد بن خصفة بنواهٍ أكدها بنون التوكيد الثقيلة، فقال:

«فلا تظلمن أحداً، ولا تقاتلن إلا من قاتلك، ولا تعرضن للأعراب».

أما معاوية، فإنه كان يأمر جيوشه التي كان يرسلها للإغارة على البلاد والعباد، بإبادة الناس، وسلب أموالهم، وهدم وإحراق بيوتهم،

وأن لا يبقى ولا يذر.

وقد تقدم: أن بسراً قتل في مسيره إلى اليمن ذهاباً وإياباً ثلاثين ألف قتيل.. لمجرد أنهم يحبون علياً وأهل البيت «عليهم السلام»..

فأين الثريا وأين الثرى وأين معاوية من علي؟!

لا تعرضن للأعراب:

ويبقى هنا سؤال يقول:

إذا كانت الغارة التي يرضاها «عليه السلام» ويريدها هي مجرد المرور في البلاد، فلماذا نهى «عليه السلام» زياد بن خصفة من التعرض للأعراب؟! ولماذا خص الأعراب بهذه اللفتة؟! وما شأنهم بهذا الأمر؟! وما شأنه معهم؟!..

ونجيب:

بأن الأعراب لم يكن لهم استقراراً في مكان بعينه، بل كانوا يعيشون في البادية، ويتنقلون مع مواشيهم وأثقالهم من مكان إلى مكان، طلباً للماء والكلأ.. فلم يكونوا يخضعون لحكومة بعينها، وليس في ثقافتهم الإنتساب إلى هذا البلد، أو ذاك.. فهم عالم قائم بذاته، ضعيف الإرتباط بالمحيط من حوله..

وقد تحدث القرآن الكريم عن حالهم، فقال تعالى: (**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ**

رَحِيمٌ)(1) وقال تعالى: **(الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)**(2). وآيات أخرى كثيرة تصف بعض أحوالهم، وما كان منهم..

فكان يكتفى منهم بإظهار الإسلام، وينتظر بهم الظروف والأحوال، فعسى ولعل أن يفقهوا، وأن يتعلموا، وأن يهتدوا إلى الصراط المستقيم، ويلتزموا بالعمل الصحيح والسليم..

فربما أغرت حالهم هذه بعض الناس بأن يفرض عليهم أمراً بعينه ويلزمهم به، مثل اتخاذ موقف تجاه هذا الفريق، أو ذاك، فينفرون، ويستنفرون قواهم لمواجهته..

كما أنه ربما يجيز بعض الناس لأنفسهم استغلال ضعفهم وتشرذمهم، اختراع المبررات والبحث عن مسوغات للتعدي عليهم، واستلاب ما أمكنهم استلابه منهم، وإيذائهم، وقهرهم، وفرض هيمنته عليهم.. فحذر «عليه السلام» قائده وجيشه من التعرض لهم بما يسيء إليهم، أو التعدي على حقوقهم، مهما بدر منهم.. لجهلهم، وضعف إيمانهم..

(1) الآية 14 من سورة الحجرات.

(2) الآية 97 من سورة التوبة.

الفصل السابع:

ابن عباس وأموال البصرة..
نصوص مأثورة..

كيف بدأ الخلاف؟!:

قال ابن أعثم:

في سنة أربعين بعث علي إلى عبد الله بن العباس، وهو عامله على البصرة يأمره أن يخرج إلى الموسم، فيقيم الحج للناس.

قال: فدعا عبد الله بن عباس بأبي الأسود الدؤلي، فاستخلفه على صلاة البصرة، ودعا بزياد بن أبيه فجعله على الخراج، وتجهز عبد الله بن عباس وخرج إلى الموسم.

قال: وجرت بين أبي الأسود وزياد بن أبيه منافرة، فهجاه أبو الأسود وقال فيه هذه الأبيات:

ألا بلغا عني زيادا رسالة

يحث إليه حيث كان من الأرض

فما لك من ورد إذا ما لقيتني

يقطع دوني طرف عيني كالمغضي

ومـا لـي إذا مـا أخلـف الـود بيننـا

أمر القوى منـه (و) تعمل فـي النقض

ألـم تـر أنـي لا أكـون شـيمتي

يكـون غـول الأرض فـي الطـول

قال: ثم بلغ أبا الأسود بعد ذلك [أن] زياداً يشتمه ويقول فيه القبيح، فأنشأ يقول:

نـبـئت أن زيـادا ظـل يـشـتـمـنـي والقـول يكتـب عنـد الله والعمـل

قد لـقـيت زيـادا ثـم قـلـت لـه مـن قبـل ذلـك مـا جـاءت بـه الرسـل

حـتـام تـذكـرنـي فـي كل مجتمع عرضا وأنت إذا مـا شئت تنتقل

حتام تشتـمـنـي حـتـام تـذكـرنـي وقد ظلمت وتستعفي وتنتصل(1)

ثـم تـعـود وتـنـسـى مـا يـوافقني والعـذر ينـدم (و) النسـيان والعجل(2)

قال: وقدم عبد الله بن العباس من الحج، فأقبل إليه زياد بن أبيه، فشكى إليه أبا الأسود الدؤلي، وذكر أن قد هجاه، فأرسل إليه ابن

---

(1) البيت في الأغاني هكذا:
حتام تسرقني في كـل مـجمعة عرضي وأنـت إذا ما شئت منتفل

(2) راجع أيضاً: الأغاني ج12 ص312.

عباس فدعاه[1].

فقال: أما والله لو كنت من البهائم لكنت جملاً، ولو كنت للجمل راعيا لما بلغت به المرعى [ولا أحسنت مهنته في المشي][2]، ولا أحسنت القيام عليه في الماء، ما لك وللأحرار! تهجوهم وتقول فيهم القبيح، وتذكر أعراضهم بما لا يجب، اخرج عني، فعل الله بك وفعل!

مكاتبات رضية:

قال: فخرج أبو الأسود من عند ابن عباس مغضباً، ثم كتب إلى علي بن أبي طالب:

أما بعد..

فإن الله تبارك وتعالى قد جعلك يا أمير المؤمنين والياً مؤتمناً وراعياً مسؤولاً، ولقد بلوناك فوجدناك عظيم الأمانة، ناصحاً للرعية، توفر عليهم حقوقهم، وتزجر [فيأهم، وتظلف] نفسك عن دنياهم، ولا تأكل أموالهم، ولا ترتشي في [أحكامهم] أموالهم، وإن ابن عمك هذا قد أكل مال الله بغير حق، فلم يسعني كتمانك ذلك، فانظر رحمك الله

(1) الفتوح لابن أعثم ج4 ص240 و 241.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص141 و (ط الأعلمي) ج4 ص108 والفتوح لابن أعثم ج4 ص241 وأنساب الأشراف ج2 ص366 و (ط الأعلمي) ج2 ص169 والعقد الفريد ج3 ص346 وعن الكامل في التاريخ ج5 ص141 ونهج السعادة ج5 ص323 .

فيما ههنا، واكتب إلي برأيك فيما أحببت من ذلك.. إن شاء الله.

قال: فكتب إليه علي «رضي الله عنه»:

أما بعد..

فمثلك نصح الإمام والأمة، ودل على الحق، وقد كتبت إلى صاحبك فيما ذكرت من أمره ولم أعلمه بكتابك إلي، فلا تدعن إعلامي بما يكون بحضرتك ما فيه النظر لأمة محمد «صلى الله عليه وآله»، فإنه واجب عليك في دينك. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قال: ثم كتب علي إلى عبد الله بن العباس:

أما بعد، يا بن العباس! فقد بلغني عنك أمور الله أعلم بها، فإن تكن حقا فلست أرضاها لك، وإن تكن باطلاً فإثمها على من اقترفها، فإذا ورد عليك كتابي هذا فأعلمني في جوابه ما أخذت من مال البصرة، من أين أخذته، وفيم وضعته؟![1].

لكن نص هذا الكتاب في نهج البلاغة وغيره كما يلي:

أما بعد..

فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك، وعصيت إمامك، وأخزيت أمانتك.

بلغني أنك جردت الأرض، فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج4 ص241 و 242 وراجع: مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص158.

تحت يديك، فارفع إلي حسابك، واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس، والسلام(1).

قال: فكتب إليه ابن عباس:

أما بعد، فقد علمت الذي بلغك عني، وإن الذي أبلغك الباطل، وإني لما تحت يدي لضابط وحافظ، فلا تصدق أقوال الوشاة ما لم يكن، وأما تعظيمك مرزأة ما رزأته من هذه البلدة، فوالله لئن ألقى الله عزو جل بما في الأرض (من) لجينها وعقيانها وعلى ظهرها من طلاعها أحب إلي من أن ألقاه وقد أرقت دماء الأمة، فابعث إلى عملك من أحببت، فإني معتزل عنه. والسلام(2).

والظاهر: أن ابن أعثم قد خلط هذا الكتاب بغيره مما تقدم، وسيأتي، فلاحظ ما يلي:

قالوا: فلما وصل الكتاب إلى ابن عباس كتب إلى علي «عليه السلام»:

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص64 الكتاب رقم 4 وبحار الأنوار ج33 ص515 وأنساب الأشراف ج2 ص397 و (ط الأعلمي) ج2 ص170 والعقد الفريد ج3 ص346 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص164 وجمهرة رسائل العرب ج1 ص515 الرقم 537 وراجع: مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص159 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص80.

(2) الفتوح لابن أعثم ج4 ص241 و 242.

أما بعد..

فإن كل الذي بلغك باطل، وأنا لما تحت يدي ضابط، وعليه حافظ، فلا تصدق علي الظنين[1].

إشتداد لحن الخطاب:

قالوا: من كتاب له «عليه السلام» إلى بعض عماله:

أما بعد..

فإني كنت أشركتك في أمانتي، وجعلتك شعاري وبطانتي، ولم يكن رجل من أهلي أوثق منك في نفسي لمواساتي وموازرتي، وأداء الأمانة إلي.

فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب، والعدو قد حرب، وأمانة الناس قد خزيت، وهذه الأمة قد فنكت[2] وشغرت[3] قلبت لابن عمك ظهر المجن ففارقته مع المفارقين، وخذلته مع الخاذلين، وخنته مع الخائنين. فلا ابن عمك آسيت، ولا الأمانة أديت.

---

(1) العقد الفريد ج3 ص346 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص141 و (ط الأعلمي) ج4 ص108 وأنساب الأشراف ج2 ص397 والكامل في التاريخ ج2 ص433 و (ط دار صادر) ج3 ص386 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص159 ونهج السعادة ج5 ص325.

(2) فنك: كذب، وتعدى.

(3) شغر: بَعُدَ.

وكأنك لم تكن الله تريد بجهادك. وكأنك لم تكن على بينة من ربك. وكأنك إنما كنت تكيد هذه الأمة عن دنياهم، وتنوي غرتهم عن فيئهم.

فلما أمكنتك الشدة في خيانة الأمة أسرعت الكرة، وعاجلت الوثبة، واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم، اختطاف الذئب الأزلّ دامية المعزى الكسيرة، فحملته إلى الحجاز، رحيب الصدر بحمله، غير متأثم من أخذه، كأنك لا أبا لغيرك حدرت إلى أهلك تراثاً من أبيك وأمك.

فسبحان الله! أما تؤمن بالمعاد؟! أو ما تخاف نقاش الحساب؟!

أيها المعدود كان عندنا من ذوي الألباب، كيف تسيغ شراباً وطعاماً وأنت تعلم أنك تأكل حراماً وتشرب حراماً؟! وتبتاع الإماء، وتنكح النساء من مال اليتامى والمساكين، والمؤمنين والمجاهدين الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال، وأحرز بهم هذه البلاد.

فاتق الله، واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم، فإنك إن لم تفعل ثم أمكنني الله منك لأعذرن إلى الله فيك، ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلا دخل النار.

ووالله لو أن الحسن والحسين فعلاً مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة، ولا ظفرا مني بإرادة حتى آخذ الحق منهما، وأزيح الباطل من مظلمتهما.

وأقسم بالله رب العالمين ما يسرني أن ما أخذت من أموالهم حلال

لي أتركه ميراثاً لمن بعدي. فضح رويداً فكأنك قد بلغت المدى، ودفنت تحت الثرى، وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة، ويتمنى المضيع الرجعة ولات حين مناص[1].

قال: فكتب إليه عبد الله بن عباس:

أما بعد..

فقد أتاني كتابك، تعظم علي إصابة المال الذي أخذته من بيت مال البصرة، ولعمري إن لي في بيت مال الله أكثر مما أخذت، والسلام.

قال: فكتب إليه علي بن أبي طالب «عليه السلام»[2]:

أما بعد..

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص67 الكتاب 41 وبحار الأنوار ج33 ص500 وج42 ص182 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص167 و 168 وراجع: ربيع الأبرار ج3 ص375 وبعضه في إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج1 ص279 وعيون الأخبار لابن قتيبة ج1 ص57 ومختصر تاريخ دمشق ج12 ص320 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج6 ص218 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص83.

(2) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج12 ص194 - 195 عن إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج1 ص279 الرقم 110 وأنساب الأشراف ج2 ص400 والعقد الفريد ج3 ص348 عن أبي الكنود، والأوائل لأبي هلال ص196 كلها نحوه.

فالعجب كل العجب من تزيين نفسك، أن لك في بيت مال الله أكثر مما أخذت، وأكثر مما لرجل من المسلمين، فقد أفلحت إن كان تمنيك الباطل، وادعاؤك ما لا يكون ينجيك من الإثم، ويحل لك ما حرم الله عليك، عمرك الله أنك لأنت العبد المهتدي إذاً.

فقد بلغني أنك اتخذت مكة وطناً، وضربت بها عطناً، تشتري مولدات مكة والطائف، تختارهن على عينك، وتعطي فيهن مال غيرك(1).

ثم يذكرون بقية الكتاب بما يشبه إلى حد كبير ذيل النص المتقدم من نهج البلاغة وغيره.. من قوله: وأقسم بالله رب العالمين الخ..

لكن بقيته عند المعتزلي هكذا:

فارجع هداك الله إلى رشدك، وتب إلى الله ربك، واخرج إلى المسلمين من أموالهم، فعما قليل تفارق من ألفت، وتترك ما جمعت، وتغيب في صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد، قد فارقت الأحباب، وسكنت التراب، وواجهت الحساب، غنياً عما خلفت، فقيراً إلى ما قدمت. والسلام(2).

---

(1) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج12 ص194 - 195 عن إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج1 ص280 وقريب منه نص أنساب الأشراف ج2 ص401 وراجع: نهج السعادة ج5 ص331 رقم 169 وبحار الأنوار ج42 ص154.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص170 - 171.

وكتب إليه علي «عليه السلام» أيضاً:

أما بعد..

فإنه لا يسعني تركك حتى تعلمني، ما أخذت من الجزية من أين أخذته، وما وضعت منها فيم وضعته، فاتق الله فيما ائتمنتك عليه، واسترعيتك إياه، فإن المتاع بما أنت رازمه[1] قليل، وتبعاته وبيلة لا تبيد. والسلام.

فلما رأى أن علياً «عليه السلام» غير مقلع عنه كتب إليه:

أما بعد..

فقد بلغني تعظيمك علي مرزأة ما رزأته[2] أهل هذه البلاد، وأيم الله لأن ألقى الله بما في بطن الأرض من عقيانها[3] ومخبئها، وبما على ظهرها من طلاعها ذهباً أحب إلي من أن ألقى الله وقد سفكت دماء هذه الأمة، لأن أنال بذلك الملك والأمرة. ابعث إلى عملك من أحببت، فإني ظاعن. والسلام[4].

---

(1) الرازم: الجامع.

(2) رزا المال: إذا أصاب منه.

(3) العقيان: الذهب.

(4) العقد الفريد ج3 ص346 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص141 و (ط الأعلمي) ج4 ص108 والكامل في التاريخ ج2 ص433 و (ط دار صادر) ج3 ص386 وأنساب الأشراف ج2 ص399 و (ط الأعلمي) ج2 ص171 وإختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج1 ص280 وجواهر المطالب لابن

الرحيل والقتال:

وقالوا:

فلما أراد عبد الله المسير من البصرة دعا أخواله من بني هلال بن عامر بن صعصعة ليمنعوه، فجاء الضحاك بن عبد الله الهلالي، فأجاره ومعه رجل منهم يقال له: رزين بن عبد الله وكان شجاعاً، فقالت بنو هلال: لا غناء بنا عن بني سليم.

ثم أتتهم قيس فلما رأى (ابن عباس) اجتماعهم له، حمل ما كان في بيت المال بالبصرة. وكان فيما زعموا ستة آلاف ألف. فجعله في الغرائر.

قال: فحدثني الأزرق اليشكري قال: سمعت أشياخنا من أهل البصرة (قالوا:) لما وضع (ابن عباس) المال في الغرائر ثم مضى تبعته الأخماس كلها فلحقوه بالطف على أربع فراسخ من البصرة، فواقعوه، فقالت لهم قيس: لا يصلون (إليك وفينا) عين تطرف.

فقال صبرة (بن شيمان) وكان رأس الأزد: والله إن قيساً لإخواننا في الإسلام وجيراننا على العدو، وإن الذي يذهبون به من (المال) لو رد إليكم لكان نصيبكم منه الأقل، ولهم خير لكم من المال.

قالوا: فما ترى؟!

قال: انصرفوا عنهم.

الدمشقي ج2 ص81.

فقال بكر بن وائل وعبد القيس: نعم الرأي (رأي صبرة فاعتزلوهم.

فقالت بنو تميم: والله لا نفارقهم حتى نقاتلهم عليه.

فقال الأحنف بن قيس: أنتم والله أحق أن لا تقاتلوهم (عليه) وقد ترك قتالهم من هو أبعد رحما منكم.

قالوا: والله لنقاتلنهم.

فقال: والله لا نشايعكم على قتالهم.

فانصرف عنهم (الأحنف) فقدموا عليهم ابن المجاعة، فقاتلهم فحمل عليه الضحاك بن عبد الله وطعنه في كتفه، فصرعه وسقط إلى الأرض بغير قتل، وحمل سالم بن ذويب السعدي على الضحاك فصرعه أيضاً، وكثرت بينهم الجراح من غير قتل.

فقال الأخماس الذين اعتزلوا: والله ما صنعتم شيئاً اعتزلتم عن قتالهم وتركتموهم يتشاجرون؟!!

فجاؤوا حتى صرفوا وجوه بعضهم عن بعض وقالوا لبني تميم:

إن هذا للؤم قبيح. لنحن أسخى أنفسا منكم، حين تركنا أموالنا لبني عمكم، وأنتم تقاتلونهم عليها. خلوا عنهم وعن ابن أختكم، فإن القوم [قدحوا] قد جمعوا، [وحموا] فانصرفوا عنهم.

(فمضى ابن عباس ومن معه) ومضى معهم ناس من قيس فيهم الضحاك بن عبد الرحمان بن رزين حتى قدموا الحجاز، فنزل مكة، فجعل زاجر لعبد الله بن عباس يسوق به ويقول:

صبحت من كاظمة القصر مع ابن عباس بن عبد

وجعل ابن عباس يرتجز ويقول:

آوي إلى أهلك يا رباب آوي فقد آن لك الإياب

وجعل يرتجز أيضاً:

وهن يمشين بنا هميسا إن يصدق الطير (..)(1)

فقيل: يا أبا العباس أمثلك يرفث في مثل هذا الموضع؟!

قال: إنما الرفث ما يقال عند النساء.

ابن عباس في مكة:

قال أبو مخنف:

فلما نزل (ابن عباس) مكة اشترى من عطاء بن جبير، مولى بني كعب من جواريه ثلاث مولدات حجازيات، يقال لهن: شاذن، وحوراء، وفتون.. بثلاثة آلاف دينار.

(و) قال سليمان بن أبي راشد، عن عبد الله بن عبد الرحمان قال:

كنت من أعوان عبد الله في البصرة، فلما كان من أمره ما كان، أتيت علياً «عليه السلام» فأخبرته، فقال:

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ

(1) هنا كلمة يستقبح التصريح بها، معناها: ننكح لميس.

فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ)[1].

(قال): ثم كتب (علي) معي إليه:

أما بعد..

فإني كنت أشركتك في أمانتي.. إلى آخر الكتاب المتقدم..

فأجابه ابن عباس، ثم كتب إليه أمير المؤمنين «عليه السلام»، فراجع[2].

قال ابن عبد ربه، بعد نقل ما ذكرنا من الكتب: فكتب إليه ابن

---

(1) الآية 175 من سورة الأعراف.

(2) العقد الفريد ج3 ص347 - 349 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص141 - 143 والكامل في التاريخ ج3 ص433 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص84 وأنساب الأشراف ج2 ص389 و (ط الأعلمي) ج2 ص174 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص167 ونهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص67 الكتاب 41 وتذكرة الخواص ص151 وإختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج1 ص279 وبحار الأنوار ج33 ص499 ح705 ومعجم رجال الحديث ج11 ص253 ومعادن الحكمة ج1 ص235 - 238 وراجع: (بشرح عبده) ج3 ص65 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص160 وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج5 ص87 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص781 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج6 ص218 ونهج السعادة ج5 ص327 ومنهاج البراعة ج3 ص129 .

عباس في جوابه:

والله لئن لم تدعني من أساطيرك لأحملنه إلى معاوية يقاتلك به، فكف عنه[1].

ابن عباس بقي في البصرة!!:

لكن ابن أعثم قال:

ثم اعتزل ابن عباس عمل البصرة وقعد في منزله، فكتب إليه علي بن أبي طالب «رضي الله عنه» بكتاب يعذله فيه على غضبه، ويكذب من سعى به إليه، وأعاده إلى عمله[2].

ابن عباس أرجع المال:

لكن اليعقوبي يقول:

كتب أبو الأسود الدؤلي، وكان خليفة عبد الله بن عباس بالبصرة، إلى علي يعلمه أن عبد الله أخذ من بيت المال عشرة آلاف درهم، فكتب إليه يأمره بردها، فامتنع، فكتب يقسم له بالله لتردنها، فلما ردها عبد الله بن عباس، أو رد أكثرها، كتب إليه علي:

(1) العقد الفريد ج3 ص347 - 349 وجمهرة رسائل العرب ج1 ص520 ونهج السعادة ج5 ص346 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص84.

(2) الفتوح لابن أعثم ج4 ص242.

أما بعد، فإن المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، فما أتاك من الدنيا فلا تكثر به فرحاً، وما فاتك منها فلا تكثر عليه جزعاً، واجعل همك لما بعد الموت، والسلام(1).

فكان ابن عباس يقول: ما اتعظت بكلام قط اتعاظي بكلام أمير المؤمنين(2).

رواية الزهري:

وروى الكشي عن الزهري، عن الحارث يقول: استعمل علي «عليه السلام» على البصرة عبد الله بن عباس، فحمل كل مال في بيت المال بالبصرة، ولحق بمكة، وترك علياً «عليه السلام» وكان مبلغه ألفي ألف درهم. فصعد علي «عليه السلام» المنبر حين بلغه ذلك فبكى، فقال:

هذا ابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله» في علمه وقدره

---

(1) مجالس ثعلب ج1 ص155 وبهج الصباغة ج8 ص296 و 297 عنه .

(2) تاريخ اليعقوبي ج2 ص205 وبهج الصباغة ج8 ص297 عنه .

وكتاب أمير المؤمنين «عليه السلام» يوجد في المصادر التالية: الكافي ج8 ص240 ونهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص20 و 127 الكتاب 22 و 66 وخصائص الأئمة ص95 وتحف العقول ص200 وبحار الأنوار ج33 ص495 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص503 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص140.

يفعل مثل هذا، فكيف يؤمن من كان دونه؟!

اللهم إني قد مللتهم، فأرحني منهم، واقبضني إليك غير عاجز ولا ملول(1).

عباسي يعترف:

وقال المأمون في رسالته إلى بني هاشم في أمير المؤمنين «عليه السلام»:..ثم لم يزل الأمور تتراقى به، إلى أن ولي أمور المسلمين، فلم يعن بأحد من بني هاشم إلا بعبد الله بن عباس تعظيماً لحقه، وصلة لرحمه، وثقه به، فكان من أمره الذي يغفر الله له(2).

في مكة؟! أو في البصرة؟!:

قال الطبري:

وحدثني أبو زيد قال: زعم أبو عبيدة، ولم أسمعه منه: أن ابن عباس لم يبرح من البصرة حتى قتل علي «عليه السلام»، فشخص إلى الحسن، فشهد الصلح بينه وبين معاوية، ثم رجع إلى البصرة وثقله بها، فحمله ومالاً من بيت المال قليلاً، وقال: هي أرزاقي.

---

(1) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج1 ص279 الرقم 109 وبحار الأنوار ج42 ص152 ح21 ومنتهى المقال ج4 ص199 ومعجم رجال الحديث ج11 ص253.

(2) الطرائف لابن طاووس ص278 وبحار الأنوار ج49 ص210 وقاموس الرجال للتستري ج12 ص152 وغاية المرام ج2 ص55.

قال أبو زيد: ذكرت ذلك لأبي الحسن، فأنكره، وزعم: أن علياً قتل وابن عباس بمكة، وأن الذي شهد الصلح بين الحسن ومعاوية عبيد الله بن عباس(1).

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص142 و 143 و (ط الأعلمي) ج4 ص109 وأخبار القضاة لوكيع ج1 ص289 والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي ج5 ص164.

الفصل الثامن:

براءة ابن عباس..

اختلاف الروايات:

اختلفت الروايات، أو تناقضت في أمور كثيرة. فمن هذه الإختلافات الإختلاف:

ألف: بقي في البصرة، أم غادر إلى مكة؟!:

ذكر اليعقوبي، وغيره: أن ابن عباس قد أرجع المال، أو أكثره، بسبب إصرار علي «عليه السلام»، وبقي في البصرة، ولم يغادرها[1].

وروايات أخرى تقول: بل حمل المال إلى مكة، بالرغم من ممانعة أهل البصرة، فنصره أخواله[2]. فكيف نوفق بين هذه وتلك؟!

---

(1) تاريخ اليعقوبي ج2 ص205 وراجع: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي ج5 ص164وقاموس الرجال ج6 ص18 و 19 عنه.

(2) العقد الفريد (طبع سنة 1346 هـ) ج3 ص120 - 123 وأنساب الأشراف (طبع الأعلمي) ص169 - 176 وتاريخ الأمم والملوك (طبع مطبعة

ب: في مكة:

هناك رواية تقول: إنه ذهب إلى مكة، وبقي فيها[1].

ورواية تقول: بل حمله من البصرة وذهب به بنفسه إلى الكوفة نادماً وتائباً[2].

ج: مقدار المال:

هل المال الذي أخذه كان ستة ملايين؟![3].

الإستقامة) ج4 ص108 - 109 والكامل لابن الأثير (طبع صادر) ج3 ص386 - 387 وتذكرة الخواص ص151 - 152 والبداية والنهاية ج7 ص323 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص357 ملخصاً، والفتنة الكبرى ج2 ص121 - 129 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج2 ق2 ص183 و 184 .

(1) راجع: بحار الأنوار ج33 ص502 وج42 ص154 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص170 وإختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج1 ص280 ومعجم رجال الحديث ج11 ص254 وأنساب الأشراف (ط الأعلمي) ج2 ص174 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص83 و 84.

(2) مكارم الأخلاق ج1 ص249 و (منشورات الشريف الرضي سشنة 1392هـ) ص114 وبحار الأنوار ج76 ص312.

(3) جواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص81 وأنساب الأشراف (ط الأعلمي) ج2 ص172.

أو كان مليونين؟!(1).

أو عشرة آلاف؟!(2).

من الذي حج بالناس؟!:

زعمت الرواية المتقدمة: أن الخلاف بين أبو الأسود وزياد بن أبيه قد نشب حين كان ابن عباس في مكة، حيث أمره أن يقيم الحج للناس في سنة أربعين.

مع أن علياً «عليه السلام» استشهد في شهر رمضان في سنة أربعين، قبل موسم الحج.. والذي حج بالناس في سنة أربعين هو المغيرة بن شعبة، من قبل نفسه، حيث افتعل كتاباً على لسان معاوية كما يزعمون(3).

---

(1) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج1 ص279 وبحار الأنوار ج42 ص152 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج12 ص193 ومنتهى المقال ج4 ص199 ومعجم رجال الحديث ج11 ص253 وأعيان الشيعة ج1 ص526.

(2) تاريخ اليعقوبي ج2 ص201

(3) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص160 و (ط الأعلمي) ج4 ص123 والكامل في التاريخ ج3 ص402 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص195 وتاريخ بغداد ج1 ص205 وتاريخ مدينة دمشق ج60 ص45 وتاريخ الإسلام للذهبي ج4 ص122 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج8 ص17.

ولو قيل: إن في الأمر اشتباهاً من الراوي بين سنة تسع وثلاثين وأربعين.

نجيب:

أولاً: قيل: إن الذي حج بالناس هو عبيد الله بن عباس، لا عبد الله(1).

ثانياً: قال الطبري: وزعم أبو الحسن: أن ذلك باطل، وأن ابن عباس لم يشهد الموسم في عمل حتى قتل علي «عليه السلام».

قال: والذي نازعه يزيد بن شجرة هو قثم بن العباس. حتى أنهما اصطلحا على شيبة بن عثمان، فصلى بالناس سنة 39.

وكالذي حكيت عن أبي زيد عن أبي الحسن قال: أبو معشر في ذلك..(2).

لنا الحق في أن نرتاب:

وأول ما لفت نظرنا هنا: أن نفس رواة هذه السرقة المزعومة يبادرون إلى الإعلان: بأن ثمة من لم يلتفت إلى هذه الروايات،

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص34 و (ط الأعلمي) ج4 ص104 ورواه عن الواقدي، والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج5 ص160 والكامل في التاريخ ج3 ص377.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص34 و (ط الأعلمي) ج4 ص104 ورواه عن الواقدي.

وصرح: بأن ابن عباس لم يزل عاملاً لعلي «عليه السلام» على البصرة حتى استشهد علي «عليه السلام»، وشهد صلح الإمام الحسن «عليه السلام» مع معاوية، ثم خرج إلى مكة(1).

وهذا ما قاله أبو عبيدة أيضاً(2).

وقاله العسقلاني(3).

وقال ابن كثير: «وتأمر على البصرة من جهة علي «عليه السلام»، وكان إذا خرج منها يستخلف أبا الأسود الدؤلي على الصلاة، وزياد بن أبي سفيان (كذا) على الخراج. وكان أهل البصرة مغبوطين به يفقههم، ويعلم جاهلهم، ويعظ مجرمهم، ويعطي فقيره، فلم يزل عليها حتى مات علي «عليه السلام»..»(4).

وهذا ما قاله عمرو بن عبيد لسليمان بن علي(5).

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص141 و (مطبعة الإستقامة) ج4 ص108 وأنساب الأشراف (ط الأعلمي) ج2 ص176 وتذكرة الخواص (ط النجف) ص107 والكامل في التاريخ ج2 ص432 و (ط دار صادر) ج3 ص386.

(2) تاريخ الأمم والملوك (ط الإستقامة) ج4 ص109 و(ط أخرى) ج5 ص143.

(3) الإصابة ج2 ص334.

(4) البداية والنهاية ج8 ص304 (ط دار إحياء التراث العربي) ج8 ص334.

(5) الأمالي للمرتضى ج1 ص177 و (ط مكتبة المرعشي سنة 1325هـ) ج1

وقال المعتزلي:

وقال آخرون وهم الأقلون: هذا لم يكن، ولا فارق عبد الله بن عباس علياً «عليه السلام»، ولا باينه، ولا خالفه، ولم يزل أميراً على البصرة إلى أن قتل علي «عليه السلام».. إلى أن قال: وهذا هو الأمثل والأصوب، ثم أظهر التردد أخيراً[(1)].

وقد ذكرنا ما قاله اليعقوبي، وراجع ما قاه أبو أراكة، والسدي[(2)].

سند روايات ابن عباس:

1 - هناك من يناقش كثيراً في أسانيد روايات السرقة هذه، باعتبار أن خبراً كهذا هو من أخبار الآحاد، لا يتجاوز رواته بضعة أفراد، مع أنه حدث هام جداً، تتوفر الدواعي على نقله.

فكيف إذا كان معظم رواته مجهولين؟! أو لم يكونوا في زمن الحدث؟!

وأكثر الرسائل رواها أبو الكنود، فكيف يمكن التأكد من وثاقته

ص123 وقاموس الرجال (ط أولى) ج6 ص15 و 16 عنه، وأعيان الشيعة ج8 ص57.

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص171 وبحار الأنوار ج33 ص502 وتنقيح المقال (ط حجرية) ج2 ص194 عن ابن ميثم، .

(2) راجع: تاريخ اليعقوبي ج2 ص205 وتذكرة الخواص ص152 و 150 وقاموس الرجال للتستري ج11 ص204.

لكي نقبل منه أن يروي كل هذه الرسائل والوثائق، ولا بد من معرفة السبب في أنه اختص بروايتها جميعها. ولم يشترك غيره معه في نقلها؟!

وتقدم زعم الطبري: أن عامة المؤرخين قد ذكروا هذه الحادثة.. وهذا لو صح لكان نقلاً لرواية خبر واحد، مع أن من المفروض أن يصل إلينا الخبر، من عشرات الطرق، وبعشرات الأسانيد. ولكان هو نفسه قد ذكره لنا بأكثر من سند..

وأمر آخر يلفت النظر، وهو: أنه إذا كان جميع أهل البصرة قد خرجوا إما لنصرة ابن عباس، ومساعدته على الفوز بالأموال، واستصحابها إلى مكة. أو خرجوا لاستعادتها منه..

وقد حصل بينهم جدال وقتال عليها.. ثم مشى المصلحون بين الفريقين. وانتهت المشكلة..

فلماذا لم يرو لنا هذا الحدث العظيم أحد من هؤلاء الذين يفترض أن يعدوا بعشرات الألوف؟!

وخلاصة القول بالنسبة لرواة هذه القضية كما يلي:

أولاً: لا عبرة بالخبر الذي رواه الكشي عن الزهري. لأن علي بن يزداد الصائغ الجرجاني مهمل.

وعبد العزيز بن محمد بن عبد الأعلى الجزري مهمل.

وخلف المخزومي البغدادي مهمل.

وسفيان به سعيد مردد بين الكوفي المهمل وبين سفيان الثوري.

والزهري من أعوان بني أمية، وقد ذكرنا في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» بعض ما يدل على أنه لا يصح الإعتماد على ما يرويه في حق علي ومحبيه.

ثانياً: لا عبرة بالخبر المروي في كتاب الكشي عن الشعبي، لأن راويه عنه شيخ مجهول.

ومعلى بن هلال بن مؤيد الحضرمي، وصفوه بأنه كذاب يضع الحديث..

وذكر المعتزلي: أن الشعبي أحد أربعة لا يؤمنون على علي بن أبي طالب «عليه السلام»..

ثالثاً: بالنسبة للخبر الذي رواه الطبري نقول:

إن راويه هو أبو مخنف. وقد علمنا أنهم يضعونه. فراجع كتب الرجال التي لغير الشيعة.

كما أن عبد الرحمن بن عبيد أبا الكنود، هو مهمل، ومجهول..

تعليلات سقيمة:

وتقدم:

أن ابن عباس لما عاد إلى البصرة. ورأى أبا الأسود بادره بقوله: لو كنت من البهائم، كنت جملاً، لعله إشارة إلى أنه حقود يهجم على حين غفلة على من يحقد عليه.

ثم قال له:

ولو كنت راعياً بلغت المرعى. ربما لأنه ليس مهتماً، ولا حريصاً على حفظ ما وكل بحفظه..

فزعم طه حسين: أنه إنما شتم أبا الأسود بهذا، لأنه آنس منه شيئاً من النكير، فأغلظ له في القول ذات يوم، فضاق أبو الأسود بما رأى وما سمع، فكتب إلى علي «عليه السلام»(1).

وهذا رجم بالغيب.. ولو كان هذا صحيحاً، فالأنسب أن يكون سببه ما قاله ابن أعثم، من أن خلافاً نشب بين زياد، وأبي الأسود، فهجاه أبو الأسود، فلما عاد ابن عباس من الحج شكاه زياد إليه.

مع العلم بأن كلام ابن أعثم أيضاً غير صحيح.. لما تقدم، من أن ابن عباس لم يحج في خلافة علي «عليه السلام» أصلاً (2).

ذم ابن عباس لأبي الأسود:

تقدم: أن ابن عباس يخاطب أبا الأسود بألفاظ خشنة، لا تليق به ولا بأبي الأسود. ولا يحق له توجيه هذه الكلمات إليه.. حتى وإن ثبت له بالحجة الشرعية أنه كان قد أخطأ، أو أساء، فإن الإساءة تستتبع العقوبة، ولا يجوز الإيذاء اللساني، والإهانة.. لا من الوالي ولا من غيره.. ولو فعل ذلك كان عاصياً.

---

(1) الفتنة الكبرى ج2 ص122.

(2) راجع: تاريخ الأمم والملوك (ط الإستقامة) ج4 ص104 والكامل لابن الأثير ج3 ص377 والبداية والنهاية ج7 ص322.

ولعلك تقول:

لعل ابن عباس يذم أبا الأسود، لأنه أخبر علياً بأمر الأموال.

ونجيب:

أولاً: ليس لابن عباس أن يذمه على هذا الأمر، فإنه يجوز له، بل يجب عليه أن يخبر أمامه بكل ما يجري.

ثانياً: إن علياً «عليه السلام» قد أثنى على أبي الأسود لإخباره إياه بأمر الأموال. فما معنى أن يذمه ابن عباس بهذا الذم القبيح..

ولو كان ما فعله أبو الأسود مخالفاً للشرع لزجره علي «عليه السلام»، ولم يثن عليه.. ولو كان خطأ لبينه له، وعرفه به..

عمرو بن عبيد ينكر الحديث:

ذكر سليمان بن علي: أن الحسن البصري «كان يقول في عبد الله بن عباس: إنه يفتينا في القملة والقميلة، وطار بأموالنا في ليلة.

فقال له عمرو: فكيف تقول هذا وابن عباس لم يفارق علياً «عليه السلام» حتى قتل، وشهد صلح الحسن «عليه السلام»؟!».

ثم قال: وأي مال يجتمع في بيت مال البصرة مع حاجة علي «عليه السلام» إلى الأموال؟! وهو يفرِّغ بيت مال الكوفة في كل خمس، ويرشه، وقالوا: إنه كان يقيل فيه. فكيف يترك المال يجتمع

بالبصرة؟! هذا باطل(1).

فلو كانت هذه القضية معروفة ومكشوفة، وقد خرج أهل البصرة بأجمعهم.. إما لاسترداد المال، أو لحماية ابن عباس. فكيف ينكرها عمرو بن عبيد؟!

ولو كان قيس بن سعد قد ذكره في خطابه بعد هرب أخيه عبيد الله إلى معاوية فكيف ينكرها عمرو بن عبيد؟! وأيضاً لو كان ابن الزبير قد عيره بها. وكان قد بذل المال الجواري في مكة، فكيف ينكرها عمرو بن عبيد؟! وكانت قد جرت كل تلك المكاتبات التي قد تزيد على ثلاث عشرة رسالة.. ـ نعم، لو كان ذلك كله قد حصل ـ فلا يمكن أن يتجرأ عمرو بن عبيد على إنكار هذه القضية مع قرب العهد بها.

وقد كان عمرو بن عبيد عالماً معروفاً، يتظاهر بالصلاح والزهد.. حتى لقد قال المنصور عنه:

كلنا يطلب صيد كلنا يمشي رويد

(1) الأمالي للسيد المرتضى ج1 ص177 و (ط مكتبة المرعشي سنة 1325هـ) ج1 ص123 وقاموس الرجال (ط أولى) ج6 ص15 و 16 عنه، وأعيان الشيعة ج8 ص57.

غيـر عـمـرو بـن عبيـــــد

رسالة محمد بن عبد الله للمنصور:

ثم إن محمد بن عبد الله بن الحسن قد ثار على المنصور، ولاقى تأييداً واسعاً في البلاد الإسلامية، وأرسل محمد هذا رسالة للمنصور(1) يطعن فيها على العباسيين في دعواهم للخلافة، وكان المنصور قد أنشأ فرقة تسمى الراوندية، تدعي أن الحق في الخلافة للعباس، ثم منه لولده عبد الله، ثم لأولاده من بعده.. ولكنهم يصححون خلافة علي «عليه السلام»، لأن العباس رضي بها، ثم رضي بها ابنه عبد الله..

وقد تضمنت رسالته هذه مطاعن كثيرةً عليهم، ولكن محمداً لم يذكر شيئاً عن سرقة جدهم ابن عباس لأموال البصرة، مع أنه حاول أن يحتج بأمور ضعيفة، مثل كون العباسيين من الطلقاء، وكونهم أبناء أمهات الأولاد، ولو كانت قضية السرقة مطروحة على النحو الذي توحي به الرواية وكل تلك الرسائل المتقدمة، لكان الأولى لمحمد أن يبرزها في رسالته تلك، ويعتمد عليها في إبطال ما يدعونه..

---

(1) الرسالة في تاريخ الأمم والملوك (ط سنة 1326 هـ.) ج9 ص211 و (ط الأعلمي) ج1 ص195 والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج8 ص65 وتاريخ الإسلام الذهبي ج9 ص24.

شعر ابن فسوة:

ولو كانت هذه القصة قد حصلت، وحصل فيها ذلك القتال والتجمع الفريد لأهل البصرة، لانتزاع المال من ابن عباس لكان قد أصبح عروس الشعر لمبغضي العباسيين، ومنهم عيينة بن مرداس، المعروف بابن فسوة، حين هجا عبد الله بن عباس، لأنه قدم عليه في البصرة، فطلب منه المعونة والصلة بالمال، ويصل قرابته، فلم يعطه شيئاً، وهدده بقطع لسانه، إن بلغه أنه هجا أحداً من العرب، ثم حبسه يومه ذلك، ثم أخرجه عن البصرة..

فوفد إلى المدينة بعد مقتل علي «عليه السلام»، فوصله الإمام الحسن «عليه السلام» وعبد الله بن جعفر، فقال يمدحهما، ويذم ابن عباس:

أتيت ابن عباس فلم يقض حاجتي ... ولم يرج معروفي ولم يخش
حبست فلم أنطق بعذر لحاجة ... وشد خصاص البيت من كل منظر
وجئت وأصوات الخصوم وراءه ... كصوت الحمام في القليب المغور
وما أنا إن زاحمت مصراع بابه ... بذي صولة باق ولا بحزوَّر
فلو كنت من زهران لم ينس ... ولكنني مولى جميل بن معمر
وباتت لعبد الله من دون حاجتي ... شميلة تلهو بالحديث المقتر

إلى آخر الأبيات(1).

فهو يتنقص ابن عباس بكون الناس يتخاصمون عنده بأصوات عالية، وبأنه يحابي أنسباءه من زهران، لأن زوجته شميلة منهم.. ولكنه لم يعب عليه سرقته أموال بيت مال البصرة، مع أن ذلك لو صح لكان الأولى أن يجعله عروس شعره. وأن يعلن للناس: أنه يمنعه المال، مع أنه قد انتهب بيت مال المسلمين، وهرب إلى مكة، واشترى به الجواري..

ألم يشركنا في هذه الدماء؟!:

وورد في بعض تلك النصوص، كرواية ابن أعثم: أن ابن عباس قد كتب لأمير المؤمنين «عليه السلام» يشنع عليه بأنه أراق دماء المسلمين..

وهذا عجيب:

أولاً: لقد كان ابن عباس شريكاً في تلك الدماء، وكان من القادة الكبار في تلك الحروب، ولذلك قال «عليه السلام»: وابن عباس ألم يشركنا في هذه الدماء؟!

ثانياً: إن هذا ينافي ما جرى بينه وبين ذلك الشامي الذي سأله ـ بعد موت علي «عليه السلام» ـ عن تلك الدماء، فأثبت له: إن سفك

---

(1) الأغاني (ط مطبعة التقدم بمصر) ج19 ص143 و 144 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج22 ص425 والحلة السيراء لابن الأبار ج1 ص22.

علي «عليه السلام» لها كان بالحق. لأنها كلها تستحق أن تسفك.

وقد أطال في الإستدلال على ذلك الشامي حتى أقنعه، وأقر، وعاد إلى موالاة علي «عليه السلام»(1).

ثالثاً: إن هذا ينافي ما كان يلهج به ابن عباس سابقاً ولاحقاً أمام خصوم علي «عليه السلام»، من أنه «عليه السلام» على الحق والهدى، ولم يقصد في كل مواقفه إلا رضا الله تعالى. أما أعداؤه ومناوئوه، فكانوا طلاب دنيا، وملك وسلطان(2).

ولم نجد من يعترض عليه بأنه هو نفسه قد كتب إلى علي «عليه السلام» يشنع عليه بأنه سفك دماء المسلمين..

---

(1) المحاسن والمساوي للبيهقي ج1 ص65 - 68 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج15 ص61 عن المحاسن والمساوي (ط بيروت) ص43.

(2) راجع على سبيل المثال لا الحصر: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص189 وج6 ص326 - 329 وج2 ص57 و 58 والبيان والتبيين (ط سنة 1960 هـ.) ج2 ص300 و 301 وصفين للمنقري ص116 و 318 و413 و 415 والأمالي للطوسي ج1 ص11 و 97 والعقد الفريد ج2 ص230 وج4 ص7 و 2 ومروج الذهب ج3 ص8 و 60 و 26 و435 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص112 والإمامة والسياسة ج1 ص128 والأمالي للسيد المرتضى ج1 ص277 و 286 والمحاسن والمساوئ، وكشف الغمة، وغير ذلك.

يعيرهم، فلماذا لا يعيرونه؟!:

1 - لقد جرت بين ابن عباس من جهة، وبين خصومه وخصوم علي «عليه السلام» من جهة أخرى مناظرات كثيرة. كانوا فيها يحاولون اتهامه واتهام علي «عليه السلام» بكل ما يقدرون عليه، من المآخذ والمعايب، وكل ما يوجب كسر الشوكة، ولم نجدهم أشاروا ولو مرة واحدة إلى سرقته أموال بيت مال البصرة.

فراجع مناظراته مع معاوية، وعمرو بن العاص، ويزيد، وعتبة بن أبي سفيان، وسعيد، ومروان، والوليد بن عقبة، وعبد الرحمان بن الحكم، وزياد، وغيرهم..

نعم.. قد ورد ذلك في مواجهة واحدة، وهي التي جرت بينه وبين عبد الله بن الزبير، فلما أجابه بأنه إنما يأخذ حقه الذي فرضه الله تعالى له في كتابه العزيز، لم يعلق ابن الزبير على ذلك، ولو بكلمة واحدة..

2 - إنه «رحمه الله» قد عير أعداءه بتعدياتهم المالية، تلميحاً تارة، وتصريحاً أخرى، ولم نجد لهم ردة فعل على ما قاله، فيلاحظ:

ألف: لقد روى لنا ابن عبد ربه وغيره قوله لهم: إن استعمال علي «عليه السلام» لولاته لنفسه، لا لهواه.

أما معاوية، فقد استعمل رجالاً لهواه لا لنفسه..

ب: إنه عير عمرو بن العاص: بأنه قد باع دينه بدنيا معاوية(1).

وقال له أيضاً: «أردت الله، وأردت مصر»، وذلك في كتاب أرسله إليه كله على هذه الوتيرة، وبهذه المضامين(2).

فلماذا لا يجيبون على تعييره إياهم بذلك بتعييره بسرقة أموال المسلمين؟! ولا يطعنون على علي «عليه السلام» بأنه يولي السارقين؟!

أين الملايين؟!:

وإذا نظرنا إلى الرواية التي ذكرت:

أنه قد أخذ من بيت مال البصرة ستة ملايين، أو مليوني درهم، أو ما هو أقل من ذلك، فإنها تبقى ثروة هائلة جداً، لا يمكن أن تذهب من

---

(1) البيان والتبيين ج2 ص300 و 301 و (ط المطبعة التجارية الكبرى سنة 1345هـ) ص362 وبحار الأنوار ج33 ص231 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص246 ووفيات الأعيان ج3 ص63 والتذكرة الحمدونية ج7 ص196 والغدير ج2 ص137 و 168 والدرجات الرفيعة ص111 وراجع: أنساب الأشراف (ط الأعلمي) ج5 ص95 وصفين للمنقري ص412 والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص99 و (تحقيق الشيري) ج1 ص132 والفتوح لابن أعثم ج3 ص150.

(2) أنساب الأشراف ج3 ص88 و (ط الأعلمي) ج1 ص308 و 309 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص64 وصفين للمنقري ص413 والإمامة والسياسة ج1 ص99 والدرجات الرفيعة ص111 و 112.

بين يدي ابن عباس، دون أن يشعر أحد.. لا سيما وأننا لا نعرف عن ابن عباس أنه كان مبذراً، ولم يظهر أنه كان يملك عقارات، ولا دوراً، ولا خيولاً، ولا إبلاً، ولا غير ذلك من أنواع الأموال..

وهل انتهت تلك الثروة بشرائه ثلاث مولدات بثلاثة آلاف دينار؟!

وأين كان عنه الشعراء والمتزلفون، وأصحاب الحاجات والمديونون؟!

وقد كانت هذه الملايين في ذلك الوقت تكفي لنفقات دولة بأكملها، فكيف وأين وعلى ماذا صرفها ابن عباس؟!

وهل صحيح: أن ثمن الجارية كان يصل في ذلك الوقت إلى ألف دينار؟! وكيف يمكن أن نصدق ذلك، ونحن نرى معاوية يقول لعقيل: إنه تكفيه جارية بثلاثين درهماً؟!

تقدم: أن علياً «عليه السلام» أعطى بعثاً أرسله للقتال في بعض البلاد ـ أعطى ـ خمسين درهماً لكل واحد منهم..

فكيف ذابت هذه الملايين، أو مئات الألوف كما يذوب الملح.. أو كما تذوب قطعة ثلج تقع في تنور مسجور؟!

لماذا إلى مكة؟!:

هل يظن ابن عباس: أنه بمسيره إلى مكة قد حصن نفسه من علي «عليه السلام»، ولم تعد يده تصل إليه؟!

ألم يكن بوسعه «عليه السلام» أن يأمر واليه بأن يضيق عليه في المأكل والمشرب حتى يخرج منها، ثم يقبض عليه، ويرسله إليه؟! كما هو حكم القاتل خارج الحرم إذا لجأ إلى الحرم!![1].

وهل يمكن أن يأمن بأس علي «عليه السلام»[2] إذا كان الحكم الشرعي هو ما ذكرناه؟!

وتقدم: أنه هدد علياً «عليه السلام» بأنه سوف يحمل ذلك المال إلى معاوية، ليقاتله به. ولكن هل يجرؤ ابن عباس على الذهاب إلى معاوية؟! ألا يعرض نفسه لخطر أكيد وشديد؟! وهل يعلم أن معاوية يرى أنه رأس الناس بعد علي؟! وألا يعد ذلك سقوطاً ذريعاً ومهيناً له، وفضيحة له، وللبيت الذي ينتمي إليه؟!

وألم يكن بإمكان علي «عليه السلام» أن يحاصره، ويقطع الطريق عليه حتى يقبض عليه؟!

ألا يعرف أن العزيز ذليل عند علي حتى يأخذ منه الحق[3]. وأنه

---

(1) نزهة الناظر ليحي بن سعيد الحلي ص119 وتبصرة المتعلمين ص263 والينابيع الفقهية ج40 ق1 ص149 وق2 ص416.

(2) راجع: الفتنة الكبرى لطه حسين ج2 ص125.

(3) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص88 الخطبة رقم 37 وكتاب الأربعين للشيرازي ص173 - 174 وبحار الأنوار ج21 ص121 - 124 وج39 ص351 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص284 و 286 والتفسير المنسوب إلى الإمام العسكري «عليه السلام» ص554 - 558.

سوف يبقر الباطل حتى يخرج الحق من خاصرته(1).

علاقة ابن عباس بأبناء علي ×:

ولو كانت الأمور قد بلغت بين ابن عباس وبين علي «عليه السلام» إلى ذلك الحد من الجرأة والإهانة، والتهديد والوعيد، والطعن، وقلة الإحترام، فلا بد أن نسأل عن السبب في أن علاقة ابن عباس مع علي وأبنائه «عليهم السلام» قد بقيت على حالها، ولم يطرأ عليها أي وهن، أو ضعف، بل بقيت علاقة محبة ومودة، ولا سيما الإمامين الحسن والحسين «عليهما السلام» ومع شيعتهم..

ولم نجد أحداً من الأئمة «عليهم السلام» شكا من ابن عباس، أو طعن في أمانته، أو ذكر له خيانة مالية، أو أشار إلى أي مغمز فيه، أو كدورة بينه وبين علي «عليه السلام»، أو مع أبنائه من بعده..

بل كان دائماً نصيراً مدافعاً، ومحباً مخلصاً.. وإن ورد شيء من ذلك، فإن النقد العلمي الصريح يزيله، ويوضح عدم صحته.

ولماذا يتخذه الإمام الحسن «عليه السلام» عوناً له وعضداً، ولا يطالبه بأموال المسلمين؟!

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص200 والإرشاد للمفيد ج1 ص248 وبحار الأنوار ج32 ص77 و 114 و 220 ونهج السعادة ج1 ص240 و 250 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص233 وج7 ص114.

ابن عباس عند علي × يوم الإستشهاد:

1 ـ قال الشيخ المفيد: «ومنها ما رواه الثقات عنه: إنه كان يفطر في هذا الشهر ـ يعني شهر رمضان ـ ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند ابن عباس، لا يزيد على ثلاث لقم.

فقال له أحد ولديه ـ الحسن أو الحسين «عليهما السلام» ـ في ذلك، فقال: يا بني! يأتي أمر الله وأنا خميص، إنما هي ليلة، أو ليلتان، فأصيب من الليل»(1).

ولكن هذه الرواية رويت في بعض المصادر، وفيها عبد الله بن جعفر بدل عبد الله بن عباس(2). فراجع.

---

(1) الإرشاد للمفيد ج1 ص320 و (طبع سنة 1364 هـ) ص151 وكشف الغمة ج2 ص114 و (طبعة حجرية) ص130 وشرح الأخبار ج2 ص291 و 430 والمناقب للخوارزمي ص223 ومقاتل الطالبيين ص52 وإعلام الورى ص160 وفرائد السمطين ج1 ص387 وكنز العمال ج13 ص195 عن ابن عساكر، ويعقوب بن سفيان، وراجع: ترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ دمشق ج3 ص294 و تاريخ مدينة دمشق ج42 ص554 وبحار الأنوار ج42 ص224 عن الإرشاد، والدرجات الرفيعة ص118 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص271 وراجع: عمدة الطالب ص60 والإعتبار للحازمي ص126.

(2) المناقب للخوارزمي ص282 ونظم درر السمطين ص137 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج19 ص187 والصواعق المحرقة ص134 والفصول

والظاهر: أن أصل الرواية يقول: إنه ابن عباس، لكن البعض بدلها بابن جعفر، ويبدو لنا: أن هذا التبديل كان اجتهاداً سيئاً من الرواة.. إما لظنهم أن ابن عباس كان في مكة مفارقاً لعلي «عليه السلام»، أو لظنهم أنه كان في البصرة يدير شؤونها.

ولعل هذا هو الذي حمل ابن شهرآشوب وأبا علي الطبرسي بعد ذكر الرواية المتقدمة لأن يقولا: «والأصح عبد الله بن جعفر»[(1)].

2 - ولكن هذا الإجتهاد غير دقيق.. فقد صرحت النصوص: أن ابن عباس في صبيحة الليلة التي استشهد فيها أمير المؤمنين «عليه السلام» قام بين يدي الإمام الحسن، وقال: معاشر الناس: إن هذا ابن بنت نبيكم، ووصي إمامكم فبايعوه إلخ..[(2)].

المهمة لابن الصباغ ج1 ص633 وكنز العمال ج13 ص190 عن العسكري، والإرشاد للمفيد ج1 ص14 والخرائج والجرائح ج1 ص201 وبحار الأنوار ج41 ص300 وج42 ص198 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص555 وأسد الغابة ج4 ص35 والكامل في التاريخ ج3 ص388 والفخري في الآداب السلطانية ص99 و 100.

(1) إعلام الورى ج1 ص309 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص271.

(2) كشف الغمة ج2 ص337 و (طبعة حجرية) ص161 والفصول المهمة لابن الصباغ ص146 و (ط أخرى) ج2 ص716 و 717 والإرشاد المفيد ج2 ص8 و 9 و (طبع سنة 1364 هـ) ص167و 168 وإثبات الهداة ج5 ص134 و 136 وإعلام الورى ج1 ص406 و 407 ومقاتل الطالبيين ص62 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص29 و 30.

3 ـ وقد صرح المفيد وغيره بقوله: «وذلك في الحادي والعشرين من شهر رمضان، سنة أربعين للهجرة، فرتب العمال، وأمر الأمرة، وأرسل عبد الله بن العباس إلى البصرة، ونظر في الأمور»(1).

4 ـ ورووا أنه لما قتل «عليه السلام» قال ابن عباس: هذا اليوم نقص الفقه والعلم من أرض المدينة، ثم قال: نقصان الأرض نقصان علمائها وخيار أهلها الخ..(2). فلو لم يكن ابن عباس في الكوفة لم يمكن أن يقول: «هذا اليوم»، لأن الخبر لا يصل في نفس اللحظة إلى مكة، ولا إلى البصرة.

5 ـ وقال المعتزلي: «قال المدائني: ولما توفي علي «عليه السلام» خرج عبد الله بن العباس بن عبد المطلب إلى الناس، فقال: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد توفي. وقد ترك خلفاً، فإن أحببتم خرج إليكم، وإن كرهتم فلا أحد على أحد.

فبكى الناس، وقالوا: بل يخرج إلينا.

فخرج الحسن «عليه السلام»، فخطبهم. إلى أن قال: فبايعه

---

(1) الإرشاد للمفيد ج2 ص9 وكشف الغمة ج2 ص337 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص145 وبحار الأنوار ج43 ص363 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج7 ص55.

(2) مناقب آل أبي طالب ج3 ص308 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص92 وبحار الأنوار ج42 ص236.

الناس»[1].

6 ـ كان ابن عباس في جيش الإمام الحسن «عليه السلام».. فعن المدائني، قال: «ثم وجه ـ أي الحسن «عليه السلام» ـ عبد الله بن عباس، ومعه قيس بن سعد بن عبادة، مقدمة له في اثني عشر ألفاً إلى الشام. وخرج وهو يريد المدائن، فطعن بساباط، وانتهب متاعه. ودخل المدائن.

وبلغ ذلك معاوية، فأشاعه. وجعل أصحاب الحسن الذين وجههم مع عبد الله يتسللون إلى معاوية: الوجوه، وأهل البيوتات.

فكتب عبد الله بن العباس بذلك إلى الحسن «عليه السلام»، فخطب الناس، ووبخهم، وقال: خالفتم أبي حتى حكَّم وهو كاره إلخ..».

ثم يذكر قضية الصلح[2].

وهذا النص:

أولاً: يدل على عدم صحة ما نسب إلى قيس من أنه قال في كلامه عند هروب أخيه عبيد الله إلى معاوية: إنه قد سرق مال الله، وهو يزعم أنه حلال له..

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص22.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص22.

ثانياً: لا يمكن ادعاء أن عبد الله تصحيف عبيد الله، لأن عبد الله كتب إلى الإمام الحسن يشكو إليه تسلل وجوه أصحابه إلى معاوية. أما عبيد الله، فكان من أوائل الهاربين إلى معاوية.

ثالثاً: إن هذا يدل على صحة ما ذكروه من حضور عبد الله الصلح، ثم ذهب إلى البصرة، وحمل ثقله منها، وعاد إلى مكة..

7 - إن معاوية قد دس رجلاً من حمير إلى الكوفة، ورجلاً من بني القين إلى البصرة ليكتبا إليه بالأخبار، فأخذا وقتلا. فكتب عبد الله بن عباس من البصرة إلى معاوية، إنك ودسك أخا بني قين إلى البصرة، تلتمس من غفلات قريش، مثل الذي ظفرت به من يمانيتك لكما قال أمية بن الأسكر:

لعمرك إني والخزاعي طارقاً … كنعجة عاد حتفها تتحفر
أثارت عليها شفرة بكراعها … فظلت بها من آخر الليل تنحر
شمت بقوم من صديقك أهلكوا … أصاب بها يوم من الدهر أصفر

فأجابه معاوية:

أما بعد، فإن الحسن قد كتب إلي بنحو ما كتبت به الخ..(1).

8 - قال أبو جعفر محمد بن حبيب: «كان علي «عليه السلام» قد

(1) مقاتل الطالبيين ص52 ـ 54 و (منشورات المكتبة الحيدرية سنة 1385هـ) ص33 ـ 34 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص31 و 32 والأغاني ج18 ص162 و (دار إحياء التراث العربي) ج21 ص19.

ولى زياداً قطعة من أعمال فارس، واصطنعه لنفسه. فلما قتل علي «عليه السلام» بقي زياد في عمله، وخاف معاوية جانبه، وعلم صعوبة ناحيته. وأشفق من ممالأته الحسن بن علي «عليه السلام»، فكتب إليه..».

ثم ذكر الكتاب، وهو تهديد ووعيد، فجمع زياد الناس، وخطبهم، فكان مما قال:

«كيف أرهبه وبيني وبينه ابن بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» وابن (ابن)[1] عمه في مئة ألف من المهاجرين والأنصار»[2].

وهذا يدل على أن ابن عباس كان بعد استشهاد أمير المؤمنين «عليه السلام» والياً على البصرة من قبل الإمام الحسن «عليه السلام» امتداداً لما كان في عهد أمير المؤمنين «عليه السلام».حتى إن زياداً يتهدد معاوية به وبالإمام الحسن «عليه السلام».

وقد ذكر الطبري، وكذلك المعتزلي هذه الرواية بنحو آخر..

وذكرنا في كتابنا: ابن عباس وأموال البصرة ص73: أن محاولات معاوية لاستمالة زياد قد تكررت ربما ثلاث مرات كما،

---

(1) هذه الكلمة زيادة من النساخ.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص182 و 183 والغارات للثقفي ج2 ص927 و 928 وجمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ج2 ص266.

يستفاد من النصوص.

اختلافات.. تناقضات:

وقد يقال:

إن بعض الروايات المتقدمة تزعم: أن الضحاك بن عبد الله، أو عبيد الله كان على شرطة البصرة، وأنه فرَّ مع ابن عباس إلى مكة..

ولكن المصادر تقول: إن الذي كان على شرطة ابن عباس هو الضحاك بن قيس الهلالي(1).

أو الضحاك بن قيس بن عبد الله..

وهذا لا إشكال فيه، لأن من الجائز أن ينسب الرجل تارة لأبيه، وأخرى لجده إذا كان أشهر، وأذكر في الناس..

وهذا إن كان صحيحاً في نفسه ولكن هناك إشكال آخر يقع فيه بعض المؤرخين هنا، مثل البلاذري، الذي يصرح: بأن الضحاك قد واجه ابن الحضرمي في البصرة بكلام قاس..

وهو نفسه يرى: أن فرار ابن عباس إلى مكة كان قبل فتنة ابن الحضرمي(2)، فالضحاك حينئذ كان في مكة لا في البصرة، لأنه إنما

---

(1) الكامل في التاريخ ج2 ص415 و (ط دار صادر) ج3 ص360 وأنساب الأشراف (ط الأعلمي) ج2 ص171 ونهاية الأرب في فنون الأدب ج20 ص199.

(2) أنساب الأشراف ج2 ص324 و (ط الأعلمي) ج2 ص425.

فرَّ إليها مع ابن عباس، وعودته إلى البصرة تجعله يواجه الملاحقة له من قبل أمير المؤمنين «عليه السلام»، أو من يتولى البصرة من قبله[1].

كما أن قوله: بأن ابن عباس قد فر إلى مكة قبل فتنة ابن الحضرمي يصطدم مع تصريحهم: بأن ابن عباس كان في سنة 39 عند علي «عليه السلام» بالكوفة[2].

ويصطدم بقولهم: إن قضية السرقة كانت سنة أربعين..

مكانة ابن عباس:

وقد يقال: إن ابن عباس كان له ـ كما يقول طه حسين ـ من العلم بأمور الدين والدنيا، ومن المكانة في بني هاشم خاصة، وفي قريش عامة، وفي نفوس المسلمين جميعاً ما كان خليقاً أن يعصمه عن الإنحراف عن ابن عمه، مهما تعظم الحوادث، وتدلهم الخطوب[3].

ونضيف إلى ذلك: أن له من الدين والورع، والتقوى ما يحجزه عن سرقة أموال المسلمين ليصرفها على الجواري في أقدس مكان وهو مكة، فما بالك بما ينسبونه إليه من كلمات ركيكة تفوه بها في

---

(1) أنساب الأشراف ج2 ص324 و (ط الأعلمي) ج2 ص425 و 426.

(2) صرح بذلك في تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص105 وفي البداية والنهاية، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي، والغارات للثقفي.

(3) الفتنة ا لكبرى ج2 ص121.

مسيره من البصرة إلى مكة المعظمة؟!

إلا أن يقال: لكل عالم هفوة، ولكل جواد كبوة، ولكل شاب نزوة، ولعل الشيطان قد تمكن من إغواء هذا الرجل، فكم رأينا رجلاً مسناً كان ضالاً واهتدى، وكم رأينا من ضل بعد الهدى؟!

لعل هذا ما حدث:

ولعل ما قدمناه من عاهات في الأسانيد، وفي المضامين، التي تعتري روايات الطبري، وابن عبد ربه، والكشي، وغيرهم وإن كانت تمنع من قبول تلك الروايات.. لا سيما مع توفر الدواعي لدى الأمويين والزبيريين، وكل من يعادي علياً، ويتعصب عليه، ويسعى للطعن فيه وفي خُلَّص أصحابه.. ولكنها لا تمنع من أن يكون للقضية أصل يختلف كثيراً عما ذكروه وسطروه.

ويمكن بيانه كما يلي:

1 - إن أمير المؤمنين «عليه السلام» لأجل مصلحةٍ عليا رآها: قد قرر أن لا يأخذ هو وأهل بيته الخمس الذي جعله وشرعه الله سبحانه وتعالى لهم.. ولعله أوصى ابن عباس وسائر عماله من بني هاشم وغيرهم من أقربائه الهاشميين بأن يغضوا النظر عن أخذ حقهم هذا..

وهذا كما فعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل ذلك، فإنه في غزوة حنين تناول من الأرض وبرة من بعير، أو شيئاً، ثم قال: والذي

نفسي بيده ما لي مما أفاء الله عليكم ولا مثل هذه إلا الخمس، وهو مردود عليكم**(1)**.

وكما فعل «صلى الله عليه وآله» حين أعطى الغنائم في أحدى الغزوات للمؤلفة قلوبهم، بعد أن استأذن الأنصار في ذلك، ورضوا..

2 - ولكن يبدو: أن ابن عباس كان يرى أن هذا الطلب من أمير المؤمنين «عليه السلام» لا يحتم الإلتزام به في كل حين، بل حين لا تمس الحاجة إلى شيء من ذلك الحق المالي، أو أن هذا الطلب من أمير المؤمنين «عليه السلام» من قبيل التمني والترجيح، فهو شخص يطلب من صديقه أن يتصدق ببعض المال على الفقراء كل يوم، فإن ذلك مرهون بطيب نفس المتصدق، ولعله يتصدق في بعض الأيام، ولا يتصدق في بعضها الآخر، لأنه يرى أنه في ذلك اليوم بحاجة إلى

(1) الموطأ (المطبوع مع تنوير الحوالك) ج2 ص14 والأموال لأبي عبيد ص444 و 447 والفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج2 ص122 و(ط دار الأضواء) ج2 ص351 ومسند أحمد ج5 ص316 و 319 و 326 والثقات لابن حبان ج2 ص78 وأضواء البيان ج2 ص60 والدر المنثور ج3 ص186 و تفسير القرآن العظيم ج2 ص324 والمعجم الأوسط ج2 ص242 والمستدرك للحاكم ج3 ص616 والسنن الكبرى للبيهقي ج7 ص17 وج9 ص102 ومجمع الزوائد ج2 ص59 ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج7 ص43 ومسند الشاميين ج1 ص455 والمعجم الأوسط ج2 ص242.

ذلك المال..

فأخذ ابن عباس بعض ذلك المال الذي هو ـ بنظره ـ ملك وحق له، فأخبر أبو الأسود علياً «عليه السلام» بما جرى، فطالبه بما كان يتوقع منه الإلتزام به، ثم طلب منه أن يرجع المال، فأرجعه.

والشاهد على ذلك: ما روي عن أبي إسحق، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي «عليه السلام»، قلت: أرأيت علياً «عليه السلام» حين ولي العراق، وما ولي من أمر الناس، كيف صنع في سهم ذوي القربى؟!

قال: سلك بهم طريق أبي بكر وعمر.

قلت: كيف؟! ولم وأنتم تقولون ما تقولون؟!

قال: أما والله ما كان أهله يصدرون إلا عن رأيه.

فقلت: فما منعه؟!

قال: كان يكره أن يدعى عليه مخالفة أبي بكر وعمر[1].

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي (ط سنة 1329 هـ) ج4 ص86 و (ط دار إحياء الكتب العربية سنة 1962م) ج16 ص231 والسقيفة وفدك للجوهري ص118 وقاموس الرجال للتستري ج9 ص106 وشرح معاني الآثار ج3 ص234 وكنز العمال ج4 ص330 و (ط مؤسسة الرسالة) ج4 ص518 عن أبي عبيد، وعن ابن الأنباري في المصاحف. وراجع: الأموال لأبي عبيد ص463 والخراج ص23 وأحكام القرآن للجصاص

ولعله لو أعطاه لأهله لقال مناوئوه: إنه يحابي بأموال المسلمين أقاربه، وإنه لا فرق بينه وبين ما كان يصنعه عثمان، ومعاوية، وبنو أمية، وغيرهم من الحكام.

وهذا هو السبب في أنه «عليه السلام» حين أرسل إليه أبو الأسود يعلمه بأن ابن عباس قد تعدى الحدود على بيت المال.. لم يبادر إلى التهديد والوعيد لابن عباس، كما كان يفعله «عليه السلام» حين كان يبلغه مثل هذا الخبر عن غيره، كزياد بن أبيه(1)، أو غيره من عماله «عليه السلام»، فإنه كان يبادر إلى التهديد والوعيد بصورة لافتة، ولا تطاق.

أما ابن عباس، فقد بادر «عليه السلام» إلى سؤاله عن حقيقة الأمر بصورة هادئة، وطلب منه أن يبين له أسباب ما حصل، إن كان قد حصل من ذلك شيء.. ولكنه طرح الأمر عليه بصورة سؤال عن طبيعة مصارف المال هل هي مشروعة أم لا..

ويبدو لنا من سياق الأحداث، ولحن الرسائل المتبادلة: أن أبا الأسود لم يكن يعلم بأن ثمة توصية من علي «عليه السلام» لابن عباس أن لا يأخذ من مال هو من هذا السهم، أو من غيره..

ج3 ص63 والسنن الكبرى للبيهقي ج6 ص323 وأنساب الأشراف ج1 ص517 وتاريخ المدينة لابن شبة ج1 ص217.

(1) وكنا قد ذكرنا سابقاً: بأنه إنما كان والياً من قبل ابن عباس.

فأجابه ابن عباس على رسالته «عليه السلام»: بأنه لا يوجد أي اختلال في مصارف المال الذي تحت يده. وأن الأمور جارية وفق أحكام الشرع، حيث قال له: «..وإني لما تحت يدي لضابط وحافظ»[1].

فكتب إليه علي «عليه السلام» يأمره بتقوى الله، ويقول: إن المتاع بما أنت رازئه قليل، وتبعاته وبيلة لا تبيد[2].

فأجابه ابن عباس: «أتاني كتابك تعظم علي مرزأة المال، الذي أخذته من بيت مال البصرة. ولعمري، إن لي في بيت مال الله أكثر مما أخذت والسلام»[3].

---

(1) العقد الفريد ج3 ص346 والفتوح لابن أعثم ج4 ص242 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص141 و (ط الأعلمي) ج4 ص108 وأنساب الأشراف ج2 ص397 والكامل في التاريخ ج2 ص433 و (ط دار صادر) ج3 ص386.

(2) راجع: المصادر المتقدمة، وراجع: إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج1 ص280 ونهج السعادة ج5 ص344 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج20 ص130 والدرجات الرفيعة ص135.

(3) راجع: إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج1 ص280 بحار الأنوار ج42 ص154 وراجع: مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص161 وبحار الأنوار ج33 ص501 وج42 ص154 و 184وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص170 ونهج السعادة ج5 ص331 وأنساب الأشراف (ط الأعلمي) ج2 ص175 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2

ويفهم من بعض النصوص: أن ما أخذه ابن عباس من بيت مال البصرة إنما كان بعد كتابة الصلح بين الإمام الحسن «عليه السلام» ومعاوية، قال وكيع، ونحوه عند الطبري:

«وشهد الصلح بينه وبين معاوية، ثم رجع إلى البصرة، وثقله بها، فحمله، ومالاً من مالها، وقال: هي أرزاقي اجتمعت»[(1)].

بل إن قيس بن سعد في خطبته عند هروب عبيد الله إلى معاوية، وتركه جيش الإمام الحسن «عليه السلام» قال عن عبد الله: «ولاه علي «عليه السلام» أمير المؤمنين على البصرة، فسرق مال الله، ومال المسلمين، فاشترى به الجواري. وزعم أن ذلك له حلال»[(2)].

فقوله: «زعم أن ذلك له حلال» يدل على أنه لم تكن هناك سرقة لبيت المال بأي حال.

وقد أجاب عبد الله بن عباس على أقوال عبد الله بن الزبير بقوله: «وأما حملي المال، فإنه كان مالاً جبيناه، فأعطينا كل ذي حق حقه.

ص84.

(1) أخبار القضاة ج1 ص289 وتاريخ الأمم والملوك (ط الإستقامة) ج4 ص109 و (ط أخرى) ج5 ص143 والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج5 ص164.

(2) راجع: مقاتل الطالبيين ص73 و (منشورات المكتبة الحيدرية) ص42 ونهج السعادة ج5 ص343.

وبقيت بقية هي دون حقنا في كتاب الله، فأخذناها بحقنا..»[1].

وهذا صريح فيما نقول، وإن كانت أكثر المصادر التي ذكرت هذه الحادثة بين ابن الزبير، وابن عباس لم تذكر الفقرة المرتبطة بالأموال أصلاً[2].

ولأجل ذلك روى الطبرسي: أن عبد الله بن عباس لما رجع من البصرة، وحمل المال، ودخل الكوفة، وجد أمير المؤمنين «عليه السلام» قائماً في السوق، وهو ينادي بنفسه معاشر الناس.. إلى أن قال ابن عباس: فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال «عليه السلام»: يا ابن عباس، ما فعل المال؟!

فقلت: ها هو يا أمير المؤمنين، وحملته إليه، فقربني ورحب بي[3].

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج20 ص129 و 130 ونهج السعادة ج5 ص344 ومنتهى المقال ج4 ص201 وأنساب الأشراف (ط الأعلمي) - ج4 ص41 وجمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ج2 ص125 والدرجات الرفيعة ص135 .

(2) مروج الذهب (منشورات دار الهجرة ايران سنة 1404هـ) ج3 ص81 وراجع: جامع بيان العلم ج2 ص236 ومحاضرات الراغب ج2 ص94 وزاد المعاد لابن القيم ج1 ص219 والعقد الفريد.

(3) مكارم الأخلاق ج1 ص249 و (منشورات الشريف الرضي سشنة 1392هـ) ص114 وبحار الأنوار ج76 ص312.

والخلاصة:

أن الظاهر هو: أن ابن عباس كان ـ فيما يظهر ـ قد أخذ بعض حقه من الخمس، مخالفاً بذلك ما طلبه منه «عليه السلام».. ولعل حاجته إلى المال ألجأته إلى ذلك. فعرف أبو الأسود بالأمر، فأخبر علياً «عليه السلام» فطلب منه أن يرده، فرده، أو رد أكثره ـ على حد تعبير اليعقوبي[1].

ولعل ابن عباس كان قد حاول في البداية أن لا يرجع المال. ولكن إصرار أمير المؤمنين «عليه السلام» قد حال دون ذلك..

وقد يستفاد من سير الأمور أيضاً: أن ابن عباس لم يكن يرى أن أمر أمير المؤمنين «عليه السلام» في هذا الموضوع بالذات ملزم له إلى هذا الحد، بل كان يرى أنه يرجح له ذلك فقط. ثم ظهر له أن طلبه «عليه السلام» لم يكن مجرد تمنيات.. بل كان أمراً ولائياً إلزامياً من موقع كونه حاكماً.. لا سيما وأنه يوجب حفظ سمعة الإمام والإمامة، ويمنع جميع الظالمين من سلب الناس أموالهم، وهم يتسترون بعباءة ابن عباس أو غيره من بني هاشم.. حتى لو كان ابن عباس إنما يأخذ حقه وماله.

وقد روى لنا ابن عبد ربه ما يدل على وجود من كان يتربص بابن عباس أمراً كهذا..

---

(1) تاريخ اليعقوبي ج2 ص205.

فقد قال أبو بكرة: «كان عبد الله بن عباس من أحب الناس إلى عمر بن الخطاب، وكان يقدمه على الأكابر من أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» ولم يستعمله قط، فقال له يوماً: كنت استعملك. ولكن أخشى أن تستحل الفيء على التأويل.

فلما صار الأمر إلى علي «عليه السلام» فاستحل الفيء على تأويل قول الله تعالى: (**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**)[1].

واستحله من قرابته لرسول الله «صلى الله عليه وآله»[2].

وقال ابن عباس في أجوبته على أسئلة نجدة، وفيها سؤال عن الخمس أيضاً: وأما الخمس فإنا نزعم أنه لنا، وزعم قوم أنه ليس لنا، فصبرنا[3].

(1) الآية 41 من سورة الأنفال.

(2) العقد الفريد (طبع سنة 1346 هـ) ج3ص120 والفتنة الكبرى ج2ص 128 و 129 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص79.

(3) راجع: الخصال ص235 ومستدرك الوسائل ج7 ص288 والإيضاح لابن شاذان ص184 و 185 وغوالي اللآلي ج2 ص76 وبحار الأنوار ج93 ص198 وج97 ص31 وج100 ص161 وتفسير العياشي ج2 ص61 ومجمع البيان ج4 ص470 وراجع: مسند أحمد ج1 ص224 و 308 والمعجم الكبير ج10 ص335 والإستذكار لابن عبد البر ج5 ص82.

حادثة القتال بالبصرة:

أما حادثة القتال التي ذكر الطبري: أنها جرت في البصرة بين ابن عباس ومن ناصره من أهلها وبين بقية الأخماس، ثم تدخَّل صبرة بن شيمان، فحجز بين الفريقين، وسار ابن عباس بالمال إلى مكة، فلعل ذلك قد حصل بالفعل، ولكن بعد الصلح بين معاوية والإمام الحسن «عليه السلام»، فقد صرحوا: بأن ابن عباس بعد أن حضر الصلح: «رجع إلى البصرة، وثقله بها، فحمله، ومالاً من مالها، وقال: هي أرزاقي اجتمعت»[1].

خلاصات حساسة وذات مغزى:

ونستطيع أن نستخلص مما ذكرناه أموراً كثيرة نحب إعادة التذكير ببعضها، مثل:

1 - إن قصة هذه السرقة المزعومة لم تذكر على لسان أحد ممن عاصر ابن عباس، وبعده إلى سنوات طويلة تعد بالعشرات، باستثناء ما نسب إلى قيس بن سعد حين صلح الإمام الحسن «عليه السلام»، وقد ظهر: أنه موضع شك، فإن المدائني يقول: إن عبد الله كان مع قيس، وإنه شكا إلى الإمام الحسن «عليه السلام» فرار زعماء من

---

(1) أخبار القضاة ج1 ص289 وتاريخ الأمم والملوك (ط الإستقامة) ج4 ص109 و (ط أخرى) ج5 ص143 وراجع: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج5 ص164.

أصحابه إلى معاوية. وكان أخوه عبيد الله من هؤلاء الفارين..

وباستثناء ما روي عن عبد الله بن الزبير، وتقدم: أن ابن عباس أجابه بما لم يجد مجالاً للمناقشة فيه..

ولو كان في هذه القصة أي مغمز لم يفت معاوية وسائر الأمويين التشبث به وبهرجته، والتطبيل والتزمير به وله..

ولكننا لم نجد أحداً منهم نبس ببنت شفة، رغم شدة حاجتهم إلى مثله، ولا سيما في الإحتجاجات الحادة التي كانت تنتهي بالفشل الذريع لبني أمية أمام تشنيعات ابن عباس عليهم بفسادهم المالي، وتعدياتهم على بيوت أموال الأمة..

2 ـ إن هذه القضية فيما يظهر لم يكن فيها مغمز، لا على ابن عباس ولا على أمير المؤمنين «عليه السلام»، بل هي من موجبات الثناء عليهما، وتأكيد الفوارق الكبيرة بين نهج علي وابن عباس، ونهج بني أمية..

فعلي «عليه السلام» ليس فقط يصرف النظر عن أمواله، وأموال أهل بيته لسائر الناس، ويسوي بين نفسه وبين أفقرهم.. ويفشو الإكتفاء الذاتي والرفاه في زمانه حتى لم يعد الناس يأخذون بعض أنواع العطاء زهداً وشبعاً منهم حتى تصير الكوفة ـ على حد قول أحمد بن حنبل ـ ليس فيها إلا رافه، رغم أن عدد سكانها يعد بمئات الألوف. مع أنه لم تكن تجبى إليها أموال أي بلد إلا بعد اكتفاء أهله منها..

ومع أن علياً «عليه السلام» كان يحتاج إلى الأموال لنفقات الحروب التي تواصلت طيلة خلافته.. وبالرغم من أنه هو نفسه، وأهل بيته من بني هاشم، كان بعد أن يعطي الناس حقه من الخمس يضطر لبيع سيفه في السوق، ولو وجد ثمن عشاءٍ ما باعه..

فكان شيوع هذا الأمر عنه، وعن ابن عباس من موجبات رفعة شأنهما، وظهور عظيم فضلهما، فإن ابن عباس يواجه مشكلة مع علي «عليه السلام» لمجرد أنه لم يصرف النظر عن جميع أمواله، ويضطر لتناول شيء يسير منها..

فماذا كان «عليه السلام» سيفعل بابن عباس، وهو من خيار أصحابه، ولا يتوقع منه ما يتوقعه من غيره ـ لو امتدت يده إلى كسرة خبز لا حق له فيها، فضلاً عما لو أخذ الملايين من الدراهم كما يدعون ـ؟! أليس «عليه السلام» سوف يكون أشد عليه منه على زياد بن أبيه، الذي كتب إليه يقول: «إني أقسم بالله قسماً صادقاً، لئن بلغني أنك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً، أو كبيراً، لأشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر، ثقيل الظهر، ضئيل الأمر، والسلام»؟![1].

3 ـ إن المقارنة بين رسالته «عليه السلام» إلى زياد الآنفة الذكر،

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص19 الرسالة رقم 20 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص138 وبحار الأنوار ج33 ص489 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج8 ص548 ونهج السعادة ج5 ص353 وأنساب الأشراف (ط الأعلمي سنة 1394 هـ) ص162.

وبين أكثر من رسالة التي يقال: إنه أرسلها إلى ابن عباس تعطي: أن العتاب لم يكن على خيانة، بل كان على الإخلاف بوعد كان ابن عباس قد أعطاه، ولعل حاجته هي التي دفعته إلى هذا الإخلاف، لا سيما وأنه يعرف أنه إنما يسد حاجته من مالٍ هو له، كان قد وعد بالتنازل عنه، وها هو قد احتاج بعضه..

ولذلك تضمنت الرسالة ترقيقاً للقلب، وتذكيراً بالرحم، وأشارت إلى أن هذا الأمر يضر بمصلحة ابن عمه، فإنه قد بنى أموره على أساس الإلتزام بهذا الوعد أكثر مما كان يتوقعه ابن عباس.

4 - إن هذه الرسالة وغيرها لا تتناسب أبداً مع بعض الرسائل العنيفة التي تقدمت، والمشحونة بالإتهام والتغيظ..

ويزعمون: أنه «عليه السلام» قد أرسلها إلى ابن عباس.. فإن ابن عباس إن كان قد سرق حقاً، فإن طريقة علي «عليه السلام» هي أنه لا يتردد في البطش بالسارق إلى أقصى حد، وبذلك يكون الكتب التي فيها عتاب هين ولين مكذوبة، لأن علياً «عليه السلام» لا يحابي أحداً في الدين كما أظهرته سيرته..

وإن كان لم يسرق، فإن المكذوب هو الكتب التي تضمنت هذه الخشونة، والقسوة البالغة، وكذلك ما قابلها من رعونة، وإساءة أدب في الرسائل الجوابية.

ونحن من خلال ما ذكرناه من شواهد وما دل على أن ابن عباس لم يفارق موقعه في ولاية البصرة، وأنه كان حاضراً حين استشهاد

الإمام، وشارك في أمر البيعة للإمام الحسن «عليه السلام» وبقي معه إلى أن تم الصلح..

ثم استمراره على نهج الولاء لعلي «عليه السلام» وأهل بيته، والعداء للنهج الأموي ـ إن ذلك ـ يدلنا دلالة واضحة على أن معظم ما تقدم من مزاعم مكذوب، أو محرف ومزيف..

5 - إن هذا التحريف والتزييف والبهرجة إنما حدث في وقت متأخر جداً عن ذلك الزمان، وذلك حين انصب اهتمام بعض الناس على محاولات تبييض صفحة بني أمية وغيرهم من مناوئي علي «عليه السلام»، وتشويه صورة أوليائه.. ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً..

ولكن الله تعالى يأبى إلا أن يتم نوره، ولو كره المزيفون، والمحرفون، والوضاعون..

الباب السابع:

إمام الشهداء..

الفصل الأول: الإعداد والإستعداد للإستشهاد..

الفصل الثاني: حديث الإستشهاد..

الفصل الثالث: وقفات أخرى مع حديث الإستشهاد..

الفصل الرابع: تفاصيل تستحق الإهتمام..

الفصل الخامس: من وصايا أمير المؤمنين ×..

الفصل السادس: وقفات مع الوصايا..

الفصل السابع: التجهيز والدفن..

الفصل الثامن: آخر فصول الكتاب

الفصل الأول:

الإعداد والإستعداد للإستشهاد

التهيؤ للحرب والمفاجأة:

تقدم في بعض فصول هذا الكتاب عن نوف البكالي: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد جمع الناس للحرب، وعقد الألوية، وجعل الإمام الحسين «عليه السلام» على عشرة آلاف، وقيس بن سعد على عشرة آلاف، وأبا أيوب الأنصاري على عشرة آلاف، وعقد لغيرهم على أعداد أخر، وهو يريد الرجعة إلى صفين، فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم «لعنه الله» فتراجعت العساكر[1].

---

(1) مناقب آل أبي طالب (ط النجف) ج2 ص369 و (ط المطبعة العلمية في إيران) ج3 ص194 و (ط المكتبة الحيدرية سنة 1376هـ) وراجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص110 وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج3 ص392 وبحار الأنوار ج33 ص394 وج34 ص127 ومنهاج البراعة ج2 ص180 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج10 ص100 والكنى والألقاب ج1 ص185 وربيع الأبرار ج5 ص193 وينابيع المودة ج2 ص29 وج3 ص444.

عودة علي × من السفر:

وذكر ابن أعثم:

أنهم حين رجعوا من حرب النهروان «أقبل علي نحو الكوفة، وسبقه عبد الرحمن بن ملجم ـ «لعنه الله» ـ حتى دخل الكوفة، فجعل يبشر أهلها بهلاك الشراة.

قال: ومر بدار من دور الكوفة، فسمع فيها صوت زمر وصوت طبل يضرب، فأنكر ذلك، فقيل له: هذه دار فيها وليمة.

قال: فنهى عن صوت الزمر والطبل[1].

عمر بن الخطاب يوصي بابن ملجم:

وقد رووا:

أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص، عامله على مصر: أن «قرب دار عبد الرحمن بن ملجم من المسجد ليعلم الناس القرآن والفقه»[2].

ولكن لست أدري إن كان معلم القرآن هذا كان يُعَلِّم الناس: أن قوله تعالى: (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ**

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج4 ص275.

(2) لسان الميزان ج3 ص440 والأنساب للسمعاني ج1 ص451 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص653.

الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)[1]. نزلت في علي بن أبي طالب «عليه السلام»؟!

وأن آيات كثيرة جداً، مثل قوله تعالى: **(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ)**[2].

وقوله تعالى: **(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا)**[3].

وكذلك آية النجوى، وآية: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ..)**[4].

وعشرات الآيات الأخرى قد نزلت في أمير المؤمنين وأهل البيت «عليهم السلام»؟!

وهل كان يخبرهم في من نزلت هذه الآية وتلك؟! وماذا تعني؟! وعلى ما تدل؟! أم كان ممن يقرأ القرآن ولا يجاوز تراقيه؟! وممن يقرأ القرآن ويحسب أنه له، وهو عليه.. وممن يقرأ القرآن والقرآن

---

(1) الآية 55 من سورة المائدة.

(2) الآية 90 من سورة الأنعام.

(3) الآيات 8 - 11 من سورة هل أتى.

(4) الآية 67 من سورة المائدة.

يلعنه؟!

وهل سمع قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: علي مع القرآن، والقرآن مع علي.

وقوله «صلى الله عليه وآله»: علي مع الحق، والحق مع علي..

إلى مئات بل ألوف من النصوص الدالة على عظمة وفضل، ومقام أمير المؤمنين «عليه السلام» عند الله تعالى، وعند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتقديمه حتى على سائر الأنبياء والمرسلين ما عدا نبينا «صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، وعلى وآله الطيبين الطاهرين».

الإتفاق بين ابن ملجم وقطام:

قال: وخرجت النساء من تلك الدار، وفيهن امرأة يقال لها: قطام بنت الأضبع التميمي، وكان بها مسحة من جمال.

قال: ونظر إليها عبد الرحمن بن ملجم، فأعجبه ما رأى من قدها وحسن مشيتها، فتبعها وقال: يا جارية! أيم أنت أم ذات بعل؟!

فقالت: بل أيم.

قال: فهل لك في زوج لا تذم خلائقه، ولا تخشى بوائقه؟!

فقالت: إني لمحتاجة إلى ذلك، ولكن لي أولياء أشاورهم في ذلك فاتبعني.

قال: فتبعها المرادي حتى دخل دارها.

ثم إنها لبست من الثياب ما يحسن عليها، ثم قالت لمن عندها من خدمها: قولوا لهذا الرجل فليدخل! فإذا دخل واروني، فأرخوا الحجاب بيني وبينه.

ثم أذنت لعبد الرحمن بن ملجم بالدخول عليها، فلما دخل ونظر إليها أرخوا الستر بينها وبينه، فقال لها: التأم أمرنا أم لا؟!

فقالت: أوليائي أبوا أن ينكحوني إياك إلا على ثلاثة آلاف درهم، وعبد وقينة.

قال: لك ذلك.

قالت: وشرط آخر.

فقال: وما هذا الشرط؟!

قالت: قتل علي بن أبي طالب.

قال: فاسترجع المرادي، ثم قال: ويحك! من يقدر على قتل علي وهو فارس الفرسان، ومغالب الأقران، والسباق إلى الطعان؟!

فقالت: لا تكثر علينا، أما المال فلا حاجة لنا فيه، ولكن قتل علي بن أبي طالب، هو الذي قتل أبي يوم كذا وكذا.

فقال ابن ملجم: أما قتل علي إن رضيت مني بضربة أضرب علياً بسيفي فعلت.

قالت: قد رضيت على أن يكون سيفك عندي رهينة.

قال: فدفع إليها سيفه وانصرف إلى منزله»(1).

ابن ملجم بين يدي علي ×:

وقدم علي «كرم الله وجهه» من سفره، واستقبله الناس يهنئونه بظفره بالخوارج، ودخل إلى المسجد الأعظم، فصلى فيه ركعتين، ثم صعد المنبر، فخطب خطبة حسنة.

ثم التفت إلى ابنه الحسين، فقال: يا أبا عبد الله! كم بقي من شهرنا هذا ـ يعني شهر رمضان الذي هم فيه ـ؟!

فقال الحسين: سبع عشرة يا أمير المؤمنين.

قال: فضرب بيده إلى لحيته وهي يومئذ بيضاء، (وقال): والله ليخضبنها بالدم إذ انبعث أشقاها.

قال: ثم جعل يقول:

أريد حياته ويريد قتلي خليلي، مَنْ عذيري من

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج4 ص275 و 276 ومطالب السؤول ص316 و 317 وراجع: الفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص614.

(2) الفتوح لابن أعثم ج4 ص276 والبيت لعمرو بن معدي كرب. ونهج السعادة ج7 ص96 وراجع: مطالب السؤول ص47 و (تحقيق ماجد بن أحمد العطية) ص238 و 239 وكشف الغمة ج1 ص276 و (ط دار الأضواء سنة 1405هـ) ج1 ص279 وراجع: شجرة طوبى ج2 ص354 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص138 وج17 ص556 والمحجة البيضاء ج4

مهر قطام:

وفي ذلك يقول العبدي، وقيل قائله: ابن ملجم نفسه، كما عند المبرد، وفي الطبري أن القائل هو: ابن أياس المرادي:

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة — كمهر قطام بينا غير مبهم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة — وضرب علي بالحسام
فلا مهر أغلى من علي وإن غلا — ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم
ليبشر بخزي في الحياة معجل — وطول خلود ثاوياً في جهنم
فيأكل من الزقوم تعساً بجده — ويخلد في قعر من النار مظلم
ويشرب[1] من الغساق والمهل — وسربال قطران لقلب متيم[2]

ص197.

(1) لعل الصحيح: ليشرب، وليأكل.

(2) الفتوح لابن أعثم ج4 ص282 و 283 وراجع: بحار الأنوار ج42 ص266 و 232 والإمامة والسياسة ج1 ص162 والكامل في الأدب ج3 ص1116 والكامل في التاريخ ج2 ص438 و (ط دار صادر) ج3 ص395 والمعجم الكبير ج1 ص103 والإرشاد للمفيد ج1 ص22 ونظم درر السمطين ص143 والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج5 ص174 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص364 ومقاتل الطالبيين ص23 وروضة الواعظين ص137 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص25 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص1131 والمستدرك للحاكم ج3 ص144 والأخبار الطوال ص214 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص125 وأنساب

هل لك حاضنة يهودية؟!:

قال: فسمع ذلك عبد الرحمن بن ملجم «لعنه الله»، فكأنه وقع بقلبه شيء من ذلك، فجاء حتى وقف بين يدي علي «رضي الله عنه»، فقال: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين، فهذه يميني وشمالي بين يديك، فاقطعهما، أو اقتلني!

فقال علي «كرم الله وجهه»: وكيف أقتلك ولا ذنب لك عندي، إني لم أردك بذلك المثل. ولكن خبرني النبي «صلى الله عليه وآله» أن قاتلي رجل من مراد، ولو أعلم أنك قاتلي لقتلتك، ولكن هل كان لك لقب في صغرك؟!

فقال: لا أعرف ذلك يا أمير المؤمنين!

قال علي: فهل لك حاضنة يهودية، فقالت لك يوماً من الأيام: يا شقيق عاقر ناقة صالح؟!

قال: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين!

قال: فسكت علي، وركب وصار إلى منزله(1).

الأشراف (ط الأعلمي) ج2 ص507 وج11 ص278 وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص193 وتاريخ الكوفة ص314 و 533.

(1) الفتوح لابن أعثم ج4 ص276 و 277 ونهج السعادة ج7 ص96 ومطالب السؤول ص239 وكشف الغمة ج1 ص276 و (ط دار الأضواء سنة 1405هـ) ج1 ص279 والمحجة البيضاء ج4 ص197.

وسُمع ابن ملجم يقول: والله لأريحنهم منك، فأُتي به ملبباً، فأشرف عليهم، فقال: ما تريدون؟!

فخبروه بما سمعوا.

فقال: ما قتلني بعد.

فخلوا عنه(1).

وقيل لأمير المؤمنين «عليه السلام»: كأنك قد عرفته، وعرفت ما يريد بك، أفلا تقتله؟!

فقال: كيف أقتل قاتلي؟!(2).

ونقول:

إستجابة العراقيين كرامة، بل معجزة:

تقدم: أن الناس استجابوا لدعوته «عليه السلام» إياهم، للخروج لحرب عدوهم في الشام.. واجتمعوا، وعزم «عليه السلام» على المسير.

ونقول:

إن استجابة العراقيين لدعوة علي «عليه السلام» لهم إلى المسير

---

(1) الكامل في الأدب للمبرد ج3 ص1117 وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج2 ص157.

(2) الكامل في الأدب للمبرد ج3 ص1118 وحياة الحيوان الكبرى ج1 ص75.

لحرب المحلين هي إنجاز هائل، يصل إلى حد الكرامة على مستوى الأمة، إن لم نقل أكثر منه ذلك..

ولا نستطيع أن نقول: إن استجابتهم هي نتيجة الخوف من دعائه «عليه السلام»، والخشية من أن يستجيب الله تعالى له.. فإن هذا وإن كان له أثره الذي لا ينكر. وإلا لكان «عليه السلام» قد هددهم بالدعاء عليهم من أول الأمر.

ولكن لا بد أن نضيف إلى ذلك عناصر أخرى كان لاجتماعها وتعاضدها هذا الأثر الكبير، فإنهم بعد أن أصبحت القلاقل كالزلازل تهز مختلف المناطق، ولمسوا أن عاقبة تخاذلهم هي انعدام الأمن والأمان لهم ولكل من يلوذ بهم، وتحقق ما كان «عليه السلام» يحذرهم منه مرة بعد أخرى.

وتحول ما كانوا يتوخونه من جمام وراحة إلى خراب وعذاب ونصب وتعب.

وتبين لهم: أن آثار الغضب الإلهي، وحجب الألطاف الربانية، أصبح مشاهداً ومحسوساًَ، وأن دعاءه لربما يعجل بنزول العذاب عليهم.

وبعد أن جسد لهم معاوية بغاراته، وظلمه وغشمه سيرته وسياسته لهم ومعهم، إذا تحكم بهم ـ بعد ذلك كله ـ أدركوا أن لا خلاص لهم إلا بامتثال أوامر سيد الوصيين «عليه السلام»، وخليفة رسول رب العالمين «صلى الله عليه وآله» ولا مناص لهم من خوض

اللجج، وبذل المهج، ليضمنوا لأنفسهم عيشاً كريماً في الدنيا، ونجاة من العذاب الأليم في الآخرة.

العلم كثير فخذوا ما أهمكم:

هذا ولا يهمنا كثيراً أمر قطام، هل هي بنت الشجنة؟![1]، أو بنت علقمة؟![2]، أو بنت الأصبغ (الأضبع)؟![3]، أو بنت الأخضر؟![4]،

(1) راجع: معجم قبائل العرب ج1 ص137 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص110 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص361 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص36 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص558 وأنساب الأشراف (ط الأعلمي) ص491 و 493 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص608 والعدد القوية ص239 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص633 وفي أسد الغابة ج4 ص36 بنت سخبة وفي مجمع الزوائد ج9 ص140 والمعجم الكبير ج1 ص98 بنت الشحنة.

(2) أنساب الأشراف (ط الأعلمي) ج2 ص487 والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص113 والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص137 و (تحقيق الشيري) ج1 ص180.

(3) مطالب السؤول ص316 والدر النظيم ص416 وكشف الغمة ج2 ص63 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص615. وفي الفتوح لابن أعثم الكوفي ج4 ص275 و 278 الأضبع.

(4) راجع: مقاتل الطالبيين ص19 ونهج السعادة ج7 ص107 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص115 وروضة الواعظين ص133 والإرشاد ج1 ص18 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص20 وإعلام الورى ج1

وهل الأضبع لقب لأبيها، أم هو اسمه؟!

وهل تزوج قطاماً كما يقوله الأكثرون، أو تزوج بنتها الرباب كما يقوله الدينوري؟![1].

كما لا يهمنا إثبات ولا نفي إن كان ابن ملجم تآمر مع حجاج بن عبد الله التيمي الملقب بالبرك. ومع زاذويه مولى بني العنبر على قتل أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقتل معاوية، وعمرو بن العاص..

فضرب البرك معاوية، فوقعت الضربة في إليته، وقتل زاذويه خارجة بن حذافة السهمي، لأنه هو الذي خرج في تلك الليلة إلى صلاة الصبح، ولم يخرج عمرو[2].

كما لا يهمنا إن كان علي «عليه السلام» قد قتل أبا قطام في

ص389 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص215.

(1) الأخبار الطوال ص213.

(2) راجع: مروج الذهب ج411 ص419 والمعجم الكبير ج1 ص97 و 100 و 103 وعن الكامل في التاريخ ج2 ص434 والفصول المهمة (ط النجف) ص135 ومقاتل الطالبيين ص43 و 44 و 46 وعن أنساب الأشراف ج3 ص251 و 253 وعن الإمامة والسياسة ج1 ص159 - 161 وروضة الواعظين ص148 وتاريخ دمشق ج42 ص558 وأسد الغابة ج4 ص112 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص143 والإرشاد للمفيد ج1 ص22 وإعلام الورى ص202 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص313 والكامل للمبرد ج3 ص1115.

النهروان(1).

أو قتل أباها وأخاها(2).

أو قتلهما مع عمها أيضاً(3).

أو قتل أخاها فقط(4).

---

(1) راجع: شرح الأخبار ج2 ص438.

(2) راجع: روضة الواعظين ص133 ومقاتل الطالبيين ص19 والإرشاد للمفيد ج1 ص18 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص94 والأنوار البهية ص73 ونهج السعادة ج7 ص107 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص115 ونظم درر السمطين ص143 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص558 وأسد الغابة ج4 ص36 وأنساب الأشراف (ط الأعلمي) ص491 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص110 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص36 و البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص361 وإعلام الورى ج1 ص389 والمناقب للخوارزمي ص381 وكشف الغمة ج2 ص56 وتاريخ الكوفة للسيد البراقي ص311 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص608 والكامل في التاريخ ج3 ص389 ومجمع الزوائد ج9 ص140 والمعجم الكبير ج1 ص98 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص20 ومعجم قبائل العرب ج1 ص137 وقال في ذخائر العقبى ص113 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص1123 والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص113: قتل أباها وإخوتها.

(3) راجع: الأخبار الطوال ص213 وبحار الأنوار ج42 ص264 .

(4) راجع: الإمامة والسياسة ج1 ص159 و (تحقيق الزيني) ج1 ص137 و

نعم.. لا يهمنا التحقيق في هذه الأمور، لأن أمامنا ما هو أهم، ولأنها لا ترتبط ـ فيما يبدو ـ بموضوع هذا الكتاب.

ولأن التوجيهات الواردة عن علي «عليه السلام» وعن الرسول «صلى الله عليه وآله» تقول: العلم أكثر من أن يحاط به، فخذوا من كل علم [شيء] أحسنه(1).

وعن علي «عليه السلام» خذوا من كل علم أحسنه، فإن النحل يأكل من كل زهر أزينه، فيتولد منه جوهران نفيسان: أحدهما فيه شفاء للناس، والآخر يستضاء به(2).

نهيه × عن صوت الطبل والزمر:

وتقدم: أن علياً «عليه السلام» قد سمع حين عودته من النهروان

(تحقيق الشيري) ج1 ص180 وأنساب الأشراف (ط الأعلمي) ج2 ص488.

(1) راجع الأحاديث في: غرر الحكم 1819 و 2174 و 5082 وميزان الحكمة ج3 ص2105 وعيون الحكم والمواعظ ص54 ونهج السعادة ج7 ص265 وجامع بيان العلم وفضله ج1 ص106 وبحار الأنوار ج1 ص219 ومستدرك سفينة البحار ج7 ص349 وراجع: كنز الفوائد ج2 ص31 وتنبيه الخواطر ج2 ص15 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص5.

(2) راجع الأحاديث في: غرر الحكم 1819 و 2174 و 5082 وعيون الحكم والمواعظ ص243 وميزان الحكمة ج3 ص2105 وراجع: كنز الفوائد ج2 ص31 وتنبيه الخواطر ج2 ص15.

صوت طبل وزمر، فنهى عنهما.

وهناك روايات أخرى تنهى عن ذلك.. فعن النبي «صلى الله عليه وآله»: صوتان ملعونان يبغضهما الله: إعوال عند مصيبة، ومزمار عند نعمة[1].

وقد عد في جملة من لا يستجاب دعاؤه: صاحب الطبل والطنبور[2].

وقال «عليه السلام»: لا تدخل الملائكة بيتاً فيه خمر أو دف أو طنبور أو نرد، ولا يستجاب دعاؤهم، وترفع عنهم البركة[3].

وقد ذكرنا جملة وافرة من الأحاديث الناهية عن مصادر أهل السنة في الجزء الرابع من كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم، فراجع..

---

(1) بحار الأنوار ج74 ص143 ودعائم الإسلام ج1 ص227 وتحف العقول ص40 ومستدرك الوسائل ج2 ص450 وج13 ص93 وج79 ص101 ومستدرك سفينة البحار ج4 ص304 وج6 ص388 وميزان الحكمة ج1 ص381 وج2 ص1676.

(2) راجع: مستدرك سفينة البحار ج6 ص515 وج9 ص294.

(3) راجع: وسائل الشيعة (آل البيت) ج17 ص315 و (الإسلامية) ج12 ص235 ومستدرك سفينة البحار ج3 ص334.

تاريخ وقعة النهروان:

وتقدم: أن ابن أعثم، وربما غيره يرون: أن استشهاده «عليه السلام» كان فور رجوعه من وقعة النهروان.. وهذا يعني: أن النهروان كانت في سنة أربعين.. مع أنهم يذكرون أنها كانت في سنة تسع وثلاثين..

وقد ذكرنا فيما سبق بعض ما يرتبط بتاريخ وقعة النهروان.. وسواء تأخر تاريخ هذه الوقعة إلى أواسط سنة أربعين، ليصح كلام ابن أعثم.. أو كان تاريخها متقدماً، ليكون استشهاده بعد رجوعه من سفره لحرب فريق آخر من الخوارج الذين خرجوا بعد النهروان، حسبما قدمناه.. فإن كلام ابن أعثم هنا يبقى قابلاً للإعتماد عليه، والركون إليه..

ابن ملجم يبشر بهلاك الشراة:

ولا مجال لقبول قول ابن أعثم: إن ابن ملجم سبق أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى الكوفة، وجعل يبشر أهلها بهلاك الشراة، سواء أكان المقصود بالشراة الذين هلكوا في النهروان، أو غيرهم من الخوارج..

فإن ابن ملجم كان منهم.. ولعله كان من الذين اعتزلوا إخوانهم، بعد موعظة ابن عباس، وأمير المؤمنين «عليه السلام» لهم. فما معنى أن يبشر أهل الكوفة بهلاك إخوانه؟!

إلا أن يكون الضمير في كلمة جعل يبشر لا يرجع إلى ابن ملجم، بل يرجع إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» نفسه، وهو بعيد عن مساق الكلام.

كما أنه ليس من المألوف أن يكون «عليه السلام» هو الذي يفعل ذلك.

حديث قطام والإتفاق في الموسم:

1 - وقد لاحظنا: أن ابن ملجم تردد في قبول شرط قطام: بأن يقتل علياً «عليه السلام»، باعتبار أن لا أحد يقدر على قتله..

فقد يقال: إن هذا يكذب حديث اتفاقه مع البرك وزاذويه في مكة على قتل علي «عليه السلام»، ومعاوية، وابن العاص..

ويجاب:

بأن من الجائز أن يكون قد خشي من أن يكون أمره قد افتضح، وأنها تريد أن تستدرجه لتوقع به.. فأجابها بجواب الحذر، الذي لا يريد أن يعطي ذريعة للإيقاع به.

ولكن سياق الكلام لا يدل على صحة هذا الجواب، إذ سرعان ما رضي ابن ملجم، وأخذت منه سيفه ليكون رهينة عندها..

2 - إن أخذ قطام سيف ابن ملجم ليكون رهينة عندها لم نفهم له وجهاً. إلا أن يكون غرضها إلزامه بالوفاء بما تعهد به بهذه الطريقة.. أو يكون غرضها أن تجعل السم في هذا السيف، لتتأكد من أنه إذا

جرح إنساناً، فإن لم تقتله الضربة قتله السم..

هل لك حاضنة؟!:

تقدم: أن علياً «عليه السلام» قد سأل ابن ملجم إن كانت له حاضنة يهودية، فأجاب بالإيجاب.. وهذا ما دلت عليه النصوص[1].

وعن جوين الحضرمي قال: عرض على علي الخيل، فمر عليه ابن ملجم، فسأله عن اسمه ـ أو قال: عن نسبه ـ فانتهى إلى غير أبيه. فقال له: كذبت، حتى انتسب إلى أبيه، فقال: صدقت. أما إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حدثني أن قاتلي شبه اليهود. هو يهودي، فامضه[2].

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج4 ص276 و 277 ونهج السعادة ج7 ص96 ومطالب السؤول ص239 وكشف الغمة ج1 ص276 و (ط دار الأضواء سنة 1405هـ) ج1 ص279 والمحجة البيضاء ج4 ص197.

(2) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج42 ص554 وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج3 ص293 وكنز العمال (ط الهند) ج15 ص174 و (ط مؤسسة الرسالة) ج13 ص125 وحياة الصحابة ج3 ص75 ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج5 ص62 ونهج السعادة ج7 ص103 والكامل لابن عدي ج3 ص464 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج7 ص361 وج17 ص537.

بمن يعرِّض علي ×؟!:

وتقدم: أنه لما عرض ابن ملجم على أمير المؤمنين «عليه السلام» أن يقتله، أو أن يقطع يديه إن كان يقصده بقوله:

عذيرك من خليلك من مراد ...

قال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: «إني لم أردك بذلك المثل». ثم ذكر له: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» خبَّر بأن قاتله رجل من مراد.. قال: ولو أعلم أنك قاتلي لقتلتك..

فلنا أن نسأل هنا:

أولاً: إن قوله: كيف أقتلك ولا ذنب لك عندي، ينافي قوله: لو أعلم أنك قاتلي لقتلتك، فإن علمه بأنه سوف يقتله بالمستقبل لا يبرر له قتله، ما دام أنه لم يرتكب بعد أي جرم. ولعله يدعي أن هذا الأمر لم يكن يخطر في باله أصلاً.. ولا يدري إن كانت مقدماته ودوافعه سوف تحدث حين القتل بصورة مفاجئة.. بل من الذي يقول: إن البداء لا يحصل في مثل هذه الأمور؟!

إلا إن كان مراده «عليه السلام»: بأنه لو علم بأنه بصدد قتله بالفعل، لدفعه عن نفسه بقتله أولاً.. إذ يجوز قتل العدو الذي جاء مترصداً غفلة غريمه، لكي يغتاله في نفس تلك اللحظة، إذ يجوز للإنسان أن يدافع عن نفسه في هذه الحال..

ثانياً: هناك ما يدل على أنه «عليه السلام» كان يعرف أن شخص ابن ملجم سوف يقتله، فكيف يقول له: إني لم أردك بهذا

المثل، فقد روي عن المعلى بن زياد قال:

جاء عبد الرحمن بن ملجم «لعنه الله» إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» يستحمله، فقال له: يا أمير المؤمنين، إحملني.

فنظر إليه أمير المؤمنين «عليه السلام» ثم قال له: أنت عبد الرحمن بن ملجم المرادي؟!

قال: نعم.

قال: أنت عبد الرحمن بن ملجم المرادي؟!

قال: نعم.

قال: يا غزوان، أحمله على الأشقر.

فجاء بفرس أشقر، فركبه ابن ملجم المرادي، وأخذ بعنانه، فلما ولى قال أمير المؤمنين «عليه السلام»:

أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

قال: فلما كان من أمره ما كان، وضرب أمير المؤمنين «عليه السلام» قبض عليه وقد خرج من المسجد، فجيء به إلى أمير المؤمنين، فقال «عليه السلام»: «والله لقد كنت أصنع بك ما أصنع، وأنا أعلم أنك قاتلي، ولكن كنت أفعل ذلك بك لأستظهر بالله عليك»**(1)**.

(1) الإرشاد للمفيد ج1 ص13 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص17 وبحار الأنوار ج42 ص308 ونهج السعادة ج7 ص99 وتذكرة الخواص

ويجاب:

بأنه قد يكون علم بأنه هو الذي يقتله في وقت متأخر عن الوقت الذي تمثل فيه بذلك البيت، أما في حين تمثله بالبيت المذكور، فكان يعلم بأن قاتله رجل من مراد فقط.

أو لعله كان يظن ظناً قوياً: بأن ابن ملجم هو ذلك المرادي، ثم تأكد ذلك له بعد ذلك، ولو من خلال سؤاله عن حاضنته اليهودية، وعن اللقب الذي كانت تطلقه عليه، وهو شقيق عاقر الناقة حسبما تقدم.

وإن كان الأقرب والأصوب في الجواب أن يقال: إنه «عليه السلام» لم يكن قد حصل له العلم، بالطرق المعهودة التي تسوغ له قتله، والتي يجوز له أن يتعامل بها مع الناس، فلم يقر ابن ملجم بذلك، ولا قامت لديه البينة على أن ابن ملجم بشخصه هو الذي يقتله، وإن كان يعلم به من الطرق غير العادية، وهو الخبر الغيبي..

ويدل على أن ابن ملجم هو الذي كان محط النظر في هذا الأمر بنحو يصل إلى حد الإطمينان أو اليقين:

1 ـ ما روي عن عامر بن واثلة، قال: جمع أمير المؤمنين «عليه السلام» الناس للبيعة، فجاء عبد الرحمن بن ملجم المرادي «لعنه الله»، فرده مرتين أو ثلاثاً ثم بايعه، وقال عند بيعته له:

ص177.

«ما يحبس أشقاها! فوالذي نفسي بيده لتخضبن هذه من هذا»، ووضع يده على لحيته ورأسه «عليه السلام».

فلما أدبر ابن ملجم عنه منصرفاً قال «عليه السلام» متمثلاً(1):

حيازيمـــــــــك للمـــــــــوت فـــــإن المـــــوت لاقيـــــــك
ولا تجـــزع مــــن المـــوت إذا حـــــــل بواديـــــــــك
كمــــا أضـــحكك الــــدهر كـــذاك الـــدهر يبكيـــك(2)

2 - وما روى الحسن بن محبوب، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي إسحاق السبيعي، عن الأصبغ بن نباتة، قال: أتى ابن ملجم أمير المؤمنين «عليه السلام» فبايعه فيمن بايع، ثم أدبر عنه، فدعاه أمير المؤمنين «عليه السلام» فتوثق منه، وتوكد عليه ألا يغدر ولا ينكث،

---

(1) سيأتي: أن الناس يقرأون هذا البيت بصورة خاطئة، لأن كلمة أشدد ليست من الشعر، بل هي أمر مستقل.. كأنه يخاطب نفسه به حين انحل ثوبه، كأنه يقول لنفسه: يا علي، اشدد الإزار الذي انحل، ثم بدأ يتمثل بالشعر ويقول:

حيازيمك اللموت الخ..

(2) الإرشاد ج1 ص11 وروضة الواعظين ص147 وشرح الأخبار ج2 ص291 و 607 والخرائج والجرائح ج1 ص182 نحوه، والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص33 والمعجم الكبير ج1 ص105 و 169 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص545 ومقاتل الطالبيين ص45 وأسد الغابة ج4 ص110 وليس فيها البيت الأخير.

ففعل.

ثم أدبر عنه فدعاه أمير المؤمنين «عليه السلام» الثانية، فتوثق منه، وتوكد عليه ألا يغدر ولا ينكث، ففعل.

ثم أدبر عنه فدعاه أمير المؤمنين «عليه السلام» الثالثة فتوثق منه، وتوكد عليه ألا يغدر ولا ينكث.

فقال ابن ملجم: والله ـ يا أمير المؤمنين ـ ما رأيتك فعلت هذا بأحد غيري.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»:

أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

امض ـ يا بن ملجم ـ فوالله ما أرى أن تفي بما قلت(1).

3 ـ وقال ابن واضح: وقدم عبد الرحمن بن ملجم المرادي الكوفة لعشر بقين من شعبان سنة 40، فلما بلغ علياً قدومه قال: وقد وافى؟! أما إنه ما بقي علي غيره، هذا أوانه.

فنزل على الأشعث بن قيس الكندي. فأقام عنده شهراً يستحد سيفه(2).

---

(1) الإرشاد ج1 ص12 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص15 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص310 نحوه، وبحار الأنوار ج42 ص192.

(2) تاريخ اليعقوبي ج2 ص212 ونهج السعادة ج2 ص708 و 709.

علي × يرفض الحراسة!:

عن يعلى بن مرة قال: كان علي يخرج بالليل إلى المسجد ليصلي تطوعاً، وكان الناس يفعلون ذلك..

وقال: ائتمرنا أن نحرس علياً كل ليلة عشرة.

قال: فخرج فصلى كما كان يصلي، ثم أتانا، فقال: ما شأن السلاح؟!

قلنا: نحرسك.

فقال: من أهل السماء؟! أو من أهل الأرض؟!

قلنا: نحن أهون وأضعف. أو كلمة نحو ذلك.. أن نحرسك من أهل السماء.

قال: فإنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقضى في السماء، وإن عليَّ من الله جنة حصينة، فإذا جاء أجلي كشف عني، وإنه لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه ليكن ليصيبه(1).

(1) تاريخ مدينة دمشق ج42 ص553 و 552 وراجع: ميزان الحكمة ج1 ص579 ونهج السعادة ج2 ص719 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج1 ص347 و 348 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج18 ص144 عن ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (ط دار التعارف في بيروت) ج3 ص290.

وعن حفص بن غياث، عن جعفر بن محمد، عن أبيه قال: دخل الحسن بن علي على معاوية، وقال معاوية: أبوك الذي كان يقاتل أهل البصرة، فإذا كان آخر النهار، فمشى في طرقها؟!

قال: علم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه.

فقال معاوية: صدقت إلى[1]..[2].

ونقول:

علي × يحرس النبي ’:

لا شك في مشروعية الحراسة ورجحانها، لرد كيد الأعداء.. وقد كان أمير المؤمنين «عليه السلام» يحرس رسول الله «صلى الله عليه وآله» عند أسطوانة في مسجد النبي «صلى الله عليه وآله»، وقد سميت تلك الأسطوانة بسبب ذلك بأسطوانة المحرس[3].

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يأمر بالحراسة أيضاً، ولاسيما في الغزوات والأسفار، ومن الأقوال التي اشتهرت عنه: من

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج42 ص553.

(2) لعل للرواية بقية ترك الراوي ذكرها.. وأراد أن يكتب إلى آخر الرواية، فاكتفى بكلمة «إلى».

(3) راجع: شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج18 ص168 عن عمدة الأخبار، للسيد أحمد بن عبد الحميد العباسي (ط مطبعة المدني السيد أسعد الطرابزوني) ص98.

يحرسنا الليلة؟!(1).

فما معنى أن يرفض أمير المؤمنين «عليه السلام» حراسة هؤلاء المتبرعين بها؟!

(1) المغني لابن قدامة ج10 ص380 و الشرح الكبير ج10 ص379 وبحار الأنوار ج20 ص177 وميزان الحكمة ج1 ص578 ومسند أحمد ج1 ص391 وسنن أبي داود ج1 ص561 والمستدرك للحاكم ج2 ص84 والسنن الكبرى للبيهقي ج2 ص7 وج9 ص149 ومجمع الزوائد ج1 ص318 وج5 ص287 وفتح الباري ج1 ص245 وتحفة الأحوذي ج1 ص362 والمصنف لابن أبي شيبة ج4 ص598 والآحاد والمثاني ج4 ص301 والسنن الكبرى للنسائي ج5 ص268 و 274 والمعجم الكبير ج6 ص96 وج10 ص225 ونصب الراية ج2 ص8 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج13 ص290 وأحكام القرآن للجصاص ج3 ص329 وتفسير القرآن العظيم ج1 ص456 والبرهان للزركشي ج1 ص198 والتاريخ الكبير ج4 ص264 وتاريخ مدينة دمشق ج23 ص196 وأسد الغابة ج1 ص130 وتهذيب الكمال ج34 ص218 والإصابة ج1 ص280 وج3 ص291 والكامل في التاريخ ج2 ص175 وتاريخ الإسلام للذهبي ج2 ص57 والبداية والنهاية ج4 ص372 والسيرة النبوية لابن كثير ج3 ص617 وسبل الهدى والرشاد ج5 ص315 وج11 ص398 والسيرة الحلبية ج2 ص221 و (ط دار المعرفة) ج2 ص776 وتاريخ الخميس ج1 ص422 و 423 ومغازي الواقدي ج1 ص217 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص228.

ثم هو يعلل رفضه هذا بأنه لا يذوق عبد طعم الإيمان حتى يستيقن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه!!

ألم يكن «عليه السلام» واقفاً على هذه القاعدة التي استدل بها عليهم حين كان يحرس الرسول «صلى الله عليه وآله»؟!

ونجيب:

بأن الظاهر: هو أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد استشعر أن هؤلاء المتبرعين كانوا يرون أنهم إذا حرسوه، فإنهم يمنعون أشقى الآخرين من تحقيق مرامه في اغتياله «عليه السلام». وكأنهم يظنون أن ما أخبر به رسول الله «صلى الله عليه وآله» من شهادته «عليه السلام» كان من القضاء الذي يمكن دفعه، لأنه لم يصل إلى مرتبة الحتم والإبرام..

حيث تقدم حين الحديث عن ليالي القدر: أن للقضاء مراتب:

الأولى: مرتبة الكتابة والإنشاء، وتكون في الليلة الأولى من ليالي القدر، وهي الليلة التاسعة عشرة.

الثانية: مرتبة القضاء، وتكون ليلة القدر الثانية، ليلة إحدى وعشرين.

الثالثة: مرتبة الإبرام، وتكون في الليلة الثالثة والعشرين من ليالي القدر من شهر رمضان المبارك.

وكلامه «عليه السلام» معهم يدل على أنه كان «عليه السلام» بصدد إفهامهم: أن ما أخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو من

القضاء المبرم، وأن عليهم أن يستيقنوا بهذا الأمر يقيناً لا شبهة فيه، فإن ما أصابه لم يكن ليخطئه.. فهو من المحتوم الذي لا بد منه.

وحديث معاوية مع الإمام الحسن «عليه السلام» يشهد لما نقول، فإن معاوية كان يحاول أن يتنقص علياً «عليه السلام»، وينسب إليه الرعونة والحمق والعياذ بالله، لأن تصرفاته متناقضة، وبلا ضابطة، فهو يحارب أهل البصرة، أول النهار، ثم تراه في آخر النهار يمشي في طرقها. مع أن من المفروض: أن لا يعرض نفسه للأخطار، فإن من يحارب قوماً يحتاط لنفسه.

لأن من الطبيعي أن يراه شخص موتور على تلك الحال، فيبادر إلى اغتياله..

فأجابه الإمام الحسن «عليه السلام» بما أخرسه، وحتم عليه التسليم والتصديق بالرغم منه، حيث بين أن هذا من فضائله لدلالته على شدة يقينه بصدق ما أخبر به الرسول من أن قاتله هو أشقى الآخرين. وقد دله عليه وعرفه به، وبكثير من تفاصيل ما يجري عليه..

فما معنى أن يعاب عليه بأمر يدل على عميق إيمانه، وشدة يقينه برسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

عشاؤه × في ليالي شهر رمضان:

تقدم في فصل «براءة ابن عباس»: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» كان في شهر رمضان يتعشى ليلة عند الإمام الحسن «عليه

السلام»، وليلة عند الإمام الحسين «عليه السلام»، وليلة عند عبد الله بن عباس كما قلنا ـ هذه هي الرواية هي الأساس فيما يظهر. ولكن البعض أبدل ابن عباس بابن جعفر، ظناً منه أن ابن عباس كان في مكة، أو في البصرة ـ وأنه «عليه السلام» كان لا يزيد على ثلاث لقم،وقيل له في ذلك، فقال: يأتيني أمر الله وأنا خميص، إنما هي ليلة أو ليلتان، فأصيب في آخر الليل.

وقد ذكرنا مصادر هذه الرواية فيما سبق.

وما نريد لفت النظر إليه هنا أمران:

الأول: رغبته في أن يأتيه أمر الله وهو خميص، فلا يريد أن يحمل معه من الدنيا إلا العمل الصالح، وما عدا ذلك من أمور مادية، فإنه يريد أن يتخلص من كل ذرة يمكنه التخلص منها، ولذلك هو يصوم شهر رمضان، ويفطر على لقم ثلاث تحفظ له خيط حياته الذي أوجب الله عليه حفظه، ولو استطاع أن يحفظه بأقل من ذلك، وكان معذوراً عند الله، لاكتفى بما هو أقل من ذلك أيضاً.

الثاني: إن ترديده «عليه السلام» حول ما بقي من عمره بين ليلة أو ليلتين، هل هو لأجل أن لا يحدد وقت أجله مع علمه به؟! لأن البعض قد يتوهم: أن ذلك ينافي قوله تعالى: **(وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ)**[1]. ونحو ذلك مما دل على أنه تعالى قد اختص هذا

(1) الآية 34 من سورة لقمان.

الأمر بنفسه. ذاهلين عن أن مراده أنها لا تعلم بذلك إلا إذا أعلمها الله. وقد أخبر الله أنبياءه بآجال كثير من الناس، ويكفي من ذلك قوله تعالى لنبيه لوط: **(إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ)**(1).

وقال صالح لقومه لما عقروا الناقة: **(..تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ)**(2).

أو أن هذا الترديد كان لأجل: أنه «عليه السلام» كان لا يعلم بأجله إلا على نحو الإجمال. وإن كان لو شاء أن يعلم به على نحو التفصيل لعلمه..

والأول هو الراجح والظاهر من النصوص، ومن سائر ما جرى في تلك الليلة. مما كان يريد به تهيئة أهل بيته لمواجهة الحدث الخطير والكبير.

ما عندنا خير لك:

ويبدو: أن جملة الأمور التي كان «عليه السلام» كان يمهد بها لاستشهاده، لكي يخفف من شدة وقعه على أهل بيته، وعلى الناس. ما كان يحدثهم به مما يراه في منامه.

فإنه لا شك في صدق رؤى أوصياء الأنبياء.. فإن الله تعالى يريد لها أن تكون مفيدة لهم في حركتهم العملية وسياساتهم.

---

(1) الآية 81 من سورة هود.

(2) الآية 65 من سورة هود.

ومما حدث من ذلك هنا: ما روي عن أم موسى ـ خادمة علي «عليه السلام»، وهي حاضنة فاطمة ابنته ـ قالت: سمعت علياً «عليه السلام» يقول لابنته أم كلثوم: يا بنية، إني أراني قلَّ ما أصحبكم.

قالت: وكيف ذلك، يا أبتاه؟!

قال: إني رأيت نبي الله «صلى الله عليه وآله» في منامي، وهو يمسح الغبار عن وجهي ويقول: يا علي، لا عليك، قد قضيت ما عليك.

قالت: فما مكثنا إلا ثلاثاً حتى ضرب تلك الضربة، فصاحت أم كلثوم.

فقال: يا بنية لا تفعلي، فإني أرى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يشير إلي بكفه: يا علي، هلم إلينا، فإن ما عندنا هو خير لك[1].

وعن الإمام الحسين «عليه السلام»: قال لي علي: سنح لي الليلة رسول الله «صلى الله عليه وآله» في منامي، فقلت: يا رسول الله، ما لقيت من أمتك من الأود[2] واللدد؟![3].

---

(1) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص227 والإرشاد ج1 ص15 مناقب آل أبي طالب ج3 ص311 ونهج السعادة ج7 ص113 وروضة الواعظين ص151 و (منشورات الشريف الرضي) ص135 والمناقب للخوارزمي ص387 وفيه إلى «قضيت ما عليك».

(2) الأود: المجهود والمشقة. راجع: لسان العرب ج3 ص74.

(3) اللدد: الخصومة الشديدة. راجع: لسان العرب ج3 ص391.

قال: ادع عليهم.

قلت: اللهم أبدلني بهم من هو خير لي منهم، وأبدلهم بي من هو شر مني(1).

ونحو ذلك روي عن الإمام الحسين «عليه السلام»، وزاد فيه قوله: فخرج، فضربة الرجل(2).

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد (ط دار صادر) ج3 ص36 وأسد الغابة ج4 ص113 و (ط دار الكتاب العربي) ج4 ص37 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص559 و 557 كلاهما عن محمد بن سعد، وأنساب الأشراف ج3 ص255 و (ط الأعلمي) ج2 ص495 والكامل في التاريخ ج2 ص434 و (ط دار صادر) ج3 ص388 ومقاتل الطالبيين ص53 و (منشورات المكتبة الحيدرية) ص25 عن أبي عبد الرحمن السلمي، والإمامة والسياسة (تحقيق الشيري) ج1 ص180 والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص115 ونهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص118 الخطبة 70 وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج2 ص191 وبحار الأنوار ج34 ص79 وج42 ص226 وميزان الحكمة ج2 ص865 ونهج السعادة ج2 ص722 وج7 ص112 و 121 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص1127 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص634 ومنهاج البراعة ج1 ص296 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص112 و 121 وج9 ص118 وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص193 وتاريخ الكوفة ص311

(2) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص229 عن أسد الغابة ج4 ص112 و (ط دار الكتاب العربي) ج4 ص36 عن أبي عبد الرحمن

وقد تكلمنا في موضع سابق من هذا الكتاب عن المراد بهذا الدعاء ومسوغاته، ومراميه، فلا حاجة إلى إعادة ذلك هنا.

أفي سلامة من ديني؟!:

قد سأل رسول الله بعد خطبة شهر رمضان: يا رسول الله، ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟!

فقال: يا أبا الحسن، أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عز وجل، ثم بكى.

فقلت: يا رسول الله، ما يبكيك؟!

فقال: يا علي، أبكي لما يستحل منك في هذا الشهر، كأني بك وأنت تصلي لربك، وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين، شقيق عاقر ناقة ثمود، فضربك ضربة على قرنك، فخضب منها لحيتك.

قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: فقلت: يا رسول الله، وذلك في سلامة من ديني؟!

السلمي، وفي آخره: «كذا في هذه الرواية: الحسين بن علي، وإنما هو الحسن» وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص556 وتاريخ الإسلام للذهبي (الخلفاء الراشدون) ج3 ص649 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج8 ص13 وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ مدينة دمشق ج3 ص295 وراجع: شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص751 وج18 ص233 .

فقال: في سلامة من دينك(1).

فإن هذا السؤال من أمير المؤمنين «عليه السلام» لا يدل على أنه «عليه السلام» غير مطمئن لسلامة دينه، لأن الإنسان قد يموت كافراً أو فاسقاً كما زعمه بعض الناس(2).

بل هو يريد أن يعرفنا على لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله»: بأن علينا بأن لا نغتر بما يظهره الخوارج من نسك وعبادة، فإذا قتلوا الأخيار والأبرار، وأوصياء الأنبياء، فعلينا أن لا نتوهم، أو نشك في استقامة الأبرار على طريق الحق والهدى..

إنه يريد أن يقول للجهلة والأغبياء، والذين في قلوبهم مرض: إن قتلة إمامنا هم الضالون المارقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية. أما علي «عليه السلام»، فهو على بينة من ربه، وبصيرة من أمره، وسلامة من دينه، لو كشف له الغطاء ما ازداد يقيناً.

---

(1) راجع: الأمالي للصدوق ص155 وعيون أخبار الرضا ج2 ص266 وراجع: بحار الأنوار ج34 ص339 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص108 وغاية المرام ج6 ص28.

(2) ذكر ذلك في محاضرة له بثتها إذاعة تابعة له تبث من بيروت، وذلك ليلة 19 من شهر رمضان المبارك سنة 1422 هـ ق.

الفصل الثاني:

حديث الإستتشهاد

أني مقتول لو قد أصبحت:

بل لقد روي عن الحسن البصري قال: سهر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الليلة التي قتل في صبيحتها، ولم يخرج إلى المسجد لصلاة الليل على عادته، فقالت له ابنته أم كلثوم «رحمة الله عليها»: ما هذا الذي قد أسهرك؟!

فقال: إني مقتول لو قد أصبحت.

وأتاه ابن النباح فآذنه بالصلاة، فمشى غير بعيد ثم رجع، فقالت له ابنته أم كلثوم: مر جعدة فليصل بالناس.

قال: نعم، مروا جعدة فليصل.

ثم قال: لا مفر من الأجل، فخرج إلى المسجد[1].

---

(1) الإرشاد ج1 ص16 وخصائص الأئمة ص63 نحوه، و بحار الأنوار ج42 ص226 وروضة الواعظين ص151 وإعلام الورى ج1 ص310 وشرح الأخبار ج2 ص430 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص310 كلاهما نحوه،

وهذه الرواية لا يمكن قبولها على ظاهرها:

أولاً: لأنها تدل أنه «عليه السلام» كان خائفاً من ملاقاة الموت، مع أنه «عليه السلام» هو الذي تضايق يوم أحد، لأنه رأى أن الشهادة حيزت عنه، فأخبره رسول الله «صلى الله عليه وآله»: بأنه سوف يموت شهيداً وقال له: كيف صبرك إذن؟!

فقال: يا رسول الله، ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشرى والشكر[1]. أو قال: من مواطن البشرى والكرامة[2].

وسيأتي: أنه لما ضربه اللعين بسيفه قال: فزت ورب الكعبة.

وخاتمة المستدرك ج7 ص215 موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص229 و 230 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص17 و 18 وعمدة الطالب ص61 ومدينة المعاجز ج3 ص40.

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص50 رقم 156 وبحار الأنوار ج32 ص241 وج41 ص7 وج69 ص138 و موسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج12 ص37 وميزان الحكمة ج2 ص1513 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص205 والتفسير الصافي ج4 ص110 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج1 ص203 وج5 ص17وج7 ص196 وراجع: كنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج16 ص193 و 194.

(2) مجمع الزوائد ج9 ص138 والمعجم الكبير ج11 ص295 وأسد الغابة ج4 ص110 (ط دار الكتاب العربي) ج4 ص34 وبشارة المصطفى ص343 و موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص196 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج7 ص338 وج23 ص390.

ثانياً: إنها تظهره «عليه السلام» بصورة المتردد الذي يأمر بالشيء ثم ينقضه، وهذا ليس من سمات علي «عليه السلام»، ولا هو مما يحدث للمعصوم، وللإمام أو النبي.

ثالثاً: هل كان «عليه السلام» حين قال لهم: مروا جعدة فليصل. غافلاً عن أنه لا مفر من الأجل؟! وهل كان حقاً بصدد التماس الحيلة للهروب من أجله؟!

صوائح تتبعها نوائح:

قال ابن أعثم:

فلما كان يوم ثالث وعشرين من شهر رمضان خرج علي من منزله، فلما صار في صحن الدار كان في داره شيء من الوز، فتصايح الوز في وجهه.

فقال علي رضي الله عنه: صوائح تتبعها نوائح.

فقال له ابنه الحسين: يا أبة! ما هذه الطيرة؟

فقال: يا بني! لم أتطير، ولكن قلبي يشهد أني مقتول في هذا الشهر.

قال: وجاء علي رحمه الله إلى باب دار مفتحة ليخرج، فتعلق الباب بمئزره، فَحُلَّ (فجعل يشد إزاره[1]) مئزره وهو يقول اشدد:

---

(1) هذه زيادة ضرورية لاستقامة المعنى.

حيازيمـــــــك للمـــــوت فـــإن المـــوت لاقيكـــا

ولا تجـــزع مـــن المـــوت فقـــد حـــل بواديكـــا

فقـــد أعـــرف أقوامـــا وإن كـــانوا صـــعاليكا

مصـــاريع[1] إلـــى النجـــدة وللغـــــي متاريكـــا[2]

قال: ثم مضى يريد المسجد وهو يقول:

خلـــوا ســـبيل المـــؤمن في الله لا يعـــبد غـير الواحـد

ويـوقظ النـاس إلـى المسـاجد

قال: ثم جاء حتى وقف في موضع الأذان، فأذن ودخل المسجد[3].

وقال المبرد: والشعر إنما يصح بأن تحذف اشدد، فتقول:

---

(1) لعل الصحيح: مساريع.

(2) الفتوح لابن أعثم ج4 ص277 وأنساب الأشراف ج3 ص259 والمصنف لابن أبي شيبة ج6 ص175 والكامل للمبرد ج3 ص1121 والإمامة والسياسة ج1 ص183 و (ط أخرى) ج1 ص162 وخصائص الأئمة ص63 وإعلام الورى ج1 ص311 والكامل في الأدب ج3 ص1121 ومروج الذهب ج2 ص417 و 418 وشرح نهج البلاغة ج2 ص339 والديوان المنسوب لأمير المؤمنين «عليه السلام» ص317/400 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص310.

(3) الفتوح لابن أعثم ج4 ص277 و 278.

حيازيمـــــــك للمـــــــوت فـــــإن المــــوت لاقيكـــــا[1]

وقد ذكرنا في هامش سابق: أن كلمة اشدد ليست من الشعر، بل هي كلمة قالها «عليه السلام» لنفسه حين انحل إزاره، فجعل يشده، كأنه يقول لنفسه: يا علي اشدد إزارك، ولكنه بدل كلمة إزارك ببيت شعر يقول:

حيازيمـــــــك للمـــــــوت فـــــإن المــــوت لاقيكـــــا

ويقول نص آخر: روي أن أمير المؤمنين «عليه السلام» سهر تلك الليلة، فأكثر الخروج والنظر في السماء وهو يقول: والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِبت[2]، وإنها الليلة التي وُعِدتُ بها، ثم يعاود مضجعه، فلما طلع الفجر شد إزاره وخرج وهو يقول: أشدد

ولا تجـــزع مـــن المـــوت إذا حـــــل بواديـــــــك

وعند المسعودي: أنه كان يكثر من هذين البيتين..

فلما خرج إلى صحن الدار استقبلته الإوز، فصحن في وجهه، فجعلوا يطردونهن، فقال: «دعوهن فإنهن نوائح»، ثم خرج فأصيب «عليه السلام»[3].

---

(1) الكامل في الأدب ج3 ص1121.

(2) أي أنني لم أكذب فيما أخبرت به عما مضى، ولم أتوقع أمر ثم جاء على خلاف ما توقعت.

(3) الإرشاد ج1 ص16 و 17 ومروج الذهب ج2 ص425 وعمدة الطالب

قال المسعودي عن البيتين المتقدمين:

وسمعا منه في الوقت الذي قتل فيه، فإنه قد خرج إلى المسجد، وقد عسر عليه فتح باب داره، وكان من جذوع النخل، فاقتلعه وجعله ناحية، وانحل إزاره، فشده وجعل ينشد هذين البيتين المتقدمين[1].

ونقول:

لا بأس بملاحظة الأمور التالية:

لم أتطير:

إن أول ما يواجهنا في النص المتقدم هو سؤال الإمام الحسين «عليه السلام» أباه: ما هذه الطيرة؟!

فأجابه أبوه: إنها ليست طيرة.

ص60 و 61 وبحار الأنوار ج41 ص300 و 301 وج42 ص198 و 227 ونهج السعادة ج7 ص102 وشرح الأخبار ج2 ص431 والخرائج والجرائح ج1 ص201 نحوه، وراجع: تاريخ اليعقوبي ج2 ص212 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص118 وأسد الغابة ج4 ص36 وحياة الحيوان الكبرى ج1 ص73 وجواهر المطالب ج2 ص94 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج2 ص350 وينابيع المودة ج2 ص32 وراجع: خصائص الأئمة ص63 وروضة الواعظين ص151 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص310 وإعلام الورى ج1 ص311 وفيها: «دعوهن فإنهن صوائح تتبعها نوائح».

(1) مروج الذهب ج2 ص418 ونهج السعادة ج7 ص115 و 122.

فهل كان الإمام الحسين «عليه السلام» يرى أن أباه يتطير فعلاً، مع علمه بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد نهى عن الطيرة؟!

إلا أن يرى أن أباه قد خالف أمر النبي «صلى الله عليه وآله» سهواً؟! وهل يخالف المعصوم أحكام الشريعة سهواً أو عمداً؟! أم أن الحسين «عليه السلام» كان ينفي العصمة عن أبيه؟!

ونجيب:

بأن الإمام الحسين «عليه السلام» من أشد الناس بصيرة في أمر أبيه، وهو أعرف الناس بمعنى آية التطهير، وهو يرى ويشهد عن كثب رسوخ قدم أبيه في معنى العصمة والطهارة.

ولكن الحقيقة هي: أن هذا قد جاء على نفس النسق، ولنفس الغرض، الذي دعا علياً «عليه السلام» ليسأل النبي «صلى الله عليه وآله» حين أخبره بأنه سيقتل: أفي سلامة من ديني؟! كما تقدم في الفصل السابق.

أي أنه «عليه السلام» يريد: أن يُسمِع الناس من لسان علي نفسه: أن ما كان يقوله حين يسمع صياح الأوز، وحين يعلق ثوبه بالباب، وينحل إزاره ليس من التطير، بل يرى العلامات التي يعرفها عن ليلة استشهاده رأي العين، ويعرف ان صياح الأوز في وجهه على خلاف العادة هو إحدى تلك العلامات.

ولو أن الإمام الحسين «عليه السلام» قال للناس ذلك مباشرة، لتوهم متوهم قاصر النظر، أو لاتهمه متهم قليل الحياء: بأنه إنما يقول

ذلك من عند نفسه، لأنه يحسن الظن بأبيه، أو لأنه لا يريد للناس أن يعرفوا عن أبيه هذا الأمر المعيب. والعياذ بالله.

الغدر بعلي ×:

لاحظ النصوص التالية:

1 - قال ابن أعثم:

عبد الرحمن بن ملجم تلك الليلة كان في منزل قطام بنت الأضبع، فلما سمعت أذان علي رضي الله عنه قامت إليه وهو نائم، وكان تناول نبيذاً، فأيقظته وقالت: يا أخا مراد! هذا أذان علي، قم فاقض حاجتنا وارجع قرير العين مسروراً، ثم ناولته سيفه.

فقال ابن ملجم: بل أرجع والله سخين العين مثبوراً، وقد سمعت علياً يقول: قال النبي «صلى الله عليه وآله»: «إن أشقى الأولين قذاز بن سالف، عاقر ناقة صالح، وأشقى الآخرين قاتل علي بن أبي طالب».

فما أخوفني أن أكون ذلك الرجل.

قال: ثم تناول سيفه وجاء حتى دخل المسجد، ورمى بنفسه بين النيام، وأذن علي رضي الله عنه، ودخل المسجد، فجعل ينبه من في المسجد من النيام، ثم صار إلى محرابه فوقف فيه، فافتتح الصلاة وقرأ، فلما ركع وسجد سجدة واستوى قاعداً، وأراد أن يسجد الثانية ضربة ابن ملجم ضربه على رأسه. فوقعت الضربة على الضربة

التي كان ضربها عمرو بن عبد ود يوم الخندق بين يدي النبي «صلى الله عليه وآله».

ثم بادر فخرج من المسجد هارباً، وسقط علي «رحمة الله عليه» لما به.

وتسامع الناس بذلك وقالوا: قتل أمير المؤمنين، ودنت الصلاة.

فقام الحسن بن علي فتقدم فصلى بالناس ركعتين خفيفتين(1).

2 ـ كما أن ظاهر كلام المسعودي وآخرين: أن ابن ملجم لم يكن وحده، فقد كان معه جماعة، حيث قال: «وخرج علي «رضي الله عنه» ينادي: أيها الناس، الصلاة.

فشد عليه ابن ملجم وأصحابه وهم يقولون: الحكم لله، لا لك.

وضربه ابن ملجم على رأسه بالسيف في قرنه، وأما شبيب فوقعت ضربته بعضادة الباب، وأما مجاشع بن وردان فهرب.

وقال علي: لا يفوتنكم الرجل»(2).

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج4 ص278.

(2) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص236 عن مروج الذهب ج2 ص424 و (ط أخرى) ج2 ص459 و (منشورات دار الهجرة) ج2 ص413 والطبقات الكبرى لابن ج3 ص36 و 37 وأنساب الأشراف ج3 ص253 و 255 والكامل في التاريخ ج2 ص435 وأسد الغابة ج4 ص113 عن محمد بن سعد، والمناقب للخوارزمي ص383 عن إسماعيل

3 ـ قال محمد ابن الحنفية في حديث له:

فنظرت إلى بريق، وسمعت: الحكم لله يا علي، لا لك ولا لأصحابك، فرأيت سيفاً، ثم رأيت ثانياً، ثم سمعت علياً يقول: لا يفوتنكم الرجل.

وشد الناس عليه من كل جانب.

قال: فلم أبرح حتى أخذ ابن ملجم وأدخل على علي، فدخلت فيمن دخل من الناس، فسمعت علياً يقول: النفس بالنفس، إن أنا مت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي**(1)**.

بن راشد وكلها نحوه. وراجع: تاريخ اليعقوبي ج2 ص212 والكامل في الأدب ج3 ص1118 و 1119 والأخبار الطوال ص214 والأنوار البهية ص74 ونهج السعادة ج7 ص122.

(1) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص238 عن المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص146 و (ط الأعلمي) ج4 ص112 والمعجم الكبير ج1 ص99 وتهذيب الآثار (مسند علي بن أبي طالب) ص75 كلاهما عن محمد بن حنيف، والمناقب للخوارزمي ص383 ومقاتل الطالبيين ص48 عن عبد الله بن محمد الأزدي؛ والإرشاد ج1 ص20 عن محمد بن عبد الله بن محمد الأزدي، وكلاهما نحوه، وكشف الغمة ج2 ص56 و (ط دار الأضواء سنة 1405هـ) ج2 ص57 وراجع: مجمع الزوائد ج9 ص141 ونهج السعادة ج7 ص123 ونظم درر السمطين ص141.

4 - عن الليث بن سعد: إن عبد الرحمن بن ملجم ضرب علياً في صلاة الصبح على دهس(1) بسيف كان سمه بالسم(2).

5 - خرج [علي «عليه السلام»] فلما دخل المسجد أقبل ينادي: الصلاة الصلاة، فشد عليه ابن ملجم «لعنة الله عليه» فضربه على رأسه بالسيف، فوقعت ضربته في موضع الضربة التي ضربه إياها عمرو بن عبد ود يوم الخندق(3).

6 - عن الإمام زين العابدين «عليه السلام»: لما ضرب ابن ملجم «لعنه الله» أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام».

وكان معه آخر، فوقعت ضربته على الحائط.

وأما ابن ملجم فضربه فوقعت الضربة وهو ساجد على رأسه، على الضربة التي كانت.

فخرج الحسن والحسين «عليهما السلام» وأخذا ابن ملجم

---

(1) الدهس: ما سهل ولان من الأرض. وراجع: النهاية ج2 ص145.

(2) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص238 عن: فضائل الصحابة لابن حنبل ج2 ص558 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص557 والرياض النضرة ج3 ص236 وذخائر العقبى ص114 ونهج السعادة ج7 ص127 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص782 وج18 ص250 عن مناقب العشرة للنقشبندي (مخطوط) ص4 وفيها «دهش» بدل «دهس».

(3) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص238 عن عمدة الطالب ص61 وبحار الأنوار ج42 ص281.

وأوثقاه.

واحتمل أمير المؤمنين فأدخل داره، فقعدت لبابة عند رأسه وجلست أم كلثوم عند رجليه، ففتح عينيه فنظر إليهما فقال:

الرفيق الأعلى خير مستقراً وأحسن مقيلاً. ضربة بضربة، أو العفو إن كان ذلك.

ثم عرق، ثم أفاق، فقال: رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يأمرني بالرواح إليه عشاء ثلاث مرات(1).

7 - عن عمران بن ميثم عن أبيه: إن علياً خرج إلى صلاة الصبح، فكبر في الصلاة ثم قرأ من سورة الأنبياء إحدى عشرة آية، ثم ضربه ابن ملجم من الصف على قرنه(2).

نصوص من الموسوعة:

تقدم: أن ابن أعثم يدَّعي: أن ابن ملجم قد ضرب أمير المؤمنين «عليه السلام» ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان المبارك، ثم استشهد في السابع والعشرين منه، وهو قول مردود، وليس له مستند يعوَّل عليه.

---

(1) الأمالي للطوسي ص365 وبحار الأنوار ج42 ص205 ونهج السعادة ج7 ص126 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص238.

(2) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص238 عن مقتل أمير المؤمنين لابن أبي الدنيا ص30.

ونحن نذكر هنا الأقوال حول هذا الموضوع مع مصادرها التي وردت في موسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام»، ونكتفي بها عما سواها، وإن كنا قد نمارس فيها بعض التقليم والتطعيم كما يعلم بالمراجعة والمقارنة، فنقول:

تاريخ اغتيال الإمام علي ×:

قال في الموسوعة المشار إليها ما يلي:

كان اغتيال الإمام «عليه السلام» على يد ابن ملجم على المشهور في فجر اليوم التاسع عشر(1) من شهر رمضان. وكانت شهادته «عليه السلام» في ليلة الجمعة(2) في الحادي والعشرين(1) من شهر رمضان سنة 40

---

(1) الإرشاد ج1 ص9 و 19 والغيبة للطوسي ص195 وإعلام الورى ج1 ص309 وروضة الواعظين ص147 ومقتل أمير المؤمنين ص59 و 40 والمناقب للخوارزمي ص396 وفيه: «ضربه قبل دخول العشر الأواخر بليلتين».

(2) الكافي ج7 ص52 وتهذيب الأحكام ج9 ص178 ومن لا يحضره الفقيه ج4 ص191 والإرشاد ج1 ص9 والغيبة للطوسي ص195 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص212 وإثبات الوصية ص165 وإعلام الورى ج1 ص309 وروضة الواعظين ص147 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص151 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص10 و 584 وفضائل الصحابة لابن حنبل ج2 ص559 والمعجم الكبير ج1 ص95 وتاريخ بغداد ج1 ص136 ومقتل أمير المؤمنين ص60 وفي الخمسة الأخيرة: «يوم الجمعة»،

هـ(2)، والذي يصادف ليلة نزول القرآن(3).

وهناك أقوال أخر حول تاريخ اغتياله وهي:

والبداية والنهاية ج7 ص331 وفيه: «يوم الجمعة سحراً».

وفي زمان شهادته «عليه السلام» أقوال أخر، منها: ليلة الأحد كما في: الكافي ج1 ص452 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص37 وأنساب الأشراف ج3 ص256 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص152 و مروج الذهب ج2 ص426 ومقاتل الطالبيين ص54 وأسد الغابة ج4 ص113 والإمامة والسياسة ج1 ص181 والبداية والنهاية ج7 ص331 ومقتل أمير المؤمنين ص61 والمناقب للخوارزمي ص392 وفيهما: «يوم الأحد».

(1) الكافي ج1 ص452 وتهذيب الأحكام ج9 ص178 ومن لا يحضره الفقيه ج4 ص191 والإرشاد ج1 ص9 وإثبات الوصية ص165 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص212 وإعلام الورى ج1 ص309 وروضة الواعظين ص147 والمستدرك على الصحيحين ج3 ص154 وفضائل الصحابة لابن حنبل ج2 ص557 ومروج الذهب ج2 ص426 ومقتل أمير المؤمنين ص59 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص587 ومقاتل الطالبيين ص54 والمناقب للخوارزمي ص396.

(2) هذه المسألة متفق عليها، وقد وردت في جميع المصادر الموجودة.

(3) الكافي ج1 ص457 والأمالي للصدوق ص397 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص213 وروضة الواعظين ص154 والمستدرك على الصحيحين ج3 ص154 والتاريخ الكبير ج2 ص363 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص157 والأخبار الطوال ص216 ومقتل أمير المؤمنين ص95 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص586.

اليوم السابع عشر[1]، والحادي والعشرون[2] من شهر رمضان.

كما ذكرت أقوال أخر حول تاريخ شهادته وهي:

اليوم الثالث والعشرون[3]، والتاسع عشر[4]، والسابع عشر[5]، والسابع والعشرون[6] من شهر رمضان سنة 40 هـ.

---

(1) أنساب الأشراف ج3 ص253 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص584 و 585 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص151 و 152 ومروج الذهب ج2 ص426 وأسد الغابة ج4 ص112 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص15. أو ليلة الأحد كما في الكافي ج1 ص457 ومصادر أخرى.

(2) الكافي ج7 ص52 والغيبة للطوسي ص195 وإثبات الوصية ص164 وتاريخ دمشق ج42 ص586 و 587 والكامل في الأدب ج3 ص1118 والمناقب للخوارزمي ص392.

(3) الكافي ج7 ص52 والغيبة للطوسي ص195 والكامل في الأدب ج3 ص1118 - 1120 والمناقب للخوارزمي ص392.

(4) فضائل الصحابة لابن حنبل ج2 ص559 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص37 وأنساب الأشراف ج3 ص257 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص152 وأسد الغابة ج4 ص113 والبداية والنهاية ج7 ص331.

(5) المعجم الكبير ج1 ص95 وتاريخ بغداد ج1 ص136 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص584 والمناقب للخوارزمي ص396 والبداية والنهاية ج7 ص331.

(6) الطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص39 والفتوح لابن أعثم ج3 ص281.

مقدار عمر الإمام ×:

وقال في الموسوعة أيضاً:

ويوجد هناك اختلاف أيضاً بين المؤرخين حول سن الإمام «عليه السلام» حين شهادته؛ فقد ذكر أكثر المؤرخين والمحدثين من الفريقين: أن عمره الشريف كان (63 سنة)(1). بيد أنه توجد أقوال أخر في هذا المضمار، وهي: (58 سنة)(2) و (65 سنة)(3) و (64 سنة)(4).

جزئيات تضمنتها النصوص:

ثم ذكر في الموسوعة نصوصاً أخرى حول هذا الموضوع نختار

(1) الكافي ج1 ص452 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص212 والمستدرك على الصحيحين ج3 ص156 والمعجم الكبير ج1 ص96 وتاريخ بغداد ج1 ص136 والتاريخ الصغير ج1 ص107 وأنساب الأشراف ج3 ص258 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص151 ومروج الذهب ج2 ص358 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص10 ومقتل أمير المؤمنين ص64 والإمامة والسياسة ج1 ص181 والبداية والنهاية ج7 ص331 وإثبات الوصية ص165.

(2) المستدرك على الصحيحين ج3 ص156 وتاريخ بغداد ج1 ص136 والمعجم الكبير ج1 ص96 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص11 ومقتل أمير المؤمنين ص63 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص151.

(3) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص151 وإثبات الوصية ص165.

(4) مقاتل الطالبيين ص54 والتاريخ الصغير ج1 ص107.

منها ما يلي:

1 ـ قتل «عليه السلام» في شهر رمضان لتسع بقين منه ليلة الأحد سنة أربعين من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة[1].

2 ـ كانت وفاة أمير المؤمنين «عليه السلام» قبيل الفجر من ليلة الجمعة، ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، قتيلاً بالسيف، قتله ابن ملجم المرادي «لعنه الله» في مسجد الكوفة، وقد خرج «عليه السلام» يوقظ الناس لصلاة الصبح ليلة تسع عشرة من شهر رمضان.

وقد كان ارتصده من أول الليل لذلك، فلما مر به في المسجد وهو مستخف بأمره، مماكر بإظهار النوم في جملة النيام، ثار إليه فضربه على أم رأسه بالسيف، وكان مسموماً.

فمكث يوم تسعة عشر، وليلة عشرين ويومها، وليلة إحدى وعشرين، إلى نحو الثلث الأول من الليل، ثم قضى نحبه «عليه السلام» شهيداً، ولقي ربه تعالى مظلوماً[2].

3 ـ بعد ذكر إصابة الإمام «عليه السلام» بالسيف قال: أقام يومين، ومات ليلة الجمعة أول ليلة من العشر الأواخر من شهر

---

(1) الكافي ج1 ص452 وتهذيب الأحكام ج6 ص19 وخصائص الأئمة ص39 وفيهما: «ليلة الجمعة».

(2) الإرشاد ج1 ص9 والعمدة لابن البطريق ص29 ونهج السعادة ج8 ص504 وبحار الأنوار ج42 ص227 والأنوار البهية ص73.

رمضان سنة (40 هـ)، ومن شهور العجم في كانون الآخر، وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وغسله الحسن ابنه بيده، وصلى عليه وكبر عليه سبعاً، وقال: أما إنه لا يكبر على أحد بعده، ودفن بالكوفة في موضع يقال له: الغري[1].

4 - عن الحريث بن مخشي: إن علياً قتل صبيحة إحدى وعشرين من رمضان، قال: فسمعت الحسن بن علي يقول وهو يخطب، وذكر مناقب علي، فقال: قتل ليلة أنزل القرآن، وليلة أسري بعيسى، وليلة قبض موسى.

قال: وصلى عليه الحسن بن علي «عليهما السلام»[2].

5 - الإمام الباقر «عليه السلام»: لما قبض أمير المؤمنين «عليه السلام» قام الحسن بن علي «عليه السلام» في مسجد الكوفة، فحمد

---

(1) تاريخ اليعقوبي ج2 ص212 و 213 ونهج السعادة ج8 ص499 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص272.

(2) المستدرك على الصحيحين ج3 ص154 و (تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي) ج3 ص143 والدر المنثور ج2 ص226 و (ط دار المعرفة) ج2 ص36 والمناقب للكوفي ج2 ص587 عن حريث بن المخش، وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص586 وج47 ص480 ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج2 ص586 ونهج السعادة ج8 ص502 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص802.

الله وأثنى عليه وصلى على النبي «صلى الله عليه وآله» ثم قال:

أيها الناس، إنه قد قبض في هذه الليلة رجل ما سبقه الأولون، ولا يدركه الآخرون، إنه كان لصاحب راية رسول الله «صلى الله عليه وآله»؛ عن يمينه جبرئيل، وعن يساره ميكائيل، لا ينثني حتى يفتح الله له.

والله ما ترك بيضاء ولا حمراء إلا سبعمائة درهم فضلت عن عطائه، أراد أن يشتري بها خادماً لأهله.

والله لقد قبض في الليلة التي فيها قبض وصي موسى يوشع بن نون، والليلة التي عرج فيها بعيسى ابن مريم، والليلة التي نزل فيها القرآن(1).

6 ـ قال الإمام الحسن «عليه السلام»: قتل علي ليلة نزل

---

(1) الكافي ج1 ص457 عن أبي حمزة، والإرشاد ج2 ص7 عن أبي إسحاق السبيعي وغيره، وبشارة المصطفى ص240 عن أبي الطفيل، وتاريخ اليعقوبي ج2 ص213 والمعجم الكبير ج3 ص80 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص38 كلاهما عن هبيرة بن يريم، والبداية والنهاية ج7 ص333 عن أبي خالد بن جابر، ومجمع الزوائد ج9 ص202 و (دار الكتب العلمية سنة 1408هـ) ج9 ص146 عن أبي الطفيل وكلها نحوه. ومرآة العقول ج5 ص310 وراجع: خصائص الأئمة ص80 وشرح الأخبار ج1 ص180 و 452 وبحار الأنوار ج43 ص361 والمصنف لابن أبي شيبة ج7 ص502 والسنن الكبرى للنسائي ج5 ص112.

القرآن(1).

7 ـ قبض [علي «عليه السلام»] قتيلاً في مسجد الكوفة، وقت التنوير ليلة الجمعة، لتسعة عشر مضين من شهر رمضان، على يدي عبد الرحمن بن ملجم المرادي، وقد عاونه وردان بن مجالد من تيم الرباب، وشبيب بن بجرة، والأشعث بن قيس، وقطام بنت الأخضر، فضربه سيفاً على رأسه مسموماً(2).

انتهى ما أردنا نقله من موسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» ج7 ص269 ـ 274.

هكذا توفي أمير المؤمنين ×:

عن حبيب بن عمرو قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» في مرضه الذي قبض فيه، فحل عن جراحته، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما جرحك هذا بشيء، وما بك من بأس.

فقال لي: يا حبيب، أنا والله مفارقكم الساعة.

قال: فبكيت عند ذلك، وبكت أم كلثوم، وكانت قاعدة عنده، فقال لها: ما يبكيك يا بنية؟!

---

(1) التاريخ الكبير ج2 ص363 وتعجيل المنفعة ص117 كلاهما عن خالد بن جابر عن أبيه.

(2) مناقب آل أبي طالب ج3 ص307 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص91 وبحار الأنوار ج42 ص199 والأنوار البهية ص73.

فقالت: ذكرت يا أبة أنك تفارقنا الساعة فبكيت.

فقال لها: يا بنية لا تبكين، فوالله لو ترين ما يرى أبوك ما بكيت.

قال حبيب: فقلت له: وما الذي ترى يا أمير المؤمنين؟!

فقال: يا حبيب، أرى ملائكة السماوات، والنبيين، بعضهم في أثر بعض وقوفاً إلى أن يتلقوني. وهذا أخي محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» جالس عندي يقول: أقدم؛ فإن أمامك خير لك مما أنت فيه.

قال: فما خرجت من عنده حتى توفي «عليه السلام»(1).

وعن أسماء بنت عميس: إنا لعند علي بن أبي طالب «عليه السلام» بعدما ضربه ابن ملجم، إذ شهق شهقة، ثم أغمي عليه، ثم أفاق، فقال: مرحباً، مرحباً، الحمد لله الذي صدقنا وعده، وأورثنا الجنة.

---

(1) الأمالي للصدوق ص396 و 397 وروضة الواعظين ص154 و (منشورات الشريف الرضي) ص138 ومدينة المعاجز ج3 ص50 و 51 وراجع: إثبات الوصية ص164 وأسد الغابة ج4 ص114 وشرح الأخبار ج2 ص434 عن عمر بن زمر. وراجع: الخرائج والجرائح ج1 ص178 وعيون المعجزات ص49 وبحار الأنوار ج42 ص201 و 223 ونهج السعادة ج7 ص128 وغاية المرام ج5 ص121 وينابيع المودة ج2 ص31 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج18 ص200 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص266.

فقيل له: ما ترى؟!

قال: هذا رسول الله، وأخي جعفر، وعمي حمزة، وأبواب السماء مفتحة، والملائكة ينزلون يسلمون علي ويبشرون، وهذه فاطمة قد طاف بها وصائفها من الحور، وهذه منازلي في الجنة، لمثل هذا فليعمل العاملون(1).

ونقول:

لاحظ ما يلي:

أنا مفارقكم الساعة:

تقول رواية حبيب بن عمرو: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال له: «أنا ـ والله ـ مفارقكم الساعة». مع أن حبيباً قال له: «ما جرحك هذا بشيء، وما بك من بأس».

ونقول:

1 ـ إنه «عليه السلام» يخبرهم عن لحظة موته، مقسماً على ذلك بالله تعالى، لكي يروا صدق ما يخبرهم به، ويكون موته بعد ساعة دليلاً آخر على معرفته اليقينية بساعة موته، ويقينه أيضاً بما يرى ويعاين.

---

(1) ربيع الأبرار ج4 ص208 و (ط الأعلمي) ج5 ص156 والمستطرف في كل فن مستظرف ج2 ص851.

ولو كان ذلك منه مجرد توقعات وظنون، وحدسيات، واجتهاد، ورأي، أو نتيجة لرؤيته إمارات معينة، أو لشدة ما يقاسيه من آلام لم يكن له أن يقسم بالله تعالى على ذلك. ولكان أقحم في طيات كلامه كلمة أظن، أو أرى، أو نحو ذلك.

2 ـ وقد يظن ظان: أن هذه المعرفة بساعة موته قد حصلت له «عليه السلام» في تلك الساعة، فقد سمع عن بعض أهل الإيمان مثل هذه الأخبار قبيل موتهم، فلعلهم يُخْبَرُونَ في تلك الساعة، أو يغلب هذا على ظنهم، لإمارات يرونها، يخصهم الله تعالى بها، لكي يتهيأوا للموت، فيوصون بما يرون ضرورة الوصية به، وذلك من ألطاف الله تعالى بهم، ومحبته لهم.

وقد يقول آخرون: بل هذا منه «عليه السلام» من مفردات الغيوب التي هي من شؤون إمامته «عليه السلام».

ويدل على ذلك: إخباراته لهم بليلة وفاته، وبأنه سوف يتعرض لما تعرض له في ساعات الصباح الأولى، وإخباره بقاتله، وبغير ذلك.

ويشهد لذلك أيضاً: رؤيته الأنبياء والملائكة، ورسول الله «صلى الله عليه وآله»، وجعفراً، والزهراء «عليها السلام».. وأبواب السماء المفتحة، وكلامهم معه، وتهيؤهم لاستقباله، قبل ساعة من موته.

وهذا من خصوصياته كإمام. إذ لم نعهد أحداً من المؤمنين جرى له مثل ذلك قبيل موته على هذا النحو..

وأياً ما كان الأمر، فإن هذا من موجبات سعادة أوليائه، وكبت وخزي أعدائه «صلوات الله وسلامه عليه».

حديث الهواتف والوفاة:

قال ابن أعثم:

فلما كان يوم السابع والعشرين من شهر رمضان خرجت أم كلثوم إلى عند أبيها، فقال لها علي: أي بنية! أخفي[1] عليك الباب، ففعلت ذلك.

قال الحسن: وكنت جالساً على باب البيت، فسمعت هاتفاً وهو يقول: (**أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آَمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[2].

قال: وسمعت هاتفاً آخر وهو يقول: توفي النبي «صلى الله عليه وآله»، وتوفي أبو بكر، وعمر فقد قتل، وعثمان قتل، والآن قد قتل علي بن أبي طالب، إذا تضعضع ركن الإسلام.

قال الحسن: فلم أصبر أن فتحت الباب ودخلت، فإذا أبي فارق الدنيا[3].

ونقول:

لا شك في عدم صحة هذا الكلام..

---

(1) لعل الصحيح: أجيفي. أي أغلقي، والتصحيف من الناسخ.

(2) الآية 40 من سورة فصلت.

(3) الفتوح لابن أعثم ج4 ص281.

فأولاً: تقدم عن حبيب بن عمرو: أنه دخل على أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولم يخرج من عنده حتى توفي، فكيف تدَّعي هذه الرواية أنه حين قبض كان وحده داخل البيت(1).

كما أن زوجته أسماء بنت عميس كانت عنده كما صرحت به الرواية(2)، وإنما يحضرون عند الميت عند احتضاره.

ثانياً: لماذا تضعضع ركن الإسلام بموت أبي بكر وعمر وعثمان، وهم ليسوا من الأنبياء، ولا من أوصيائهم، بل إن أحدهم (وهو عثمان) ثار عليه صحابة الرسول، وقصده الناس من مختلف الأمصار وقتلوه، وكانت عائشة تأمر الناس بقتله. فلماذا يتضعضع ركن الإسلام بقتله؟!

وكيف تضعضع ركن الإسلام بموت أشخاص كانوا مختلفين فيما بينهم أشد اختلاف، ويرى علي «عليه السلام» أنهم جميعاً قد خالفوا نص الرسول، ونص القرآن في أخذ الخلافة منه، وغصبوا حقه، وقد ماتت الزهراء وهي غاضبة ومهاجرة لاثنين منهم.

وقد رووا: أن ما يغضب الزهراء «عليها السلام» يغضب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومن ثم فهو يغضب الله تعالى..

---

(1) ذكرنا الرواية ومصادرها في العنوان السابق.

(2) ربيع الأبرار ج4 ص208 والمستطرف في كل فن مستظرف ج2 ص851.

كما أن علياً «عليه السلام» سئل عن قتل عثمان، فقال: إن قتله لم يسؤه، ولم يسره، فكيف لا يسوؤه قتل من يتضعضع بقتله ركن الإسلام حسب زعمهم؟!

ثالثاً: لماذا كان علي «عليه السلام» وحده حين دخلت عليه أم كلثوم؟!

وأين كان عنه أولاده: الإمام الحسن، والإمام الحسين «عليهما السلام»، ومحمد ابن الحنفية، ومحمد بن علي، وأبو بكر بن علي، وعثمان، والعباس، وعمر الأطرف، وسائر أبنائه، وبناته.. فضلاً عن زوجاته وولائده، وأخيه عقيل؟! وأين أبناؤهم، وسائر أقربائه؟!

ولماذا خرجوا كلهم عنه، وتركوه وحده حتى دخلت عليه أم كلثوم، وأصدر إليها أمره بإجافة الباب؟!

وما معنى جلوس الإمام الحسن «عليه السلام» على باب البيت؟!

وإن كان باب البيت يفتح على الطريق، فهو جلوس منهي عنه، ولا يمكن أن يفعله الإمام «عليه السلام». بل لقد نهاه عنه أبوه في وصيته، فقال: «وإياك والجلوس في الطرقات»(1). وقد روي مثله

(1) الأمالي للمفيد ص220 والأمالي للطوسي ص7 و 8 وراجع الوصية في: الفصول المهمة ص133. ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة)ج3 ص156 وج4 ص167 وبحار الأنوار ج42 ص202 وج72 ص465 وج75 ص98 ومستدرك سفينة البحار ج2 ص75 وج6 ص523

عن النبي «صلى الله عليه وآله»(1).

رابعاً: يضاف إلى ذلك: تصريح الرواية: بأن ذلك كان في اليوم السابع والعشرين.. وهذا غير دقيق، فإن الرواية المعتبرة تقول: إنه «عليه السلام» استشهد ليلة إحدى وعشرين، لا في السابع والعشرين.

وتقول أيضاً: إنه استشهد ليلاً لا نهاراً.

وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج8 ص465 وج10 ص136 وميزان الحكمة ج1 ص397 ونهج السعادة ج8 ص137 وكشف الغمة ج2 ص158 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص620.

(1) سبل السلام ج4 ص205 ونيل الأوطار ج6 ص59 والمجموع للنووي ج15 ص226 ومسند أحمد ج3 ص36 وصحيح مسلم ج6 ص165 وشرح صحيح مسلم للنووي ج14 ص102 ومقدمة فتح الباري ص401 ومنتخب مسند عبد بن حميد ص297 والأدب المفرد للبخاري ص245 ومسند أبي يعلى ج2 ص442 وصحيح ابن حبان ج2 ص356 ورياض الصالحين ص151 و 641 والعهود المحمدية ص884 وسبل الهدى والرشاد ج9 ص315.

الفصل الثالث:

وقفات أخرى مع
حديث الإستتشهاد

بداية:

إن لنا وقفات مع النصوص التي تقدمت في الفصل السابق نضيفها إلى الوقفات التي سلفت.

فهذا الفصل إذن، مرتبط بسابقه، من حيث هو شرح، أو بحث حول المنضامين التي وردت فيه، فليلاحظ القارئ ذلك، وعلى هذا الأساس نقول:

لا ضرورة للبحث:

إن بعض النصوص التي تقدمت في الفصل السابق تدل على أنه قد ضربه قبل أن يركع ويسجد السجدة الأولى، مع أن المعروف والمتداول، وسيأتي، ولعله تقدم أيضاً، هو: أنه قد ضربه بعد رفع رأسه من السجدة الأولى.

ولا نريد أن نرهق القارئ بالنصوص الدالة على ذلك هنا.

ثم إننا لا نريد أن نبحث حول من صلى بالناس، بعد أن ضرب

علي «عليه السلام»، هل هو جعدة بن هبيرة، ابن أم هانئ أخت الإمام «عليه السلام»، أو الإمام الحسن «عليه السلام».

ولا نريد أن نبحث أيضاً في اسم عاقر الناقة، هل هو قذاز، أم قدار، أو مصدع، وأخوه ذؤاب؟!(1).

سبع.. وتسع:

إن كلمة سبع تشبه كلمة «تسع» في الرسم، وإنما يفرق بينهما في النقط ومواضعه.. وما أكثر ما يقع التصحيف بين الكلمتين.

ويبدو لنا: أن هذا المورد هو من هذه الموارد، فكلمة سبع عشرة قد تكون تصحيفاً لكلمة تسع عشرة.

كما أن كلمة قتل في يوم كذا في كلمات المؤرخين قد يقصد بها

---

(1) راجع: الجامع لأحكام القرآن ج7 ص241 وج13 ص215 وراجع: نور الثقلين ج5 ص586 وتفسير السمرقندي ج2 ص586 وج3 ص563 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة العلمية) ج3 ص93 وبحار الأنوار ج42 ص237 ومستدرك سفينة البحار ج9 ص228 وفيض القدير ج1 ص671 ومجمع البيان ج10 ص371 وتفسير مقاتل ج3 ص489 وجامع البيان ج27 ص135 والتفسير الكبير للرازي ج31 ص195 والتسهيل لعلوم التنزيل ج4 ص81 وتفسير القرآن العظيم ج4 ص284 وفتح القدير ج2 ص220 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج1 ص160 وتفسير السمرقندي ج2 ص58.

أنه ضرب تلك الضربة التي أدت إلى قتله.. وقد يقصد بها يوم مفارقة روحه جسده.

وملاحظة هذين الأمرين توجب تقليل الأقوال التي تنسب إلى المؤرخين.

مات في نفس اليوم:

وهناك قول قلما أشير إليه في كلماتهم، وهو ما ذهب إليه الليث بن سعد، من أنه «عليه السلام» مات في نفس اليوم الذي ضرب فيه[1].

ليلة ثلاث وعشرين:

ثم إنه لا مجال لقبول قول ابن أعثم: إن ابن ملجم ضرب علياً «عليه السلام» ليلة ثلاث وعشرين، وأنه استشهد بعد أيام من ذلك، فإن الصحيح: هو أنه ضربه ليلة تسع عشرة، واستشهد في الحادي والعشرين من شهر رمضان.. وهذا هو المعتمد عند العلماء.

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج42 ص557 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص238 عن: فضائل الصحابة لابن حنبل ج2 ص558 والرياض النضرة ج3 ص236 وذخائر العقبى ص114 ونهج السعادة ج7 ص127 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص782 وج18 ص250 عن مناقب العشرة للنقشبندي (مخطوط) ص4 وفيها «دهش» بدل «دهس».

جعدة صلى بالناس:

عن عمر بن عبد الرحمن بن نفيع بن جعدة بن هبيرة: أنه لما ضرب ابن ملجم علياً «عليه السلام» وهو في الصلاة تأخر فدفع في ظهر جعدة بن هبيرة فصلى بالناس[1].

ولما ضربه ابن ملجم قال «عليه السلام»: فزت ورب الكعبة[2].

ابن ملجم يشرب الخمر:

ويذكرون: أن ابن ملجم قد بات في منزل قطام، وكان قد تناول

---

(1) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص239 عن مقتل أمير المؤمنين ص30. وراجع: المناقب للخوارزمي ص383 وشرح الأخبار ج2 ص440 ونهج السعادة ج7 ص116 والمعجم الكبير ج1 ص99 ومجمع الزوائد ج9 ص141 وراجع: الكامل في التاريخ ج3 ص390.

(2) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص239 و 240 عن المصادر التالية: خصائص الأئمة ص63 وأنساب الأشراف ج3 ص259 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص561 وأسد الغابة ج4 ص114 كلاهما عن شيخ من قريش، والكامل في الأدب ج3 ص1118 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص207 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص312 عن محمد بن حنيف؛ والإستيعاب ج3 ص219 نحوه. والإمامة والسياسة ج1 ص180 .

وراجع: ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق (تحقيق المحمودي) ج3 ص303 ومقتل أمير المؤمنين «عليه السلام» لابن أبي الدنيا (مطبوع في مجلة تراثنا) السنة الثالثة عدد 3 ص96 .

نبيذاً تلك الليلة(1).

وفي نص آخر: أنها سقته الخمر العكبري، وأن رفيق ابن ملجم نام، لكن ابن ملجم تمتع بها(2).

وهذا دليل آخر على أن الخوارج كانوا أهل دنيا، وأن تظاهرهم بالدين للرياء، والسمعة. وقد ذكرنا في كتابنا: علي والخوارج شواهد كثيرة جداً على هذا الأمر، وأنهم كانوا يمارسون الزنا والدعارة، وشرب الخمر، وغير ذلك.

جرأة ابن ملجم على الحرمات:

ورد في الشرع: أن لشهر رمضان حرمته، وللمسجد حرمته، وللمؤمن حرمته، وللإمام حرمته، وللعالم حرمته، وللصائم، وللإسلام، وللقرآن الخ..

وإذا رجعنا إلى موضوع البحث، فإننا نلاحظ: أن الحرمات الكبرى كلها قد اجتمعت لأمير المؤمنين «عليه السلام»، وأنها كلها قد انتهكت في قتله صلوات الله وسلامه عليه.

فهو وباختصار ـ أسأل الله أن لا يكون مخلاً بالمقصود ـ إذا كان

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج4 ص278 وراجع 554.

(2) مناقب آل أبي طالب (المطبعة العلمية) ج3 ص311 و (ط المكتبة الحيدرية)ج 3 ص95 وبحار الأنوار ج42 ص239 ومستدرك سفينة البحار ج9 ص228 ونهج السعادة ج7 ص110.

لا يجوز ترك نصرة المرأة المعاهدة التي ليست بمسلمة. بل هي في موقع المحارب الذي ألزم بترك الحرب لمدة من الزمن.. مع أن العدوان عليها اقتصر على أخذ حجلها وقلبها ورعاثها.. حتى لقد قال سيد الأوصياء: لو أن امرأً مسلماً مات من هذا أسفاً لما كان ملوماً. بل كان به جديراً. ـ إذا كان الأمر كذلك ـ فما بالك بالعدوان على من اجتمعت فيه الحرمات الكبرى كلها، فهو:

ـ إنسان. أي له حرمته الإنسانية.

ـ وهو مسلم.

ـ وهو إمام منصوب من الله ورسوله، ومعصوم.

ـ وعالم، بل أعلم أهل الأرض، وأعلم من خلقه الله بعد رسول الله محمد «صلى الله عليه وآله».

ـ ووصي خاتم الأنبياء. بل هو سيد الأوصياء.

ـ ونفس رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ـ أفضل الخلق بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ـ في شهر رمضان.

ـ وهو صائم.

ـ في حال الصلاة. وخصوصاً بعد أن رفع رأسه من سجوده لله.

ـ في مسجد.

ـ مسجد ليس كسائر المساجد. أحد أربع مساجد هي الأفضل في

الأرض، وهي التي يخير الإنسان فيها بين إتمام الصلاة الرباعية في السفر وبين قصرها.

ـ هو قسيم الجنة والنار، والساقي على حوض الكوثر يوم القيامة.

ـ زوج الزهراء «عليها السلام»، وأبو السبطين: الحسن والحسين «عليهما السلام».

ـ خليفة المسلمين، وله في عنق قاتله بيعة.

ـ و هو القرآن الناطق، فله حرمة القرآن.

ـ ضرب في ليلة القدر الأولى التي يكتب فيها القضاء، واستشهد في ليلة القدر الثانية التي يقضى فيها القضاء.

إلى آخر ما هنالك من حرمات اجتمعت له وفيه «عليه السلام» من خلال ما اتصف به من عناوين استحقها بجهده، وجهاده، وبغير ذلك من أسباب.

وقد انتهكها كلها ابن ملجم، وكل من ساعده، ومالأه، ورضي بفعله، وشمت، ورضي بما جرى له «عليه السلام».

يخاف أن يكون أشقى الآخرين:

وقد دلنا قول ابن ملجم: «ما أخوفني من أن أكون هذا الرجل». يعني أشقى الآخرين. يعطي: أنه لم يقدم على ما أقدم عليه لقناعة تكونت لديه باستحقاق أمير المؤمنين «عليه السلام» للقتل.. وهي تدل على تردده وشكه، بل تدل على ظنه بأنه في دائرة الضلال، الذي

يجعله أشقى الآخرين.

وهذا يحتم عليه الإحجام عن القتل، لا المسارعة إليه، ويدل على أن مناداته بشعار الخوارج كانت انسياقاً مع الهوى والعصبية، وانقياداً لتسويلات شيطانية..

والعقل يحتم في مثل هذا المورد التوقف ومراجعة الحسابات، والتبصر يظهر له الحق..

فإقدام ابن ملجم على ارتكاب تلك الجريمة ما هو إلا دليل خبث وسوء سريرة، وخذلان، وإمعان في البغي والطغيان، وانقياد للهوى، وطاعة للشيطان.

وقد روى ابن عباس: أن ابن ملجم من ولد قدار عاقر ناقة صالح، وقصتهما واحدة، لأن قدار عشق امرأة يقال لها: رباب. كما عشق ابن ملجم قطاماً(1).

فزت ورب الكعبة:

وقد تحدثنا في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم ـ ولو بإيجاز ـ عن كلمة: فزت ورب الكعبة، فيمكن الرجوع إليه.

ونكتفي هنا بما يلي:

---

(1) راجع: مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص93 وبحار الأنوار ج42 ص237 ومستدرك سفينة البحار ج9 ص228 والبرهان في تفسير القرآن ج5 ص673.

إن فوز الإنسان يكون بأحد أمرين:

1 ـ إما بأن ينجو من مكروه يخشاه.

2 ـ أو يظفر بمطلوب ومحبوب يسعى إليه.

وهذا بالذات بكلا شقيه هو ما ألمح إليه علي «عليه السلام» بقوله: فزت ورب الكعبة.. فإنه عرف أنه قد تخلص من مكروه الدنيا، وما يواجهه منها من متاعب ومصائب ومصاعب. وظفر بالشهادة التي كان يطلبها. ويتمناها منذ حرب أُحد حسبما تقدم..

لأنه «عليه السلام» كان يلذُّ له أن يشرب نفس الكأس الذي كان يغبط غيره على تجرعه، وبلوغ غاياتهم فيه..

لأنه كان «عليه السلام» يعلم أن نيل مقام الشهادة نعمة إلهية، وكرامة ربانية، وجائزة غالية وسنية، وبشرى عزيزة بمقامات عليَّة.

والفرحة المتفجرة من قلبه العامر بحب الله هي التي أطلقت هذه الصرخة التي أعلنت فوزه «عليه السلام» بهذا المقام الجليل: «فزت ورب الكعبة». ولكن فرحة علي «عليه السلام» لم تكتمل، لأن كمالها إنما يكون برؤيته أهدافه وأمانيه في ثمرات جهاده في سبيل الله قد أينعت وأصبحت إسلاماً قوياً مكتملاً متنامياً، ليكون شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

وبما أن هذا لم يحصل في زمانه «عليه السلام». فقد سقى بدمه تلك الشجرة التي غرسها الأنبياء من لدن آدم، وإلى النبي الخاتم «صلى الله عليه وآله»، وهو يتوقع لها أن تنتشر فروعها وأغصانها

على البسيطة كلها، لتظللها أفياؤها، وتغذيها ثمارها، وتصدح في أنحاء هذا الوجود أطيارها.

وسيرجعه الله تعالى حين يورث الله الأرض عباده الصالحون. ليشارك المؤمنين فرحتهم بنصر الله تعالى لهم.. ليرى بأم عينيه خزي واندحار الباطل وأهله، حيث يريهم الله بعض ما كان يعدهم به.. **(وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)(1)**.

شراكة الخوارج:

وبعد.. فإن ابن ملجم كان خارجياً، ولقد قتل علياً «عليه السلام»، وذكرت النصوص: أن آخرين من الخوارج قد شاركوه في ذلك، كما سترى.

ولقد مدح عمران بن حطان ـ الذي يروي عنه البخاري!! ولا يروي عن الإمام الصادق «عليه السلام» ـ ابن ملجم «لعنه الله» لقتله علياً «عليه السلام» بقصيدة ذكر المسعودي شطراً كبيراً منها، ويقول فيها:

يا ضربة من تقي ما أراد بها   إلا ليبلغ من ذي العرش
إني لأذكره حيناً فأحسبه   أوفى البرية عند الله ميزاناً
أكرم بقوم بطون الأرض   لم يخلطوا دينهم بغياً وعدوانا

(1) الآية 33 من سورة القلم، والآية 26 من سورة الزمر.

لله در المـرادي الـذي سـفكت كفاه مهجة شـر الخـلق إنسانا
أمسـى عشـية عشـاه بضـربته مما جنـاه مـن الآثـام عريانـا(1)

وكان الخوارج يفتخرون بقتلهم سيد الوصيين، فقد قال: ابن أبي مياس [أياس] المرادي:

ونحن ضربنا يا لك الخير حيدراً أبـا حسن مـأمـومة فتفـطرا
ونحـن خلعنـا ملكـه مـن نظامـه بضـربة سيف إذ عـلا وتجـبرا
ونحـن كـرام فـي الصباح أعزة إذا المـوت بـالموت ارتـدى

مشاركة الاشعث:

وهناك نصوص تشير إلى أن للأشعث بن قيس دوراً في هذه الجريمة.. فقد يكون ذلك بمبادرة منه، حيث علم بعزم الخوارج على ارتكاب هذه الجريمة في وقت متأخر، فوافقهم عليها، وشجعهم، وشد

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص93 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص588 وحياة الحيوان الكبرى ج1 ص56 وأعيان الشيعة ج1 ص534 والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج1 ص216 وراجع: كتابنا علي والخوارج.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص119 والأبيات في المؤتلف والمختلف للمرزباني ص186 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص150 و (ط الأعلمي) ج4 ص115 والكامل في التاريخ ج3 ص394 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج7 ص364.

على أيديهم، وتكتم عليهم. وربما شاركهم بالمراقبة، والتسديد.. وربما يكون قد أخبر معاوية بالأمر، ونسق ودبر معه.. ولا سيما إذا كان ابن ملجم قد بقي شهراً عنده يشحذ سيفه كما سنرى في النصوص التالية..

إننا، وإن لم نستطع الجزم بمعرفة معاوية بالأمر، لأن المطلوب كان هو التكتم الشديد، ولكننا نعرف أن الأشعث إنما يدبر الأمر لصالح معاوية، وكرهاً بعلي «عليه السلام»..

ومهما يكن من أمر، فإن ثمة نصوصاً تشير إلى ممالأة وتشجيع الأشعث لابن ملجم، بل وربما شارك في الأمر بالنحو الذي يتناسب مع الواقع القائم آنذاك.

ونذكر منها:

1 ـ ما تقدم، من أن ابن ملجم قد بقي في بيت الأشعث شهراً يستحد سيفه(1).

2 ـ نقل ابن أبي الدنيا عن أستاذ عبد الغفار أنه قال: «سمعت غير واحد يذكر أن ابن ملجم بات عند الأشعث بن قيس، فلما أسحر جعل يقول له: أصبحت»(2).

3 ـ قالوا: وظل عبد الرحمن ـ يعني ابن ملجم ـ تلك الليلة التي

---

(1) تاريخ اليعقوبي ج2 ص212 ونهج السعادة ج2 ص708 و 709.

(2) راجع: عن مجلة تراثنا, العدد الثالث, السنة الثالثة, رجب 1408هـ. وراجع: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» ج7 ص223.

عزم فيها أن يقتل علياً في صبيحتها يناجي الأشعث بن قيس الكندي في مسجده، حتى كاد يطلع الفجر، فقال له الأشعث: فضحك الصبح.

فقام عبد الرحمن بن ملجم، وشبيب بن بجرة، فأخذا أسيافهما ثم جاءا حتى جلسا مقابل السدة التي يخرج منها علي..

ثم يذكر دخول علي «عليه السلام»، وصار يوقظ الناس، فاعترضه الرجلان، فضرباه، فوقع سيف شبيب بن بجرة في الطاق، وسيف عبد الرحمن أصاب جبهته إلى قرنه..

فقال «عليه السلام»: لا يفوتنكم الرجل، فأفلت شبيب، وأخذ عبد الرحمن بن ملجم.

وبعث الأشعث بن قيس ابنه قيس بن الأشعث صبيحة ضرب علي، فقال: أي بني! انظر كيف أصبح أمير المؤمنين.

فذهب فنظر إليه ثم رجع، فقال: رأيته عينيه داخلتين في رأسه.

فقال الأشعث: عيني دميغ، ورب الكعبة[1].

4 - كان حجر بن عدي تلك الليلة بائتاً في المسجد، فسمع الأشعث يقول لابن ملجم «النجاء، النجاء لحاجتك، فقد فضحك الصبح»، فأوجس حجر بما أراد الأشعث، فقال له: «قتلته يا أعور».

---

(1) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج42 ص559 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص35 ـ 39 وأسد الغابة ج4 ص37 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص608 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص633.

فخرج من المسجد ليُحَذِّر علياً «عليه السلام»، ويخبره بالأمر، ولكن الإمام دخل إلى المسجد من باب آخر، وضربه الخبيث، ولم يدركه حجر بن عدي(1).

معاوية لم يكن بعيداً:

ولا نستطيع أن نستبعد معاوية عن موضوع قتل علي «عليه السلام»، فقد رأينا أبا ألأسود الدؤلي ـ وهو كان معاصراً لما يجري ـ قد وجه أصابع الإتهام لمعاوية، فقد قال:

ألا أبلــغ معاويـــة بـــن حـــرب　　فـــلا قـــرت عيـــون الشـــامتينا

أفـي الشـهر الحـرام فجعتمونـا　　بخيـر النـاس طـراً أجمعينــا

قتلـتم خيـر مـن ركـب المطايـا　　وأكـرمهم ومـن ركـب السـفينا

إلى أن قال:

إذا اسـتقبلت وجـه أبـى حسـين　　رأيــت البــدر راع الناظرينــا(2)

---

(1) الإرشاد ج1 ص19 وروضة الواعظين ص149 وإعلام الورى ج1 ص390 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص312 ومروج الذهب ج2 ص411 ـ 419.

(2) روضة الواعظين ص137 والأربعون حديثاً لابن بابويه ص92 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص315 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص98 وقضايا في التاريخ الإسلامي ص85 وتاريخ الدولة العربية ص98 و 99 وبحار الأنوار ج42 ص120 و 299 وشجرة طوبى ج1 ص104 ونهج السعادة

لماذا لم يحترز من قاتله؟!:

بقي سؤال يقول: لماذا لم يحترز علي «عليه السلام» عن قاتله، إذا كان يعلم أنه مقتول في تلك الليلة؟!

ونجيب:

بأننا قلنا مراراً وتكراراً: إن الإمام والنبي إذا علم بأمر عن طريق غير عادي لم يجز له أن يرتب على علمه هذا الأحكام التي شرعها الله تعالى لتطبق على الناس، لأن ترتيبها مشروط بالعلم بموضوعاتها بالطرق الميسورة لجميع البشر، فمثلاً لو علم النبي «صلى الله عليه وآله» بأن فلاناً قد سرق أو قتل، فليس له أن يقطع يده، أو أن يقتله إلا أن يراه بنفسه، أو يثبت له الجرم بالإقرار، أو بالبينة.

ولعل هذا هو السبب في أنه «عليه السلام» لم يغير عادته في التعامل مع ابن ملجم، ولم يكن يرضى بإلحاق أي أذى به، ولكن لو أقر ابن ملجم له، أو لأحد من الناس بفعل ما، أو شوهد وهو يباشر

ج8 ص511 ومجمع الزوائد ج9 ص144 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص1132 وأسد الغابة ج4 ص39 و 40 وأنساب الأشراف (ط الأعلمي) ص508 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص116 والكامل في التاريخ ج3 ص395 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص636 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص106.

القيام به، فيجب عليه حينئذٍ أن يتعامل معه بمقدار ما تثبته وتدل عليه تلك الأقارير، أو الشهادات، أو الحركات والتصرفات.

ولهذا الأمر حكمة بالغة، فإنه لو قضى أحد الأنبياء، أو الأوصياء على أحد من الناس بعلمه، ومن دون بينة، أو يمين، أو إقرار، أو استند إلى رواية له عن جبرئيل، أو عن الرسول لوجدت الحكام والفجار يقتلون الناس، وكل من أوجسوا منه خيفة، أو أبغضوه، بحجة أنهم قد علموا بجرائمهم بطرقهم الخاصة حتى لو كانت هي التنجيم والمنام، والإلهام، والشعوذة، والسحر، وهواتف الجان، وغير ذلك مما يبتدعونه ويخترعونه، ويعتبرون أنه يوجب لهم اليقين.

ولئن ادعى قائل: أن الإمام أو النبي وإن كان لا يجوز له أن يقطع السارق، أو يقتل القاتل إلا إذا علم بالأمر بالطرق العادية، ولكن ذلك لا يمنع من أن يستفيد من علمه هذا لاستدراج القاتل أو السارق إلى الإقرار بجرمه.

كما أنه لو علم عن طريق الغيب، كالوحي، أو الإلهام، أو الخبر الغيبي: أن فلاناً يدبر لقتله ـ فلا يمنع ـ من أن يحتاط لنفسه، ويفوت الفرصة على المتآمر. ولاسيما إذا كان علمه هذا مأخوذاً من لوح المحو والإثبات الذي لا يمنع من حصول البداء.

وانطلاقاً من ذلك نقول: لعل علياً «عليه السلام» عرف بالخبر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بيوم أو ساعة موته.. وعلم بمن سيقتله.. فإن عرف أن الأمر يرجع إليه، وكان اختيار الشهادة هو

الأفضل له، فإن المفروض به أن يختار هو الشهادة، لأنها ترفع من مقامه عند الله سبحانه.

وهذا ما حصل بالفعل بالنسبة لعلي «عليه السلام»، فقد روي عن الإمام الرضا «عليه السلام» قوله: إنه «عليه السلام» «خُيِّر في تلك الليلة، لتمضي مقادير الله عز وجل»[1].

وهذا ما أشار إليه الشيخ المفيد بقوله: «..لا يمتنع أن يتعبده الله بالصبر على الشهادة، والاستسلام للقتل، ليبلغه الله بذلك من علو الدرجات ما لا يبلغه إلا به، ولعلمه تعالى بأنه يطيعه في ذلك طاعة لو كلفها سواه لم يؤدها، ويكون في المعلوم من اللطف بهذا التكليف لخلق من الناس ما لا يقوم مقامه غيره، فلا يكون بذلك أمير المؤمنين «عليه السلام» ملقياً بيده إلى التهلكة، ولا معيناً على نفسه معونة مستقبحة في العقول[2].

وليكن هذا من قبيل تكليف إبراهيم «عليه السلام» بذبح ولده إسماعيل «عليه السلام»، وتكليف إسماعيل بطاعة أبيه.

---

(1) الكافي ج1 ص259 وبحار الأنوار ج42 ص246 ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج1 ص112 ونور الثقلين ج1 ص180 وج4 ص20 وتفسير كنز الدقائق ج1 ص458 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص243.

(2) المسائل العكبرية ص70 وبحار الأنوار ج42 ص258 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص245.

علي × يدل على قاتله:

قال ابن أعثم:

ثم احتُمِل علي إلى صحن المسجد، وأحدق الناس به، فقالوا: من فعل هذا بك يا أمير المؤمنين؟!

فقال: لا تعجلوا، فإن الذي فعل بي هذا سيدخل عليكم الساعة من هذا الباب.. وأومأ بيده إلى بعض الأبواب.

قال: فخرج رجل من عبد القيس في ذلك الباب، فإذا هو بابن ملجم، وقد سدت عليه المذاهب، فليس يدري إلى أين يهرب، فضرب العبدي بيده إليه ثم قال: ويحك لعلك ضارب أمير المؤمنين؟!

فأراد أن يقول لا، فقال: نعم.

فكببه[1] وأدخله المسجد، فجعل الناس يلطمونه من كل ناحية حتى أقعدوه بين يدي علي.

فقال له: أخا مراد! بئس الأمير كنت لك؟!

قال: لا، يا أمير المؤمنين.

قال: ويحك! ما حملك على أن فعلت ما فعلت، وأيتمت أولادي من بعدي؟!

قال: فسكت المرادي ولم يقل شيئاً.

---

(1) لعل الصحيح: فلبَّبه. أي أخذ بتلابيبه.

فقال علي رضي الله عنه: **(وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا)**[1]»[2].

ونقول:

لا نريد أن نبحث حول الشخص الذي أخذ ابن ملجم، هل هو العبدي؟! أم هو قثم بن العباس، الذي احتمله فضرب به الأرض؟![3].

أم هو المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، الذي تلقاه بقطيفته فرمى بها عليه، ثم احتمله فضرب به الأرض؟![4].

أي الحادثتين إذن؟!:

وذكر ابن أعثم:

أن الذي أخذ ابن ملجم: رجل من عبد القيس، وأنه وجده متحيراً، فسأله إن كان هو قاتل علي «عليه السلام»، فأراد أن يقول: لا، فقال:

---

(1) الآية 38 من سورة الأحزاب.

(2) الفتوح لابن أعثم ج4 ص278 و 279.

(3) راجع: تاريخ اليعقوبي ج2 ص212 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص237 عنه، والدر النظيم ص414.

(4) الكامل في الأدب ج3 ص1119 والدرجات الرفيعة ص187 وأسد الغابة ج4 ص408 والإصابة ج6 ص159 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج4 ص1448 وحياة الحيوان الكبرى ج1 ص74 وتاريخ الإسلام للذهبي ج4 ص124 وسبل الهدى والرشاد ج11 ص138 والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص115 والأعلام للزركلي ج3 ص339 وراجع: تاريخ اليعقوبي ج2 ص212.

نعم.

ونقول:

1 - الظاهر: أن هذا من خطأ رواة ابن أعثم، فإن أمير المؤمنين «عليه السلام» أخبرهم أن ابن ملجم سوف يدخل عليهم الساعة من هذا الباب، وأشار إلى باب بعينه.

وظاهر كلامه «عليه السلام»: أن دخوله عليهم سيكون بفعل منه، وبسبب تحيره، وسوء اختياره. فيكون كالساعي إلى حتفه بظلفه.

وظاهر كلام ابن أعثم في تقرير ما جرى: أن العبدي قد خرج إليه من ذلك الباب بعد سماعه كلام أمير المؤمنين «عليه السلام»، فوجد ابن ملجم متحيراً.

فلعله هناك من حرَّف وتصرَّف في بيان كيفية ما جرى..

يضاف إلى ذلك: قول ابن شهرآشوب: إن شبيب بن بجرة كان قد ضرب علياً «عليه السلام» فأخطأه، ووقعت ضربته في الطاق، ومضى هارباً حتى دخل منزله. ودخل عليه ابن عم له، فرآه يحل الحرير عن صدره، فقال: ما هذا؟! لعلك قتلت أمير المؤمنين؟!

فأراد أن يقول: لا. فقال: نعم.

فقتله الأزدي.

أما وردان فانسل بين الناس(1).

---

(1) مناقب آل أبي طالب ج3 ص312 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص95 ونهج

ولعل هذه الرواية هي الأقرب إلى الإعتبار والقبول.

2 ـ لعل من سيئات هذا الإشتباه العفوي ـ وربما كان متعمداً ـ هو التخفيف من وهج صدق وتحقق ما أخبر به أمير المؤمنين «عليه السلام». وتشويش الأذهان فيما يرتبط بهذه الكرامة الغيبية، التي تدل على أنه «عليه السلام» من رجال الله الذين اصطفاهم للإمامة، وحباه بعلومها. وأن قاتله مارق من الدين، مهما تظاهر بالعبادة والزهد، والخشوع والنسك.

وإنما أظهر «عليه السلام» هذه الكرامة رفقاً منه بالناس، وتحصيناً لهم من أن يؤخذوا بالمظاهر الخادعة، فلا تأخذهم بأعداء الله رهبة، ولا رأفة، ولا يتطرق الريب إلى نفوسهم في أنهم ضالون ومارقون، ومفسدون في الأرض.

السعادة ج7 ص122 وروضة الواعظين ص134 وبحار الأنوار ج42 ص230 ومقاتل الطالبيين ص21 والإرشاد ج1 ص20 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص118 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص23 وتاريخ الكوفة ص313 وكشف الغمة ج2 ص65 وإعلام الورى ج1 ص390 وراجع: المعجم الكبير ج1 ص98 ونظم درر السمطين ص144 ومروج الذهب ج2 ص412 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج4 ص111 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص90 والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج5 ص173 والمختصر في أخبار البشر ج1 ص180 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج7 ص362.

3 - إن تحير ابن ملجم، حتى لا يدري من أي باب يهرب، وأبواب المسجد شارعة أمامه، ثم اختياره نفس الباب الذي أشار إليه أمير المؤمنين «عليه السلام».. وكذلك إجابته، أو إجابة شبيب بن بجرة بما يثبت أنه هو قاتل أمير المؤمنين «عليه السلام»، أو مشارك في قتله.

إن ذلك كله، ليس بسبب حالة التشنج التي تنتاب الإنسان عادة في مثل هذه الأحوال.. بل هي كرامة صنعها الله تعالى لوليه، ووصي نبيه «صلوات الله وسلامه عليه».. حتى إذا أراد أعداء الله أن يفرحوا أو يشمتوا بقتل سيد الوصيين جاءتهم هذه الدلائل الواضحة، لتفضح زيفهم، وتدل على ضلالهم، وتزيد من عظمة أمير المؤمنين «عليه السلام» في النفوس، وتؤكد إمامته، ومقامه عند الله، وأثره في إقامة الدين، وحفظ جهود النبيين والمرسلين.

الفصل الرابع:

تفاصيل تستحق الإهتمام..

ضربه وهو يصلي:

قد يقال: إن بعض النصوص تدل على أن ابن ملجم قد هجم على أمير المؤمنين «عليه السلام» حين كان ماراً بالقرب منه، وضربه، ولم ينتظر إلى حين دخوله في الصلاة، ورفع رأسه من السجدة الأولى.. فلاحظ مثلاً ما ورد في الإرشاد للمفيد، وغيره..

ونقول:

إن كلام المفيد، وإن كان ربما يظهر منه ذلك.. ولكن تنصيص سائر الروايات على اللحظة، التي ضربه فيها اللعين، وعلى الكيفية والحالة التي كان «عليه السلام» عليها.. يجعل العدول عما هو نص صريح إلى ما هو ظاهر يمكن تأويله في غير محله، لأن قول المفيد: «فلما مر به في المسجد وهو مستخف بأمره، مماكر بإظهار النوم في جملة النيام، ثار إليه فضربه على أم رأسه بالسيف»، لا يأبى عن أن يكون المقصود منه: أنه ضربه بعد مروره وشروعه في الصلاة.. وتكون الروايات الأخرى قرينة على ذلك..

ويؤيد هذا المعنى: أن ابن ملجم ـ كغيره من الناس ـ كان أجبن من أن يقدم على علي «عليه السلام» إذا لم يكن مستغرقاً في الصلاة، منصرفاً إلى مناجاة ربه، لأنه سيبقى متوجساً من أن يفطن «عليه السلام» إلى حركته، فيعاجله باستلاب سيفه منه، وضربه به.

كما أنه سيبقى خائفاً من أن يخطئ السيف علياً «عليه السلام» في ظلام الليل، أو أن تخونه قوته وعزمه، فلا تؤثر ضربته أثرها المطلوب، فيبادر «عليه السلام» إليه، ويهجم عليه، ويفتك به..

فابن ملجم يعلم: أن اللحظة الأنسب: هي أن يتركه حتى يدخل في الصلاة، ثم يرتكب جريمته النكراء، ولن يجازف ويخاطر بنفسه قبل هذه اللحظة..

ليلة نزول القرآن:

وحول ما تقدم، من أنه «عليه السلام» قتل ليلة أنزل القرآن نقول:

هناك ثلاث ليال في شهر رمضان تسمى ليلة القدر، وهي ليلة تسع عشرة ويكون فيها التقدير، وليلة إحدى وعشرين، وفيها يكون القضاء، وليلة ثلاث وعشرين، وفيها يكون الإبرام[1].

---

(1) الكافي ج4 ص160 ومن لا يحضره الفقيه ج2 ص156 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج10 ص357 و (الإسلامية) ج7 ص261 وإقبال الأعمال للسيد ابن طاووس ج1 ص150 ومرآة العقول ج16 ص389 وموسوعة

وبذلك يعرف: أنه «عليه السلام» قد استشهد في ليلة القدر على الحقيقة، وليس في الليلة التي يحتمل أن تكون ليلة القدر..

أما نزول القرآن فيفهم من الروايات أنه كان على مراحل.

فهو قد نزل إلى البيت المعمور، ثم إلى السماء الدنيا، ثم على قلب رسول الله «صلى الله عليه وآله» دفعة واحدة، ثم صار ينزل نجوماً.. بحسب المستجدات ومقتضيات الأحوال.

وبذلك يظهر: أنه لا مانع من أن يكون كل نزول للقرآن قد حصل في ليلة من ليالي القدر.. فلا مانع من أن ينزل إلى البيت المعمور مثلاً في ليلة التقدير، وهي التاسعة عشرة، وإلى السماء الدنيا في ليلة القضاء، وهي الحادية والعشرون، وعلى قلب رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ليلة الإبرام، وهي الثالثة والعشرون.

ليلة قبض موسى، ورفع عيسى:

وليست مصادفة أن يكون «عليه السلام» قد استشهد ليلة قبض موسى، ورفع عيسى، وليلة قبض يوشع بن نون، وصي موسى.. فإن ذلك يدعونا للتذكير بوجوه الشبه الكثيرة جداً، التي ذكرناها في كتاب مستقل، ذكرنا فيه منها حوالي سبعين وجهاً بين ما جرى لأمير المؤمنين «عليه السلام»، وما جرى ليوشع بن نون.

أحاديث أهل البيت للنجفي ج2 ص211 والبرهان (تفسير) ج5 ص712 وتفسير نور الثقلين ج5 ص627.

ومن وجوه الشبه بين علي «عليه السلام» ويوشع في موضوع الإستشهاد، نذكر:

1 ـ عاش يوشع بعد موسى ثلاثين سنة. وهذه هي مدة بقاء علي «عليه السلام» بعد النبي «صلى الله عليه وآله».

2 ـ ضرب يوشع في الليلة التاسعة عشرة، وكذلك علي «عليه السلام».

3 ـ استشهد يوشع في ليلة إحدى وعشرين، وكذلك علي «عليه السلام».

4 ـ استشهد يوشع ليلاً، وكذلك علي «عليه السلام».

5 ـ ضرب واستشهد يوشع في شهر رمضان. وكذلك أمير المؤمنين «عليه السلام».

6 ـ لم يرفع حجر في الأرض ليلة قتل يوشع إلا وجد تحته دم عبيط. وكذلك ليلة قتل علي «عليه السلام».

دم عبيط تحت كل حجر:

1 ـ عن أسماء الأنصارية: ما رفع حجر بإيلياء (اسم بيت المقدس) ليلة قتل علي إلا ووجد تحته دم عبيط[1].

---

(1) المستدرك للحاكم ج3 ص155 وفرائد السمطين ج1 ص389 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص346 نحوه ،عن أبي حمزة عن الإمام الصادق «عليه السلام»، وعن سعيد بن المسيب. وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج3

2 ـ وقال عبد الملك بن مروان لابن شهاب الزهري: أتعلم ما كان في بيت المقدس صباح قتل علي بن أبي طالب؟!

فقلت: نعم.

فقال: هلم، فقمت من وراء الناس حتى أتيت خلف القبة، فحول إلي وجهه فاحنا علي فقال: ما كان؟!

فقلت: لم يرفع حجر من (في) بيت المقدس إلا وجد تحته دم.

فقال: لم يبق أحد يعلم هذا غيري وغيرك، لا يسمعن منك أحد، فما حدثت به حتى توفي[1].

زاد ابن عساكر قوله: قال البيهقي: وروي بإسناد أصح من هذا

ص77 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص765 وج33 ص235.

(1) المستدرك للحاكم ج3 ص122 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص567 و 568 وج55 ص305 والآحاد والمثاني ج1 ص152 وإمتاع الأسماع ج12 ص242 وج14 ص150 و دلائل النبوة للبيهقي ج6 ص441 وينابيع المودة ج2 ص199 وج3 ص43 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص98 والمعرفة والتاريخ ج1 ص129 وفرائد السمطين ج1 ص389 والرياض النضرة ج3 ص237 وراجع: مقتل أمير المؤمنين ص113 والمناقب للخوارزمي ص388 والفصول المهمة ص138 وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج3 ص77 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص762 وج18 ص212.

عن الزهري: أن ذلك كان في قتل الحسين(1).

3 ـ وروى في قصص الأنبياء بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: قال أبو جعفر «عليه السلام»: لما كانت الليلة التي قتل فيها علي «عليه السلام» لم يرفع عن وجه الأرض حجر إلا وجد تحته دم عبيط حتى طلع الفجر.

وكذلك كانت الليلة التي قتل فيها يوشع بن نون(2).

ونقول:

وليس هذا بالأمر المستهجن، فقد تقدم في هذا الكتاب: أن السماء أمطرت دماً يوم صفين، ويوم استشهاد الإمام الحسين «عليه السلام».

ولا غرو فإن في الكون أسراراً وعجائب لا تحصى، وللأصفياء حالات وكرامات لا تعد. فالحصى يسبح في أيديهم، والبهائم تبكي

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج42 ص568 وإمتاع الأسماع ج12 ص242 وج14 ص150 ودلائل النبوة للبيهقي ج6 ص441 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج31 ص416.

(2) بحار الأنوار ج13 ص368 وج14 ص336 وج42 ص302 وج46 ص315 وقصص الأنبياء للراوندي ص146 وقصص الأنبياء للجزائري ص473 وينابيع المودة ج3 ص43 وشجرة طوبى ج2 ص391 وكامل الزيارات ص159 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص170 ومدينة المعاجز ج3 ص69 والمستدرك للحاكم ج3 ص144 ونظم درر السمطين ص149 وإمتاع الأسماع ج12 ص242 وج14 ص150.

وتشكو إليهم، والهدهد يأتيهم بالأخبار، والجبال تخشع، والجبل يصير دكاً حين يتجلى له طرف من العظمة الإلهية. وهلم جرا.

عبد الملك يحارب فضائل علي ×:

وقد ذكر النص المتقدم: أن عبد الملك بن مروان قد حذَّر الزهري من ذكر حديث ظهور الدم تحت كل حجر في بيت المقدس حين قتل أمير المؤمنين «عليه السلام»، جحوداً منه للكرامات الإلهية، ومحاربة منه لله تعالى.

فإن الله تعالى حين صنع هذا الأمر له، إنما يريد تعريف الأمم بفضل وكرامة علي «عليه السلام» عنده، وعبد الملك يريد منع نشرها..

وقد ذكرنا بعض ما يرتبط بسياسات هؤلاء الناس في الجزء الأول من كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله».. فراجع.

ما لي ولصلاة الغداة؟!:

وزعموا: أن أم كلثوم ابنة علي خرجت، فجعلت تقول: ما لي ولصلاة الغداة؟! قتل زوجي أمير المؤمنين صلاة الغداة. وقتل أبي صلاة الغداة(1).

____

(1) تاريخ مدينة دمشق ج42 ص555 وتاريخ الإسلام للذهبي (الخلفاء

ونقول:

إن هذا غير صحيح، فإن أم كلثوم لا تتضجر من صلاة الغداة، ولا تتشاءم بها. كما أنها لا تصف زوجها بأمير المؤمنين، وتدع أباها، وهي تعلم: أن لقب أمير المؤمنين هو لأبيها من الله ورسوله.. وليس كذلك أبو بكر ولا عمر، ولا غيرهما. بل استلب هذا اللقب منه «عليه السلام» بغير حق.

ويبدو لنا: أن المطلوب هو أن يجري ذكر الخليفة الثاني على لسان بنت علي «عليه السلام»، ولو في مناسبة كهذه، لكي يظهر أنه لا مشكلة بين علي «عليه السلام» وعمر. وليذكروا الناس بموقف عمر منه.. وليؤكدوا حديث زواج عمر بأم كلثوم.

مع أن حديث زواج عمر بأم كلثوم لم يزل موضع شك وشبهة. وقد تحدثنا عن هذا الموضوع في كتابنا: ظلامة أم كلثوم. وتقدم في كتابنا هذا بالذات شطر من الكلام فيه. فراجع.

وصية علي × بابن ملجم:

ذكرت النصوص:

أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد حدد طريقة تعامل الإمام الحسن والناس مع ابن ملجم قبل استشهاده «عليه السلام» وبعده،

الراشدون) ج3 ص648 و 649 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص608.

وهذه طائفة من النصوص حول ذلك، فلاحظ ما يلي:

1 ـ جاء في بعضها أنه «عليه السلام» قال: أطعموه من طعامي، واسقوه من شرابي، فإن أعش فأنا أولى بحقي. وإن مت فاضربوه ضربة ولا تزيدوه[1].

2 ـ قال «عليه السلام»: ألا لا يقتلن بي إلا قاتلي. ونهى عن المثلة[2].

3 ـ أو قال: يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً، تقولون: قتل أمير المؤمنين. ألا لا تقتلن بي إلا قاتلي.

---

(1) المناقب للخوارزمي ص280 و 281 و (ط جماعة المدرسين) ص388 والفصول المهمة لابن الصباغ ص134 (ط دار الحديث سنة 1422هـ) ج1 ص623 وكشف الغمة ج2 ص111 و (ط أخرى) ج2 ص59 و (ط دار الأضواء) ج2 ص60 وراجع: مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص168 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص252 وعن مقتل أمير المؤمنين ص40 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص567 وج32 ص636 عن مختصر منهاج القاصدين (ط مكتبة دار التراث ـ القاهرة) ص393.

(2) مناقب آل أبي طالب (المطبعة العلمية) ج3 ص312 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص95 وشرح الأخبار ج2 ص591 و 592 وبحار الأنوار ج42 ص239 ونهج السعادة ج7 ص112 .

انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه، فاضربوه ضربة بضربة، ولا تمثلوا بالرجل؛ فإني سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور(1).

ولما أخبر «عليه السلام» الناس بأن أشقى الآخرين سيخضب لحيته من دم رأسه قالوا: ما أحد يفعل ذلك إلا أبرنا عترته..

قال: أذكر [أنشد] الله عبداً قتل بي غير قاتلي(2).

---

(1) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص148 وتهذيب الآثار (مسند علي بن أبي طالب) ص75 والرياض النضرة ج3 ص238 ومنهاج البراعة ج3 ص157 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص255 و 252 ونهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص77 الكتاب 47 والمعجم الكبير ج1 ص100 و 101 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج17 ص6 والمناقب للخوارزمي ص385 و 386 وينابيع المودة ج2 ص30 وج3 ص445 والإمام علي بن أبي طالب للرحماني ص653 و 785 وجواهر المطالب ج2 ص103 وعن الكامل في التاريخ ج2 ص435 وبحار الأنوار ج42 ص256 وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج5 ص120 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج29 ص128 و (الإسلامية) ج19 ص96 وروضة الواعظين ص137 و مجمع الزوائد ج9 ص142 وكشف الغمة ج2 ص60 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص572 و 573 عن الفخري لابن الطقطقي (ط محمد علي بالقاهرة) ص83.

(2) ذكر أخبار إصبهان ج2 ص231 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص537 و 538 و 539 و 540 و 541 و 542 ومسند أحمد (ط دار الفكر) ج1

ولعل هذا هو السبب في أنه «عليه السلام» نهى الناس، أو بني عبد المطلب أن يخوضوا في دماء المسلمين، يقولون: قتل أمير المؤمنين.. إلى آخر ما تقدم.

4 ـ قال «عليه السلام»: احبسوه وأطيبوا طعامه وألينوا فراشه فان أعش فعفو أو قصاص. وإن أمت فألحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين(1).

أو قال: يا حسن شأنك بخصمك، فأشبع بطنه، واشدد وثاقه، فإن مت فألحقه بي أخاصمه عند ربي، وإن عشت فعفو أو قصاص(2).

وفي نص آخر: فضربه ابن ملجم، فقيل: يا أمير المؤمنين، خل

ص275 و 328 وتاريخ بغداد ج12 ص57 و 58 ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص171 وأمالي المحاملي ص178 والرياض النضرة ج3 ص238 وتهذيب الكمال ج15 ص6 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص789.

(1) تاريخ مدينة دمشق ج42 ص559 والثقات لابن حبان ج2 ص303 وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص495 و 502 و 504 والإمامة والسياسة ج1 ص159 ـ 162 وأسد الغابة ج4 ص113 رقم 3789 والثقات لابن حبان ج2 ص302 والأخبار الطوال ص215 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ق1 ص25 و 26.

(2) تاريخ اليعقوبي ج2 ص212 تاريخ مدينة دمشق ج42 ص559 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص35 في حديث طويل.

بيننا وبين مراد، فلا تقوم لهم راعية (أو راغية) أبداً.

قال: لا. ولكن احبسوا الرجل، فإن مت فاقتلوه، وإن أعش فالجروح قصاص[1].

5 ـ قال علي: افعلوا به كما أراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يفعل برجل أراد قتله، فقال: اقتلوه. ثم حرقوه[2].

وحسب نص ابن شهرآشوب: وإن هلكت فاصنعوا به ما يصنع بقاتل النبي.

فسئل عن معناه، فقال: اقتلوه، ثم احرقوه بالنار[3].

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج42 ص555 وأسد الغابة ج3 ص615 وذخائر العقبى ص112 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج2 ص350 وفضائل الصحابة لابن حنبل ج2 ص560 وراجع: البداية والنهاية ج8 ص13 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج17 ص569 وج18 ص16 عن تاريخ الخميس (ط الوهبية بمصر) ج2 ص280 عن مناقب العشرة (مخطوط) ص47.

(2) مسند أحمد ج1 ص93 ومجمع الزوائد ج9 ص145 وكنز العمال ج13 ص188 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص560 و 561 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص363 وكشف الغمة ج2 ص66 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص287.

(3) مناقب آل أبي طالب ج3 ص311 و 312 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص95 والإرشاد للمفيد ج1 ص21 وروضة الواعظين ص134 ومستدرك الوسائل ج18 ص261 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص25 وبحار الأنوار ج42 ص239 ونهج السعادة ج7 ص112 وتاريخ

وحسب نص ابن عساكر: قيل لعلي: لو علمنا قاتلك لأبرنا عترته.

فقال: مه، ذلك الظلم. النفس بالنفس. ولكن اصنعوا ما صنع، فقال: النبي قتل، ثم أحرق بالنار إلى[1].

6 ـ وقال «عليه السلام»: يا بني، ضربة مكان ضربة، ولا تأثم[2].

7 ـ وفي نص آخر: إنه أسير؛ فأحسنوا نزله، وأكرموا مثواه؛ فإن بقيت قتلت أو عفوت، وإن مت فاقتلوه قتلتي **(وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ)**[3]»[4].

الكوفة للسيد البراقي ص314 وإعلام الورى ج1 ص391 وكشف الغمة ج2 ص65.

(1) تاريخ مدينة دمشق ج42 ص554.

(2) الكافي ج1 ص299 ومستدرك الوسائل ج18 ص255 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج3 ص158 وبحار الأنوار ج42 ص207 ومرآة العقول ج3 ص303 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج7 ص48 ونهج السعادة ج7 ص93.

(3) الآية 190 من سورة البقرة.

(4) الطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص35 وأنساب الأشراف ج3 ص261 و (ط الأعلمي) ج2 ص502 وأسد الغابة ج4 ص111 و (ط دار الكتاب العربي) ج4 ص35 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج13 ص196

8 ـ قال الإمام الباقر «عليه السلام»: إن علي بن أبي طالب «عليه السلام» خرج يوقظ الناس لصلاة الصبح، فضربه عبد الرحمن بن ملجم بالسيف على أم رأسه، فوقع على ركبتيه، وأخذه فالتزمه حتى أخذه الناس، وحمل علي حتى أفاق.

ثم قال للحسن والحسين «عليهما السلام»: احبسوا هذا الأسير، وأطعموه، واسقوه، وأحسنوا أساره، فإن عشت فأنا أولى بما صنع بي؛ إن شئت استقدت، وإن شئت عفوت، وإن شئت صالحت.

وإن مت فذلك إليكم، فإن بدا لكم أن تقتلوه فلا تمثلوا به[1].

9 ـ وفي نص آخر: قد ضربني فأحسنوا إليه وألينوا له فراشه؛

وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص558 والمناقب للخوارزمي ص391 كلها عن محمد ابن الحنفية.

(1) قرب الإسناد ص143 عن أبي البختري، عن الإمام الصادق «عليه السلام»، والجعفريات ص53 نحوه، ومناقب آل أبي طالب ج3 ص312 وروضة الواعظين ص153 و (منشورات الشريف الرضي) ص137 والسنن الكبرى للبيهقي ج8 ص317 و (ط دار الفكر) ج8 ص183 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص557 عن أنس بن عياض نحوه، وكلاهما عن الإمام الصادق عنه «عليهما السلام». وتاريخ الإسلام للذهبي (الخلفاء الراشدون) ص649 والمستدرك للحاكم ج3 ص144 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج29 ص127 و (الإسلامية) ج19 ص96 وبحار الأنوار ج42 ص206 والأنوار البهية ص76 ومعرفة السنن والآثار ج6 ص285.

فإن أعش فهضم(1) أو قصاص، وإن أمت فعالجوه؛ فإني مخاصمه عند ربي عز وجل(2).

10 ـ وقال ابن أعثم: كان علي «رضي الله عنه» يفتقده ويقول لمن في منزله: أرسلتم إلى أسيركم طعاماً؟!(3).

11 ـ عن لوط بن يحيى عن أشياخه: أغمي عليه ساعة طويلة وأفاق ـ وكذلك كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يغمى عليه ساعة طويلة ويفيق أخرى؛ لأنه «صلى الله عليه وآله» كان مسموماً ـ فلما أفاق ناوله الحسن «عليه السلام» قعباً(4) من لبن، فشرب منه قليلاً ثم نحاه عن فيه وقال: احملوه إلى أسيركم، ثم قال للحسن «عليه السلام»: بحقي عليك يا بني إلا ما طيبتم مطعمه ومشربه، وارفقوا به إلى حين موتي، وتطعمه مما تأكل، وتسقيه مما تشرب حتى تكون

---

(1) يقال: هضم له من حقه: ترك له منه شيئاً عن طيب نفس. راجع: تاج العروس ج17 ص760.

(2) المستدرك للحاكم ج3 ص155 و (تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي) ج3 ص144 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص37 وأسد الغابة ج4 ص113 وراجع: فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج3 ص70 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص568 وج18 ص41 عن تلخيص التحبير (ط القاهرة سنة 1384 هـ) ج4 ص47.

(3) الفتوح لابن أعثم ج4 ص279.

(4) القعب: القدح الضخم، الغليظ، الجافي. راجع: لسان العرب ج1 ص683.

أكرم منه.

فعند ذلك حملوا إليه اللبن، وأخبروه بما قال أمير المؤمنين «عليه السلام» في حقه[1].

12 ـ وقال ابن أعثم:

ثم أمر به علي «رضي الله عنه» إلى السجن وقال: احبسوه، فنعم العون كان لنا على عدونا! فإذا أنا مت، فاقتلوه كما قتلني[2].

13 ـ وقول المبرد: إنه «عليه السلام» قال لهم: إن أعش فالأمر لي، وإن أصبت فالأمر لكم، فإن آثرتم أن تقتصوا، فضربة بضربة، وإن تعفوا أقرب للتقوى[3].

وهناك نصوص أخرى لا تخرج عن هذه المعاني[4].

ونقول:

إن ملاحظة النصوص المتقدمة تحتم علينا الإشارة إلى ما يلي:

إختلاف المناسبات:

يبدو: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد كرر وصاياه في ابن

---

(1) بحار الأنوار ج42 ص289 وراجع: مستدرك الوسائل ج11 ص79.

(2) الفتوح لابن أعثم ج4 ص279.

(3) الكامل في الأدب ج3 ص1119.

(4) راجع: الإستيعاب ج3 ص219 والرياض النضرة ج3 ص236 وفيه: «احبسوه» بدل «اجلسوه».

ملجم مرات عديدة، لأن المناسبات كانت تقتضي ذلك، ولعل هذا هو السبب في تعدد النصوص، وتكثُّر الخصوصيات التي كان «عليه السلام» يشير إليها في كل مناسبة.

وذلك يجعلنا غير مخولين باستبعاد أي نص. وغير قادرين على اتهام الرواة في حفظهم، أو في تعمد إهمال هذه الخصوصية أو تلك. بل علينا أن نرضى باحتمال أن يكون كل راوٍ قد نقل المناسبة التي صادفها. ولعله ظن أنها هي الوحيدة التي سجل فيها «عليه السلام» موقفاً من قاتله.

وبعدما تقدم نقول:

لا عجب إذا رأينا: أنه «عليه السلام» يأمر بحبس ابن ملجم، ويوصي بأن يطعموه، ويسقوه. ولكنه حين يسمع بعضهم، يتوعد بأنه إن قتل «عليه السلام» فسوف يبير عترة ابن ملجم.. يبادر إلى النهي عن أن يخوضوا في دماء المسلمين خوضاً استناداً إلى أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد قتل، فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى، وعلى هذا يصدر قراره لهم بأن لا يقتلوا غير قاتله. وفي المرات المختلفة كان «عليه السلام» يفتقده ويقول لمن في منزله: أرسلتم إليه طعاماً؟!

ثم هو في مرة أخرى حين يؤتى بقعب من لبن، يشرب بعضه، ثم يرسل الباقي إلى قاتله.

ثم نراه يأمرهم بأن يطيبوا مطعمه ومشربه، ويرفقوا به إلى حين موته..

وقال «عليه السلام» لولده: وتطعمه مما تأكل، وتسقيه مما تشرب، حتى تكون أكرم منه.

وحين صار غضب الناس يتعاظم حتى صاروا يكدمون ابن ملجم بأسنانهم، ينهاهم عن تجاوز الحق، ويقول: **(وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ)**[1].

ومرة يحدد عدد الضربات التي يجب أن يوردوها بابن ملجم، فقال لهم: إنها ضربة بضربة.

ثم هو يحدد لهم حكم قاتل أوصياء الأنبياء، وأنه هو عينه حكم من قتل النبي، وهو أن يقتل ثم يحرق بالنار.

والإحراق بالنار لا يختص بقاتل النبي والوصي، بل له موارد أخرى أيضاً..

وقد تقدم بعض الكلام حول هذا الموضوع حين تعرضنا لابن سبأ، فراجع.

نِعم العون كان لنا:

تقدم: أنهم يزعمون: أن علياً «عليه السلام» قال حين أتي بابن ملجم بعد الضربه: «فنعم العون كان لنا على عدونا! فإذا أنا مت، فاقتلوه كما قتلني».

---

(1) الآية 190 من سورة البقرة.

ونقول:

لا ندري أي عون قدَّمه ابن ملجم لأمير المؤمنين «عليه السلام» على أعدائه؟!

ومن هم الأعداء الذين قتلهم؟! وفي أي حرب من حروبه «عليه السلام» شارك مشاركة فعَّالة ومؤثرة؟!

ولماذا لم نره أمَّره ولو على كردوسٍ، أو قدم له مشورة؟! أو أعانه ولو على تنظيم الصفوف، أو تهيئة السلاح، أو الطعام للمقاتلين، أو العتاد، أو العلوفة لدوابهم، أو ما إلى ذلك.

الأقرب للتقوى:

إن اكثر النصوص تقول: إنه «عليه السلام» أمرهم أن يلحقوا ابن ملجم به بعد موته، ليخاصمه عند رب العالمين.

ولكن هناك نص يقول: «وإن مت فذلك إليكم، فإن بدا لكم أن تقتلوه فلا تمثلوا به».

وفي النص الذي ذكره المبرد: «فإن آثرتم أن تقتصوا، فضربة بضربة، وأن تعفوا أقرب للتقوى».

فهل كان «عليه السلام» يرى جواز العفو عن أمثال هذه الجرثومة التي تستحل قتل الأنبياء والأوصياء؟!

وهل يحسن العفو عن أشقى الأولين والآخرين؟!

أليس العفو عن أمثاله يجرئ الناس على كل قبيح، ويسهل عليهم

ارتكاب أعظم الجرائم والعظائم؟! ويغريهم بالموبقات؟!

هل العفو عن قاتل النبي والوصي من حق الأب، أو الابن، أو الأخ، أو القريب والحبيب؟! أليست جريمة في حق الدين والإنسانية إلى يوم القيامة؟!

وهل قتل ابن ملجم قصاصاً فيه بعد عن التقوى؟! لكي يكون الإمام الحسن والحسين «عليهما السلام» قد اختارا الأمر المرجوح، وأرادا الإبتعاد عن التقوى، ولم يريدا الإقتراب منها؟!

ولماذا إذن أنزل الله تعالى العذاب على قوم هود، وقوم صالح، وقوم نوح، وغيرهم من العصاة؟! فإن عقر ناقة صالح ليس بأعظم من قتل سيد الأوصياء «عليه السلام»؟!

ولماذا أراد النبي قتل وإحراق من أراد قتله، ولم يختر العفو عنه الذي هو أقرب للتقوى؟!

وحتى حين قال النص الآخر: «فإن بدا لكم أن تقتلوه» هل يريد أن يعتبر أن الأصل هو العفو عن ابن ملجم. وأن قتله هو الإستثناء، والأمر العارض؟!

مصير ابن ملجم:

أما ما حصل لابن ملجم بعد استشهاد أمير المؤمنين «عليه السلام»، فهو لا يستحق الذكر، لولا تراكم روائح كريهة من الحقد، وتعمد الأذى، والطعن المبطن في أئمة الهدى، وأطهر الناس بعد

الرسول «صلى الله عليه وآله»..

فإن هذا يحتم فضح هذه النوايا السيئة، حتى لا ينخدع الناس الطيبون بترهاتهم، وأباطيلهم.

1 ـ قال ابن أعثم: وأمر الحسن فأتي بابن ملجم من السجن، وضربه الحسن على رأسه ضربة، وبادرت إليه الشيعة من كل ناحية فقطعوه بسيوفهم إرباً إرباً[1].

2 ـ ونص آخر يقول: إن الحسن «عليه السلام» قدمه فقتله، فأخذه الناس، فأدرجوه في بواري[2]، ثم أحرقوه بالنار[3].

3 ـ إن أم الهيثم بنت الأسود النخعية استوهبت جيفته من الإمام الحسن «عليه السلام»، فوهبها لها، فأحرقتها بالنار[4].

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج4 ص282.

(2) البواري: جمع بارية، وهي الحصير المنسوج من القصب.

(3) المناقب للخوارزمي ص280 و (ط جماعة المدرسين) ص387 ومجمع الزوائد ج9 ص142 والمعجم الكبير ج1 ص100 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص148 و (ط الأعلمي) ج4 ص114 وتجارب الأمم ج1 ص567 والكامل في التاريخ ج2 ص435 و 436 و (ط دار صادر) ج3 ص392 والبداية والنهاية ج7 ص331 (ط دار إحياء التراث) ج7 ص366 ونهاية الأرب في فنون الأدب ج20 ص217.

(4) مناقب آل أبي طالب ج3 ص313 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص96 والإرشاد ج1 ص22 ومقاتل الطالبيين ص41 و (نشر المكتبة الحيدرية)

4 ـ عن ابن عمران بن ميثم: «لقد رأيت الناس حين انصرفوا من صلاة الصبح أتوا بابن ملجم «لعنه الله» ينهشون لحمه بأسنانهم، كأنهم سباع، وهم يقولون له: يا عدو الله ماذا فعلت الخ..»[1].

5 ـ قال البلاذري: يقال: إن الحسن ضرب عنقه، وقال: لا أمثل به[2].

6 ـ وقال ابن حبان: فأخذ عبد الله بن جعفر، والحسن بن علي، (ومحمد بن الحنفية[3]) عبد الرحمن بن ملجم، فقطعوا يديه ورجليه، فلم يجزع، ولم يتكلم.. ثم كحلوا عينيه بململول[4] محمى، ثم قطعوا لسانه وأحرقوه بالنار[5].

ص26 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص626 وروضة الواعظين ص135 وإعلام الورى ج1 ص391 وكشف الغمة ج2 ص66 وراجع: الصواعق المحرقة ص134.

(1) مقاتل الطالبيين ص37 و (نشر المكتبة الحيدرية) ص22 وراجع: روضة الواعظين ص134 والإرشاد ج1 ص21 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص24 وبحار الأنوار ج42 ص231 و 284 ونهج السعادة ج7 ص124 و 130 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص119 وإعلام الورى ج1 ص391 وكشف الغمة ج2 ص65 وتاريخ الكوفة ص314.

(2) أنساب الأشراف (ط الأعلمي) ج2 ص505.

(3) في هامش المصدر قال: زيد بناء على الطبقات 26/1/3.

(4) المملول: المرود الذي يكتحل به.

(5) الثقات لابن حبان ج2 ص303 والأخبار الطوال ص213 والطبقات

وحسب نص آخر:

«فاجتمع الناس، وجاؤا بالنفط والبواري، والنار، فقالوا: نحرقه.

فقال عبد الله بن جعفر، وحسين بن علي، ومحمد بن الحنفية: دعونا حتى نشفي أنفسنا منه.

فقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه، فلم يجزع ولم يتكلم، فكحل عينيه بمسمار محمى، فلم يجزع، وجعل يقول: إنك لتكحل عيني عمك بملمول مض. وجعل يقرأ: **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ..)**[1]. إلى آخر السورة كلها. وإن عينيه لتسيلان.

ثم أمر به فعولج عن لسانه ليقطعه، فجزع، فقيل له: قطعنا يديك ورجليك، وسملنا عينيك يا عدو الله فلم تجزع، فلما صرنا إلى لسانك جزعت؟!

فقال: ما ذاك من جزع، إلا إني أكره أن يكون في الدنيا فواقاً لا أذكر الله.

فقطعوا لسانه، ثم جعلوه في قوصرة وأحرقوه بالنار، والعباس بن

الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج3 ق1 ص25 و 26 وراجع: أنساب الأشراف ج2 ص495 و 502 و 504 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص674 عن السيرة النبوية وأخبار الخلفاء (ط مؤسسة الكتب الثقافية ، دار الفكر في بيروت) ص551 وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج42 ص560.

(1) آيات سورة العلق.

علي يومئذ صغير، فلم يستأن به بلوغه(1).

ونقول:

إتهام الإمام بتكذيب القرآن:

إننا لا نشك في كذب هذا النص الأخير:

لأن الإمام الحسن «عليه السلام» معصوم ومطهر عن أي دنس، فما بالك إذا كان هذا الدنس هو معصية الله في عباده، فيمارس المثلة، مخالفاً بذلك نهي الرسول «صلى الله عليه وآله» عنها، وكان أبوه «عليه السلام» ينهى عنها باستمرار. مصرحاً بالنهي عن المثلة بابن ملجم.

وقد ثبت حكم المثلة للناس كلهم بالنصوص الصحيحة والصريحة.

فإن كان ابن ملجم قد فعل به شيء زيادة عن وصية أمير المؤمنين «عليه السلام»، التي اقتصرت على إجراء حكم الله فيه، فلا بد أن يكون ذلك من قبل عامة الناس من دون علم الإمام الحسن، والإمام الحسين «عليهما السلام»، فإن الناس كانوا في حالة هياج، وغضب شديد، فإن كان بعضهم قد خرج عن الحدود المطلوب عدم

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج42 ص560 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص39 وأسد الغابة ج4 ص38 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص650 والمنتظم ج5 ص177 وأنساب الأشراف ج2 ص504 وبحار الأنوار ج42 ص306.

تجاوزها لو صحت النصوص.

فلماذا ينسب ذلك إلى الإمامين الحسن والحسين «عليهما السلام»، وهما المطهران المعصومان بنص آية التطهير وسواها؟! فلا يمكن قبول ذلك من أحد، ولا كرامة. لأنه يتضمن تكذيب القرآن والرسول فيما قالاه عنهما «عليهما السلام».

بطولات ابن ملجم:

ورووا عن إسماعيل بن راشد: إن الناس دخلوا على الحسن فزعين لما حدث من أمر علي، فبينما هم عنده وابن ملجم مكتوف بين يديه إذ نادته أم كلثوم بنت علي وهي تبكي: أي عدو الله! لا بأس على أبي، والله مخزيك.

قال: فعلى من تبكين؟! والله لقد اشتريته بألف، وسممته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل المصر ما بقي منهم أحد(1).

(1) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص252 و 253 عن المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص146 و (ط الأعلمي) ج4 ص112 والمعجم الكبير ج1 ص99 و 100 والكامل في التاريخ ج2 ص436 ومقاتل الطالبيين ص49 عن عبد الله بن محمد الأزدي؛ والإرشاد ج1 ص21 كلاهما نحوه. وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص37 وأسد الغابة ج4 ص113 والكامل في الأدب ج3 ص1119 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص559 وكشف الغمة ج2 ص58 ونهج السعادة ج7 ص123 ومجمع الزوائد ج9 ص141 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج18 ص250.

أو قال: والله، لقد سممته شهراً ـ يعني سيفه ـ فإن أخلفني، فأبعده الله وأسحقه(1).

2 ـ ورووا عن عن إسماعيل بن راشد: قال علي: علي بالرجل [ابن ملجم]، فأدخل عليه، ثم قال: أي عدو الله، ألم أحسن إليك؟!

قال: بلى.

قال: فما حملك على هذا؟!

قال: شحذته أربعين صباحاً، وسألت الله أن يقتل به شر خلقه.

فقال «عليه السلام»: لا أراك إلا مقتولاً به، ولا أراك إلا من شر خلقه(2).

ثم قال في الموسوعة المشار إليها: اختلفوا هل ضربه في الصلاة أو قبل الدخول فيها؟! وهل استخلف من أتم بهم الصلاة أو هو أتمها؟! والأكثر أنه استخلف جعدة بن هبيرة فصلى بهم تلك الصلاة. راجع الإستيعاب ج3 ص219 والرياض النضرة ج3 ص236.

(1) تاريخ مدينة دمشق ج42 ص559 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص37 والثقات لابن حبان ج2 ص302 وأسد الغابة ج3 ص616 و 617 و (ط دار الكتاب العربي) ج4 ص37 وشرح الأخبار ج2 ص434 والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج5 ص175 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج18 ص233 و 253 وج32 ص625 و 634.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص145 و (ط الأعلمي) ج4 ص111 و 112 والمعجم الكبير ج1 ص99 والكامل في التاريخ ج2 ص435 و (ط دار

ونقول:

إننا نشك في أن يكون ابن ملجم قد تجرأ على أن يقول هذا الكلام لأمير المؤمنين «عليه السلام» أولاً، ولأم كلثوم ثانياً.. وإنما نسبوا هذا وذاك إليه لإظهار صلابته، وشجاعته، وادعاء شدة يقينه بصحة ما أقدم عليه.

على أن لنا أن نسأل:

أي سيف يكون ثمنه ألفاً؟! إلا إن كان مرصعاً بالدر والجوهر، أو محلى بالذهب والفضة. أو كان سيفاً لأحد عظماء العصر، أو أحد ملوك الدهر، فتكمن قيمته بقدمه، أو بنسبته إلى ذلك الملك، أو العظيم.

وهل يحتاج سم السيف إلى هذا القدر من السم، ومن الجهد، ومن المال، أو الوقت؟! أم أن أثمان السم كانت باهظة إلى هذا الحد؟!

ثانياً: بالنسبة إلى ما قاله ابن ملجم لأمير المؤمنين «عليه السلام» نقول:

صادر) ج3 ص390 ومقتل أمير المؤمنين ص30 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص91 وكشف الغمة ج2 ص57 والمناقب للخوارزمي ص383 والبداية والنهاية ج7 ص328 و (ط دار إحياء التراث) ج7 ص362 وبحار الأنوار ج42 ص244 ونهج السعادة ج7 ص116 ومجمع الزوائد ج9 ص141 ونظم درر السمطين ص145 وتجارب الأمم ج1 ص567 و 568 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج2 ق2 ص185.

ألف: تقدم أنه حين كلمه علي «عليه السلام»، وسأله عن السبب الذي دعاه لارتكاب هذه الجريمة سكت، ولم يجب بشيء.

ب: إنه هو نفسه قد عبر لقطام عن خوفه من أن يكون هو أشقى الأولين، الذي أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» عنه.

فمتى؟! ومن أين جاء هذا اليقين الجديد إليه: بأن علياً «عليه السلام» شر خلقه؟! إلَّا أن يكون الشيطان قد نفث هذه الأقوال على لسانه؟! أو أنه قد قال ذلك عل سبيل المكابرة، أو الجحود لأمر استقر في نفسه؟!

ج: إن الرواية التي وردت عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن أن قاتل أمير المؤمنين «عليه السلام» هو شقيق عاقر ناقة صالح، كانت معروفة عند المسلمين..

وقد تقدم: أن ابن ملجم حين سمع أمير المؤمنين «عليه السلام» يذكر قاتله، وأنه من مراد قد عرض على أمير المؤمنين «عليه السلام» أن يقطع يديه ويقتله. فرفض «عليه السلام» ذلك، ثم سأله تلك الأسئلة عن حاضنته، وعن لقبه في صغره، وغير ذلك.. فأخبره بحصول ما يسأله عنه، فسكت «عليه السلام»، ثم ذهب إلى منزله.. فدله بذلك على أنه يملك من المعارف الغيبية ما يجعل من الإقدام على أي تصرف سلبي تجاهه أمراً غير معقول.. إلا إن كان من يقدم على ذلك أشقى الآخرين بالفعل.

د: ما الذي جعل ابن ملجم يتيقن بأن الله تعالى قد استجاب له

دعاءه؟! وكيف يتيقن أن علياً «عليه السلام» هو شر خلقه، وهو يرى كراماته، ويعاين تحقق ما كان يخبر به من أمور غيبية، ويرى أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد نصبه للناس إماماً في يوم الغدير، وأخذ من الناس البيعة له بأمر من الله تعالى؟!

وكيف يستجيب الله دعاء ناكث بيعته، والخارج على إمامه، وشارب الخمر، والغادر، والهاتك للحرمات الكبرى الذي ذكرناها عن قريب؟!

ابن ملجم هو الأقوى:

كما أن هناك تعمداً واضحاً لإظهار رجولة وبطولة، وصبر ابن ملجم، وتصويره على أنه لا مثيل له في الشجاعة والتحمل، والجرأة، فهو لم يضعف، ولم يهن أمام كل ما تعرض له من أذى، وألم، لأنه كان مخلصاً لمبادئه، منسجماً مع نفسه، وفياً لقناعاته.

وهذه مفردة أخرى تضاف إلى السجل الخياني لأعداء أمير المؤمنين «عليه السلام»، وهي من أقبح الخيانات، لأنها تهدف إلى ارتكاب جريمة أشنع، وأبشع مما ارتكبه ابن ملجم، فلئن قتل هذا الشقي علياً «عليه السلام» الشخص، وفرق بين روحه وجسده، فإن هؤلاء يريدون قتل الإمامة والحق، والفضيلة، والقيم، والأخلاق في علي «عليه السلام»، ليتحول علي وأهل بيته إلى مجرمين وحاقدين، ومدلسين، وعتاة قساة، وبلا أخلاق ولا دين.. مع أنهم هم الأئمة المعصومون المطهرون، وأفضل الخلق، وأشرفهم، وأعلمهم،

وأتقاهم، وأزهدهم، وأعملهم بالحق، وأشدهم مقتاً للباطل وأهله.

ولأجل ذلك زعموا: أن أبناء علي «عليه السلام» قد قطعوا يدي ابن ملجم ورجليه، وكحلوا عينيه بملمول[1]، وقطعوا لسانه.. مع أن في علمائهم من يصرح: بأن الإمام الحسن «عليه السلام» قد ضرب عنقه، وقال: لا أمثل به[2].

وأين قسوة أبناء علي، وإجرامهم ـ والعياذ بالله ـ من الصورة التي يرسمونها للناس عن عبد الرحمن بن ملجم؟! فيصورونه بصورة المجاهد الصابر، المنسجم مع قناعاته، القوي في دينه.. وهو أيضاً ليس فقط قارئاً للقرآن، بل هو معلم القرآن، والفقيه القدير الذي استحق أن يكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص، عامله على مصر: أن «قرب دار عبد الرحمن بن ملجم من المسجد، ليعلم الناس القرآن والفقه»[3].

جمال ابن ملجم خارق!!:

بل هم يحاولون إضفاء أوصاف على هذا المجرم من شأنها أن ترقق القلوب عليه، وتحبب الناس به، فيدعون له أموراً لم يدعوها

---

(1) الملمول: المرود الذي يكتحل به.

(2) أنساب الأشراف ج2 ص505.

(3) لسان الميزان ج3 ص440 والأنساب للسمعاني ج1 ص451 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص653.

لأبي لؤلؤة، ولا لقتلة عثمان، ولا لغيرهم، فيقولون: «وكان عبد الرحمن بن ملجم رجل أسمر، حسن الوجه، أبلج، شعره مع شحمة أذنيه، في جبهته أثر السجود»(1).

ولو استطاعوا أن يدعوا له جمال يوسف، وعبادة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعلي «عليه السلام»، وزهد أبي ذر، وفضائل وكمالات جميع الأنبياء والأوصياء، والصالحين لم يقصروا. كل ذلك بغضاً منهم بعلي «عليه السلام».

ما فعله الناس:

أما تحريق الناس جثة ابن ملجم بالنار بعد قتله، فهو جزاء قاتل الأنبياء وأوصيائهم. كما تقدمت الرواية عن أحمد بن حنبل، وغيره.

أما ما جرى حين انصراف الناس من صلاة الصبح، حيث صار الناس ينهشونه بأسنانهم، فتلك كانت حالة الناس الذين غضبوا وهاجوا، ولم يكن ذلك عن أمر علي ولا الحسن، ولا الحسين «عليهم السلام».

ويلاحظ: أن ابن أعثم يصرح: بأن الشيعة هم الذين بادروا من

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج42 ص560 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص39 و 40 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص650 والوافي بالوفيات ج18 ص172 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص361 وج8 ص14 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص673.

كل ناحية إلى ابن ملجم، فقطعوه بسيوفهم..

ولكننا نقول:

إن أهل العراق الذين أحبوا علياً «عليه السلام» لم يكونوا من الشيعة بالمعنى المعروف، بل هم أحبوه لعدله، وصدقه، وظهور الكرامات، وخوارق العادات على يديه، ولصحة علمه، وتضحياته. وإن كانوا لا يعرفون علياً قبل ذلك.

اللجوء إلى أطباء الكوفة:

قالوا:

ثم جمع له أطباء الكوفة، فلم يكن منهم أحد أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هانئ السكوني ـ وكان متطبباً صاحب كرسي يعالج الجراحات، وكان من الأربعين غلاماً الذين كان خالد بن الوليد أصابهم في عين التمر فسباهم ـ.

فلما نظر أثير إلى جرح أمير المؤمنين دعا برئة شاة حارة، فاستخرج منها عرقاً، وأدخله في الجرح، ثم نفخه ثم استخرجه، وإذا عليه بياض الدماغ، فقال: يا أمير المؤمنين، إعهد عهدك، فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك(1).

---

(1) مقاتل الطالبيين ص51 و (ط المكتبة الحيدرية سنة 1385هـ) ص23 والإستيعاب ج3 ص221 و (ط دار الجيل) ج3 ص1128 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص120 وبحار الأنوار ج42 ص234 والأنوار

ويلاحظ هنا: أن علياً «عليه السلام» كان أعلم اهل الأرض في كل شيء، وكان يرى الناس منه الأعاجيب في كل العلوم، ولم يكن علمه مختصاً بأمور الدين والشريعة، وما بلغنا عنه «عليه السلام» كان ولا يزال مصدر إلهام لكل باحث، وعالم، ومفكر في مختلف المجالات.

ولا شك في أنه «عليه السلام» كان أعلم الخلق بأمور الطب.. وكان يمكنه أن يستغني بما حباه الله به من علوم عن أثير السكوني، وعن جميع أطباء الدنيا، وليس أطباء الكوفة فقط.. فلماذا إذن رضي بزيارة الأطباء له، وممارستهم المهنة في جراحته تلك؟!

ويمكن أن يجاب:

أولاً: لا شيء يدل على أنه «عليه السلام» كان مخولاً بالإستفادة من علومه الخاصة التي حباه الله بها في غير شؤون الإمامة، والدلالة عليها، والهداية إلى الحق وإليها.

ثانياً: ربما كان «عليه السلام» يعلم بما ستؤول إليه الأمور، ويريد أن يعلم الناس بصورة عملية أن يستفيدوا من أهل الخبرة في

البهية ص78 ومستدرك سفينة البحار ج2 ص49 ونهج السعادة ج7 ص130 ومعجم البلدان ج1 ص93 والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص116 والوافي بالوفيات ج18 ص173 والوافي بالوفيات ج21 ص182 وتاريخ الكوفة للبراقي ص195.

حياتهم، ولا يريد لهم أن يفهموا الأمور بطريقة خاطئة تصدهم عن السبيل الصحيح، الذي يريد الله تعالى لهم أن يسيروا فيه.

ثالثاً: لعله لو عالج نفسه، أو أهمل علاجها، حتى نزل به القضاء لأشاع أصحاب الأهواء وخدعوا بعض السذج والبسطاء: بأنه «عليه السلام» هو الذي أخطأ، أو قصَّر في حق نفسه، فقاده خطؤه أو تقصيره إلى رمسه..

وربما جعل ذلك ذريعة للتخفيف من ذنب ابن ملجم، إلى حد التبرئة.

وربما انتهى الأمر إلى إلحاقه بالمظلومين، أو رفعه إلى مصاف الشهداء، أو الصديقين، باعتبار أن الجرح الذي أورده على علي «عليه السلام» لم يكن قاتلاً، بل كان مجرد خدش طفيف، ذي أثر ضعيف، ولكن علياً هو الذي قتل نفسه بإهماله، أو بالعلاج الخاطئ، الذي خطر على باله، وأضر بحاله.

الفهـــارس

1 - الفهرس الإجمالي
2 - الفهرس التفصيلي

1 - الفهرس الإجمالي

الفصل الثالث: رسائل، وعهود تعني الأشتر، وأهل مصر.. 7

الفصل الرابع: عهد الأشتر.. متنه وسنده.. 27

الفصل الخامس: مصر في يد الأعداء.. 75

الفصل السادس: خواتيم.. ونهايات.. 79

الفصل السابع: ابن عباس وأموال البصرة.. نصوص مأثورة.. 79

الفصل الثامن: براءة ابن عباس.. 159

الباب السابع: إمام الشهداء..

الفصل الأول: الإعداد والإستعداد للإستشهاد.. 79

الفصل الثاني: حديث الإستشهاد.. 79

الفصل الثالث: وقفات أخرى مع حديث الإستشهاد.. 79

الفصل الرابع: تفاصيل تستحق الإهتمام.. 79

الفهارس: 79

2 - الفهرس التفصيلي

الفصل الثالث: رسائل، وعهود تعني الأشتر، وأهل مصر..7

رسالة علي × في رحل الأشتر: 9

موجدة محمد من تولية الأشتر:.. 10

أهل مصر غضبوا لله تعالى: 12

المواصفات المثالية للحاكم:.. 14

النتائج: 18

لا يقدم ولا يحجم إلى بأمري: 19

آثرتكم به على نفسي: 21

موجدة ابن أبي بكر لتولية الأشتر: 22

الفصل الرابع: عهد الأشتر.. متنه وسنده..

بداية: 29

متن العهد: 29

سند عهد الأشتر: 38
مصادر العهد:... 39
شروح عهد الأشتر:.. 40
سند النجاشي والشيخ للعهد:.. 44
1 ـ ابن الجندي:.. 46
2 ـ علي بن همام: 52
3 ـ الحميري: 54
4 ـ هارون بن مسلم:... 56
5 ـ الحسين بن علوان: 57
6 ـ سعد بن طريف:.. 60
7 ـ أصبغ بن نباتة:.. 68
النتيجة:.. 70
سند الشيخ:... 70
1 ـ ابن أبي جيد:.. 71
2 ـ محمد بن الحسن: 73
3 ـ الحسن بن ظريف:.. 74

الفصل الخامس: مصر في يد الأعداء..

معاوية يهاجم مصر: 77
كتاب علي × هو الأهمُّ:.. 80
معالجة الإحباط: 82
انتداب كنانة بن بشر: 83
حرب خاسرة لا بد من خوضها:... 83
المواجهة مع ابن العاص: 85
لا ينتدب أحد إلى مصر: 88
نعي محمد بن أبي بكر:.. 91
قتل محمد بن أبي حذيفة: 95
منظومة القيم هي الأساس:... 96
هذه هي الكارثة الحقيقية:... 98
معاودة المحاولة: 100
من الذي قتل ابن أبي بكر؟!: 103
قصة مكذوبة: 104
أيهما قتل أولاً؟!:... 106
هل كان محمد بن أبي بكر حدثاً؟!:.................................... 107
علي × يتمنى الشهادة في الحرب: 109

الفصل السادس: خواتيم.. ونهايات..

رسالة مفتوحة من علي × إلى شيعته:................................ 113

ملاحظات ثلاث:.. 123

ابن الحضرمي في البصرة: 125

علي × يعطي الشام لمعاوية:.. 126

الإستنفار إلى الشام، والغارة على نواحيها: 127

استقدام قيس بن سعد: 131

النداء الأخير: لأدعون الله عليكم:.. 132

استجابة الناس:.. 133

استرشاد علي × بآراء الناس:.. 134

ليست هذه غارة:.. 135

لا تعرضن للأعراب:... 136

الفصل السابع: ابن عباس وأموال البصرة.. نصوص مأثورة..

كيف بدأ الخلاف؟!: 141

مكاتبات رضية: 143

إشتداد لحن الخطاب:.. 146

الرحيل والقتال:.. 151

ابن عباس في مكة:.. 153
ابن عباس بقي في البصرة!!:.. 155
ابن عباس أرجع المال:... 155
رواية الزهري:.. 156
عباسي يعترف:.. 157
في مكة؟! أو في البصرة؟!:... 157

الفصل الثامن: براءة ابن عباس..

اختلاف الروايات:.. 161
ألف: بقي في البصرة، أم غادر إلى مكة؟!:.......................... 161
ب: في مكة:... 162
ج: مقدار المال:... 162
من الذي حج بالناس؟!:.. 163
لنا الحق في أن نرتاب:.. 164
سند روايات ابن عباس:... 166
تعليلات سقيمة:... 168
ذم ابن عباس لأبي الأسود:.. 169
عمرو بن عبيد ينكر الحديث:... 170
رسالة محمد بن عبد الله للمنصور:................................... 171

شعر ابن فسوة: 172

ألم يشركنا في هذه الدماء؟!:... 173

يعيرهم، فلماذا لا يعيرونه؟!:... 175

أين الملايين؟!:.. 177

لماذا إلى مكة؟!: 178

علاقة ابن عباس بأبناء علي ×: 179

ابن عباس عند علي × يوم الإستشهاد:.............................. 180

اختلافات.. تناقضات:.. 186

مكانة ابن عباس: 187

لعل هذا ما حدث:... 188

حادثة القتال بالبصرة: 196

خلاصات حساسة وذات مغزى: 197

الباب السابع: إمام الشهداء..

الفصل الأول: الإعداد والإستعداد للإسشهاد..

التهيؤ للحرب والمفاجأة: 207

عودة علي × من السفر: 208

عمر بن الخطاب يوصي بابن ملجم:................................... 208

الإتفاق بين ابن ملجم وقطام: 210
ابن ملجم بين يدي علي ×: 212
مهر قطام: 212
هل لك حاضنة يهودية؟!: 214
إستجابة العراقيين كرامة، بل معجزة: 215
العلم كثير فخذوا ما أهمكم: 216
نهيه × عن صوت الطبل والزمر: 220
تاريخ وقعة النهروان: 221
ابن ملجم يبشر بهلاك الشراة: 222
حديث قطام والإتفاق في الموسم: 222
هل لك حاضنة؟!: 223
بمن يعرِّض علي ×؟!: 224
علي × يرفض الحراسة!: 229
علي × يحرس النبي ’: 230
عشاؤه × في ليالي شهر رمضان: 234
ما عندنا خير لك: 235
أفي سلامة من ديني؟!: 238

الفصل الثاني: حديث الإستشهاد..

أني مقتول لو قد أصبحت: 243

صوائح تتبعها نوائح: 245

لم أتطير:.. 248

الغدر بعلي ×: 250

نصوص من الموسوعة: 254

تاريخ اغتيال الإمام علي ×:.................................. 255

مقدار عمر الإمام ×: 258

جزئيات تضمنتها النصوص:................................... 259

هكذا توفي أمير المؤمنين ×:.................................. 262

أنا مفارقكم الساعة: 264

حديث الهواتف والوفاة: 265

الفصل الثالث: وقفات أخرى مع حديث الإستشهاد..

بداية: 273

لا ضرورة للبحث:... 273

سبع.. وتسع:... 274

مات في نفس اليوم: 275

ليلة ثلاث وعشرين:.. 275
جعدة صلى بالناس: 276
ابن ملجم يشرب الخمر:... 277
جرأة ابن ملجم على الحرمات:.. 277
يخاف أن يكون أشقى الآخرين:.. 279
فزت ورب الكعبة: 280
شراكة الخوارج: 282
مشاركة الاشعث:.. 283
معاوية لم يكن بعيداً: 286
لماذا لم يحترز من قاتله؟!: 287
علي × يدل على قاتله:... 290
أي الحادثتين إذن؟!: 291

الفصل الرابع: تفاصيل تستحق الإهتمام..

ضربه وهو يصلي: 298
ليلة نزول القرآن:.. 299
ليلة قبض موسى، ورفع عيسى: 300
دم عبيط تحت كل حجر: 301
عبد الملك يحارب فضائل علي ×: 304

ما لي ولصلاة الغداة؟!: 304

وصية علي × بابن ملجم:... 305

إختلاف المناسبات: 313

نِعم العون كان لنا:... 315

الأقرب للتقوى: 316

مصير ابن ملجم: 317

إتهام الإمام بتكذيب القرآن: 321

بطولات ابن ملجم: 321

ابن ملجم هو الأقوى: 325

جمال ابن ملجم خارق!!: 327

ما فعله الناس:... 328

اللجوء إلى أطباء الكوفة:.. 328

الفهارس:.. 331

1 ـ الفهرس الإجمالي.. 333

2 ـ الفهرس التفصيلي 334